الميزان

بين السنة والشيعة

تأليف

يوسف عارف الحاج محمد

عالم الكتب الحديث

اربد-الأردن

١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

الطبعة الثانية

١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٤/٤/١٠٣٣)

٢٥٠

الحاج محمد، يوسف عارف
الميزان بين السنة والشيعة/يوسف عارف الحاج محمد.ـ إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٤.
( )ص.

ر.إ:(٢٠٠٤/٤/١٠٣٣).

الواصفات:/الإسلام//الفرق الإسلامية//الشيعة//التحليل المقارن/

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

عالم الكتب الحديث
للنشر والتوزيع

الأردن - إربد شارع الجامعة- بجانب البنك الإسلامي
تلفاكس(٧٢٧٢٢٧٢-٢-٩٦٢)
الرمز البريدي(٢١١١٠)
صندوق البريد(٣٤٦٩)

Modern World Books
Publishers

Irbid-Jordan
TelFax (962-2-7272272)
P.O.Box 3469 Irbid 21110
Jordan.



رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٢٠٠٤/٤/٨٩١

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

مما تشترك فيه الأمم والشعوب، على مر العصور، جنوح أبناء الأمة الواحدة إلى التكتل أحزابا وفرقا وجماعات في مواجهة الأحداث الهامة التي تلم بها، وهذا ما انطبق على الأمة الإسلامية منذ فجر تاريخها، إذ واجه المسلمون أحداثا جساما اختلفت حولها آراؤهم واجتهاداتهم، فانقسموا إلى سنة وشيعة وخوارج وغير ذلك، وانقسمت هذه الفرق إلى فرق عديدة لكل فرقة مقالاتها وحججها.

ولئن كان ظهور الأحزاب والفرق في الدولة الواحدة ظاهرة صحية، ودليلا على حيوية الأمة ونشاطها، فانفتاح كل فريق على الفرق الأخرى، واستعداده للتفاعل معها والأخذ والعطاء دليل تقدمها ووعيها.

أما تقوقع كل فريق على نفسه وانغلاقه على أفكاره ومواقفه، فهوظاهرة سلبية ودليل على انحسار نشاط الأمة وفاعليتها وقابلية التطور إلى الأفضل عندها.

وهذا ما نجده في طبيعة العلاقات بين الفرق والأحزاب في تاريخ المسلمين، فعندما كان المجتمع المسلم يتمتع بالعافية والازدهار، كانت العلاقة بين فرقه وأحزابه قائمة على أسس واضحة سليمة، مبنية على المناظرة الواعية وقرع الحجة بالحجة.

وعندما بدأ الضعف والتراجع يدب في جسد المجتمع الإسلامي على الأخص منذ القرن الرابع الهجري انعكس ذلك وبشكل واضح على العلاقة بين الفرق والأحزاب، وخاصة بين السنة والشيعة، فأصبحت كل فرقة تدين بكراهية سائر الفرق وعدم الاستعداد لمد أية جسور من العلاقة معها، مما أدى إلى التباعد ومع التباعد جهل السواد الأعظم من أتباع كل فرقة بمقالات ومواقف الآخرين. إنه جهل نسجته عصور طويلة من الفرقة والخلاف الذي كان نتيجة حتمية للخلافات السياسية وتجزؤ الدولة العباسية إلى دويلات متنافسة واستيلاء البويهيين الشيعة، ثم السلاجقة السنة على مقاليد الحكم في بغداد، واستعانة الحكام بالعلماء ذوي الأهواء للنصرة على الحكام المنافسين.

ولم يكن الخلاف مقصورا على السنة والشيعة، بل شمل أتباع المذاهب الفقهية المتعددة والفرق الكلامية إلا أن الخلاف بين السنة والشيعة كان الأعمق والأبعد أثرا لما امتاز به من جذرية وحدّة، ولكثرة من دخل بين الفرقتين من وسطاء سوء، أصحاب الأهواء والمصالح الذين سعوا في إذكاء نار الفتنة بين الفريقين خدمة لمصالحهم.

بلغ الخلاف بين الفريقين حده بعد سقوط الدولة العباسية، إذ قامت على أنقاضها الدولة العثمانية السنية، في معظم أنحاء العالم الإسلامي، والدولة الصفوية الشيعية في إيران وامتد نفوذها إلى العراق ردحا من الزمن ثم تقلص ثانية.

كانت كلتا الدولتين متعصبة لمذهبها أشد التعصب، مبغضة للدولة الأخرى كل البغضاء، فلا عجب أن ينعكس هذا الشعور السلبي على رعايا الدولتين، وقديما قيل: الناس على دين ملوكهم.

ظل الشيعة ينظرون إلى السّنة على أنهم أعداء البيت النبوي الكريم وأنصار أعدائه، ومؤيدو الحكام الجبابرة على مر العصور، وأنهم أهل باطل وضلال وكانوا يسمونهم الناصبة.

وظل السنة ينظرون إلى الشيعة على أنهم أعداء الصحابة الكرام وخارجون عن سنة المصطفى خير البشر وأهل أهواء وبدع ويسمونهم الرافضة.

والذين كتبوا عن العلاقة بين الفريقين كان أكثرهم أصحاب أهواء وجدوا في كتب الفريقين ما يعينهم على تزيين أهوائهم.

ودأب مثل هؤلاء الكتاب على استرجاع الروايات التي وردت في كتب الشيعة حول أشياء مرفوضة عند السنة، مع القول: ويزعم الشيعة كذا، ويقول الشيعة كذا، مع ما في التعميم من بُعد عن المنهجية العلمية.

وكثرت الكتب والكتيبات التي تركز على مسائل الخلاف بين الفريقين وتحاول اقناع القارئ السني أن هذا موقف الشيعة جميعا، لا يختلف عليه اثنان، ونجد في كتب المتعصبين من الشيعة أسلوبا شبيها بأسلوب متعصبي السنة، اذ يحملون أهل السنة جميعهم أولهم وآخرهم، كل رأي أوموقف مرفوض عند الشيعة حتى قبل ظهور فرقة أهل السنة والجماعة ويركزون على جوانب الخلاف بين الفريقين، متناسين جوانب الاتفاق التي هي الأكثر وتتعلق بالأصول وبكثير من الفروع.

أما الكُتاب المنصفون من الفريقين، فدأبوا على التهوين من مسائل الخلاف الى الحد الذي يوهم القارئ، أنه لا خلاف يستحق الذكر بين الفريقين

وركزوا على جوانب الاتفاق، وعلى مقدار مصلحة المسلمين في تحقيق الأخوة بين الفريقين.

ولكن بين هؤلاء وهؤلاء ضاعت الصورة المتكاملة التي ينبغي أن نضعها أمام القارئ ونترك لـه الحكم بعد ذلك.

المتعصـبون ضيعوا الصورة المشرقة وهي موجودة فعلا حتى قبل مجيء جمهوريـة إيـران الإسـلامية التي خطت نحوالتقريب خطوات واسعة، ودعاة التفاهم أخفوا الصورة المظلمة وهي موجودة فعلا في الماضي ولا يزال لها وجود في أوساط الشيعة حتى بعد قيام الجمهورية الإسلامية خاصة في الأوساط الشعبية خـارج إيران، وله وجود في أوساط أهل السنة ويجد من يغذيه خدمة لأهداف معيَّـنة، فأردت أن يكون كتابي نمطا جديدا يعطي الصورة بجانبيها والتي كانت قائمـة قبل الثورة الإسلامية في إيران ليطلع القارئ على صورة مسائل الخلاف بحجمها الطبيعي وقبل ان تأتي دولة تعمل على تضييقها من جانب الشيعة وعلى مسائل الاتفاق بحجمها الذي كان قبل انطلاق الثورة الإسلامية في إيران والذي يتعزز كل يوم ويخطو خطوات واسعة بحمد الله تعالى وبجهود المخلصين لدينهم وأمـتهم من الطائفتين وحرصي على إبراز صورة العلاقة بين الفرقتين المسلمتين عـلى مـر العصور وقبل قيام الجمهورية الإسلامية لم أُثْبت مما خَطَتْهُ الحكومة الإسلامية من خطوات واسعة باتجاه التقريب إلا نصوصاً من الكتب المدرسية في إيـران لما لها من دلالة وأهمية في مجال تحسين العلاقات بين السنة والشيعة وإنهاء الـتدابر والتـباغض بينهما مما يقدِّم أعظم خدمة للأمة الإسلامية ويفوت أكبر فرصـة عـلى أعدائهـا. وأود أن اشير هنا إلى الوعي الكبير الذي يبديه السنة

والشيعة في العراق منذ الاحتلال الأمريكي لها في آذار من هذه السنة، فقد أدرك الفريقان أن ما يطلبه الصليبيون الجدد هوالسيطرة على الأمة الإسلامية وإذلالها ونهب خيراتها وإخضاعها للنفوذ الصهيوني الذي تخضع لـه الولايات المتحدة نفسـها، فأدرك الجانبان أن وحدة الصف الإسلامي التي هي المطلب الصحيح دائماً، أصبحت مطلباً ملحّاً لا يقبل التأجيل وأن الخلافات المذهبية يجب أن تختفي تماماً لأنها كانت دائماً بؤرة ضرر، أما الآن فهي مبعث خطر.

إنني إذ أعرض مسائل الخلاف والوفاق بموضوعية، أكتب هذا الكتاب بدافع أنني أحب الأتقياء المخلصين من سنة وشيعة، وأحب الوفاق بين الفرقتين المسلمتين وأُجِل من يدعواليه.وأكره الشقاق وأبغض من يسعى اليه.

وأضع الحقائق فوق الأهواء، ولم أورد قولاً أورأياً إلا رددته إلى مصدره، مع يقيني أن عرض القضية بصورتها الحقيقة الصريحة والصادقة إنما هوالوسيلة الفضلى لتبصير القارئ بالحجم الحقيقي للخلافات ليعلم أن الخلاف بين السنة والشيعة في أوسع نطاقه وخلال أشد عصور الأمة الإسلامية جهلاً لا يعدوفي حقيقته كونه خلافاً بين أبناء الملة الواحدة وفي إطار الدين الواحد وأنه لا يمكن القول عن إحدى الطائفتين إنها على صواب كامل، وأن الأخرى على خطأ كامل في جميع مسائل الخلاف، كما سيدرك القارئ مقدارما يرتكب الجاهلون من خطأ وخطايا حين يدعون أبناء طائفتهم إلى منابذة الطائفة الأخرى وبغضها وعدم الاستماع إليها، والواحد منهم يظن أن موقفه هذا يمليه عليه تدين وتقوى وورع ولا يعلم أنه إنما يدعو إلى تكريس فرقة الأمة الإسلامية وشرذمتها وتخليد ضعفها واستكانتها لأعدائها، وأدهى من هؤلاء، أولئك الذين يدعون إلى المقاطعة والمنابذة والكراهية وهم على علم بما يقولون ويدركون هول ما يقترفون وإذا أعوزتهم الحقيقة لجأوا إلى المغالطات، وخير ما

يفعله الغيورون على أمتهم الإسلامية لإبطال كيد دعاة الفرقة هو كشف الحقيقة وعدم الخوف من عرضها بصراحة على أن يكون ذلك كله في إطار رحابة الأفق والموضوعية والنظرة الصائبة التي تميز بين ما يعتبر من نوع حرية الرأي والاجتهاد المحلل شرعاً وبين ما يعد تعدياً على الأصول وانتهاكاً للحرمات، وأن يفرق بين رأي الفرد أو الفئة القليلة ورأي الجماعة فلا يحمل الجماعة مسؤولية كلمة قالها فرد أو فئة صغيرة ولا يحملون أبناء عصرنا مسؤولية دعوة فاسدة دعت إليها فرقة ضالة بادت وبادت مقالتها.

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يهدينا جميعا سواء السبيل.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

يوسف عارف الحاج محمد

نابلس / ربيع ثان ١٤٢٤هـ

الموافق/ حزيران٢٠٠٣

الفصـل الأول

لمحة عن الفرق الإسلامية نشأتها ومبادئها

نبــذة تاريخية

اجتمع المسلمون منذ أن بزغ فجر الإسلام على كتاب واحد هوالقرآن الكريم، فهودستورهم وجامع شملهم وهو إمامهم جميعا، تــزل على رسول الله منجما مدة ثلاث عشرة سنة في مكة ثم عشر سنين في المدينة، تقيد رسول الله والمسـلمين بأحكامــه فـأحلوا حلاله وحرموا حرامه وعبدوا الله كما أمرهم وعامل بعضهم بعضا كما هداهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، قدوة المسلمين وهاديهم ومعلمهم في كل شأن من شؤونهم.

ولحــق رســول الله بالرفــيق الأعلى في السنة العاشرة للهجرة، وجاء الراشــدون من بعده، فساروا على دربه واقتدوا به في الزهد والتقوى، واتبعوا نهجــه في الــتعامل مــع الناس، ذلك النهج القائم على الاحترام المتبادل ومع الاحــترام صادق الحب، فكان رسول الله يحترم المسلمين، صغيرهم وكبيرهم، رجــلهم وامــرأتهم، وكانوا يحترمونه أعظم الاحترام، وكان رسول الله يحبهم وكانوا يحبونه أعمق الحب وأصدقه.

كذلك الحال مع الخلفاء الراشدين، مع الفارق بين رسول الله وبين كل مــن عداه، ومع الفارق بين شخصية خليفة وخليفة من الأربعة الراشدين الذين خلفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن رسول الله والخلفاء الراشدين من بعــده عملوا على إيلاء كل مسلم ومسلمة ما يستحق من عزة وكرامة وحرية

الفكـــر وحرية التعبير عن الرأي دون خوف أووجل. فلا تبعة على من جاهر برأي، فمن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد، ومن اجتهد فأصاب فله أجران، ولا تبعة على من جاهر برأيه حتى بين يدي رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى.

جاءتـــه خولـــة بنت ثعلبة[١] تشكواليه زوجها تقول: يا رسول الله إن زوجـــي ظاهرمني[٢]، فقال لها: لقد حرمت عليه. فقالت لـــه: يا رسول الله، ان الله نســـخ سنن الجاهلية، فقال لها عليه السلام: ما أوحي الي في هذا شيء، وما زالـــت تجـــادل رسول الله وهويسمع جدالها غير غاضب ولا برم حتى نـــزل الوحي من عند الله ينهي الجدال بما يوافق رأي خولة بنت ثعلبة.

قال تعالى: "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله، والله يســـمع تحاوركما ان الله سميع بصير. الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لغفور رحيم" [٣].

إن حـــب الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعرفتهم بجليل قـــدره لم يمنعهم من الاقتراح عنده، بل ومعارضته في غير مواطن الوحي. فقد اقترح عليه الحباب بن المنذر أن يغير منـــزل المسلمين في بدر لينـــزلوا عند أدنى مـــاء مـــنه ويغـــوروا ما عداه من الآبار فيشرب المسلمون ولا يشرب جيش المشركين. واستجاب رسول الله للحباب عندما تبين لـــه صواب رأيه.

وخالفـــه عمر بن الخطاب في أسرى بدر ونـــزل الوحي بالقرآن يؤيد رأي عمر.

وعارضـــه في الصلاة على عبد الله بن أبيّ بن سلول زعيم المنافقين في المديـــنة، قـــال عمر: يا رسول الله، كيف تصلي على من قال: لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

فأجابه عليه السلام،أن الصلاة على ابن سلول إنما هي تكريم لابنه عبد الله وكـــان مؤمنا صادقا، ونـــزل القرآن يؤيد رأي عمر، قال تعالى مخاطبا نبيه الكريم: " ولا تصل على أحد مات منهم أبدا ولا تقم على قبره"[4]

هكـــذا علم رسول الله المؤمنين، علمهم أن يجاهر الرجل منهم والمرأة بـــرأيه، وألا يخشـــى في الله لومـــة لائم، على أن يراعوا الحق والعدل ويتحروا السـداد فـــيما يقولـــون ويفعلـــون، فلا يسيئوا استخدام الحرية الممنوحة لهم فيجعلوها سُلّما إلى المطامع كما يفعل الناس في الدول الديمقراطية المعاصرة. قال تعـــالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) [5]

وعمل الصديق في خلافته على ترسيخ مبدأ الحرية في القول والجرأة في الحق فقال في خطبته التي أعقبت مبايعته بالخلافة: (إني قد وليت عليكم ولست بخيركـــم فـــان أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم)[6]

وخلـــف عمـــر أبا بكر وكان المسلمون يتخوفون من سطوته، إلا أنه ضـــرب أروع الأمثلة في حب الحرية للرعية وترسيخ مبدأ الشجاعة في الحق في نفوس الرجال والنساء.

لقيته خولة بنت ثعلبة على قارعة الطريق فقالت له: يا عمر، كنت عُميرا ثم صرت عمرا ثم صرت أمير المؤمنين فاتق الله يا عمر. فقيل له: يا أمير المؤمنين من هذه المرأة التي تكلمك بهذا الكلام؟ فقال: هذه التي سمع الله قولها من فوق سبعة أرقعة.[٧]

وأراد عمر ذات يوم أن يواجه مشكلة غلاء المهور فيضع لها حدا، فوقفت امرأة وقالت له: ليس ذلك اليك يا أمير المؤمنين والله تعالى يقول: (وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا) فقال: أصابت امرأة وأخطأ عمر[٨].

هكذا كانت شجاعة النساء، فكيف بشجاعة الرجال وحرصهم على قول الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

لقي عمر ربه شهيدا وخلفه عثمان بن عفان، وظل المسلمون متمسكين بحقهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقاومة كل باطل.

وكثرت في عهد عثمان المشاكل الناجمة عن أحداث بعضها خارج عن إرادة الخليفة كقيام عبيد الله بن عمر بقتل الهرمزان وزوجته وابنته انتقاما لأبيه، فاختلف المسلمون بين مطالب بقتل عبيد الله وبين معارض لذلك، فعفا عنه الخليفة، واستاء لذلك العفو كثير من الصحابة وعدوه تعطيلا لأحكام الله.

وبعضها ناتج عن اجتهاد الخليفة كوقوفه على درجة رسول الله في المنبر واستقدامه الحكم بن أبي العاص، طريد رسول الله الى المدينة، وتوسعه في الانفاق على نفسه وإن كان من ماله الخاص وعلى بعض أقاربه من مال المسلمين، وغلبة أقاربه عليه.

وبعضها فرضته المتغيرات واتساع رقعة الدولة الإسلامية، كتغييره سياسة عمر التي فرضت على كبار الصحابة البقاء في المدينة، وإلزام المسلمين بمصحف واحد وإحراق كافة المصاحف الأخرى، وغير ذلك كثير. وكانت شخصية عثمان مختلفة عن شخصيتي أبي بكر وعمر، فهوشيخ تجاوزالسبعين عندما تولى الخلافة، وكان حييا ولم يكن عنده قوة الشخصية وبلاغة القول وقوة العارضة التي كانت للشيخين من قبله. أوقدرة على إدارة دفة الحكم دون أن يكون واقعا تحت تأثير الآخرين كما كانت للشيخين. صحيح أن الخليفة كان يستشير كبار رجال الدولة في الأمور الهامة لكن قناعته كانت هي الحكم الأخير هذا ما اتصف به أبوبكر وعمر.

أما عثمان رضي الله عنه، فقد شاع عنه بين المسلمين أنه يبرم وينقض بحسب مشيئة أبي سفيان ومروان بن الحكم وعبد الله بن أبي السرح والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكل أولئك لم يكن لهم لسان صدق ولا قدم صدق في الإسلام، وإنما أسلموا مكرهين، والحقيقة أن مثل هذه الأقوال في عثمان، إن لم تكن صدقا كلها، فليست كذبا كلها.

وتفاقمت المشاكل وكثر الساخطون على عثمان، وكانت قدرة الخليفة على مواجهة المشاكل تتناقص باستمرار، وانتهت بمقتل عثمان بن عفان على أيدي أناس كثيرين من أمصار عديدة دخلوا عليه الدار غاضبين على أن فاتهم مروان بن الحكم، واستولى الثوار على المدينة حتى أن بني أمية هربوا منها إلى مكة وغير مكة، ودفن الخليفة في البقيع سرا في جنح الظلام، وأخذ الثوار يحاولون إقناع علي بتولي الخلافة وهويرفض ويتوارى عنهم وهم يبحثون عنه فلا يجدونه حتى اقتنع بأن رفضه سيوقع المسلمين في فوضى وتخبط لا يخرجون منه أبدا فقبل البيعة، فبايعه عامة المسلمين في المدينة وكبار الصحابة وعلى

رأسهم طلحة والزبير وتخلف عن بيعته بعض الصحابة كسعد بن أبي وقاص وأبي سعيد الخدري وحسان بن ثابت.

أما بنوأمية فصاحوا بالثأر لعثمان وحمّلوا عليا جزءا من المسؤولية، لخلافات في الرأي كانت تنجم بين علي وعثمان وجفوة كانت تقع بينهما، وبلغ هياج المسلمين ذروته وهان عند الكثيرين ما كانوا يعدون على عثمان من أخطاء إلى جانب ما ارتُكب بحقه من جريمة هائلة وشعر المسلمون بما يتهددهم من فتنة.

ولقد صور حسان بن ثابت ذلك الشعور الجياش الذي إختلط فيه الحزن بالغضب بالخوف من المستقبل المجهول الذي ينتظر الأمة الإسلامية في قوله يرثي عثمان بن عفان:-[9]

من سره الموت صِرفاً لا مِزاج له	فليأتِ مأسَدَةً في دار عثمانا
صَبراً فدىً لكم أمي وما ولدت	قَد ينفع الصبر في المكروه أحياناً
ضحّوا بأشمط عنوان السجود به	يَقطّعُ الليل تسبيحا وقرآناً
لتسمعُن قريباً في أذانكم	الله أكبر يا ثارات عثمانا
يا ليت شعري وليت الطير تخبرني	ما كان شأن عليّ وابن عفانا

وكانت المشكلة الرئيسة التي واجهت عليا منذ اللحظة الأولى لتوليه الخلافة هي ماذا يصنع بقتلة عثمان؟ أيقتلهم به أم يعتبر مقتله فتنة عامة يجب إخمادها.

كان قرار علي ألا يلاحق من اتُّهموا بالمشاركة في قتل عثمان قطعاً لدابر الفتنة، لأنهم ينتمون إلى أمصار عدة وقبائل كثيرة وقد لحقوا بأمصارهم

وقبائلهم، وهي لا شك مانعتهم، فلا يصل إليهم رجال الخليفة إلا بشرٍّ مُستطير وبفتنة أعظم من فتنة مقتل عثمان.[10]

رفض بنوأمية هذا الاجتهاد، ورفضوا الإذعان لسلطة أمير المؤمنين علي واستأذنه طلحة والزبير في السفر إلى مكة لأداء العمرة، فشعر علي أنهما غير راضيين عن قرارة، فذكّرهما بالبيعة التي له في عنقيهما، فقالا له: إنما نريد العمرة ثم نعود إلى المدينة. والتقيا هناك بأزواج رسول الله، وكن قد خرجن من المدينة إلى مكة عندما اشتد الحصار حول عثمان. وسار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة طالبين لثأر عثمان وسار إليها علي على رأس جيش، والتقى الجيشان واقتتلا وسيأتي تفصيل ذلك في أبواب تالية بإذن الله.

ثم التقى علي وجيشه بمعاوية في صفين على نهر الفرات ووقعت بين الجيشين الوقائع فبلغت تسعين وقعة في مائة وعشرة أيام وانتهت بالتحكيم المشهور.[11]

ورفض عدد كبير من أهل العراق مبدأ التحكيم بعد أن تبين لهم أنه كان خدعة وطالبوا علياً بعدم الاكتفاء برفض نتيجة التحكيم بل بتجديد إسلامه، قالوا: إن التحكيم كفر، لأن معاوية وجيشه لا يخلومن أن يكون كافرا أومسلما فان كان كافرا فلا يجوز أن نجعل كتاب الله بيننا وبينه.[12] لأن الكفار ينبغي قتالهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وإن كان مسلما فلا تجوز مقاتلته.

فقـــال لهم علي: انهم ليسوا كفاراً ولكنهم عصاة، ونحن نقاتلهم كي نردهم إلى الطاعة ولم يكن قبول التحكيم كفرا لكنه كان خطأ أنتم أكرهتموني عليه.

فأبى الخوارج أن يقبلوا من علي إلا الاعتراف بأنه كفر بقبوله التحكيم وأنه يدخل الإسلام من جديد وأبى علي أن يوافقهم، وكانت حجته أقوى من حجـــتهم، وكـــان أمير المؤمنين على صواب والخوارج على خطأ، فقاتلهم في معـــركة النهروان حتى أفناهم فلم ينج منهم إلا بضعة رجال خرجوا من الكوفة هـــاربين وقد دخل كل منهم مصرا من أمصار الإسلام ينشر فيه دعوته، وأخذ عـــلي يهيئ نفسه للمسير إلى معاوية في الشام وإنهاء تمرده لتوحيد المسلمين مرة أخرى[١٣].

في هـــذه الأثناء كان ثلاثة من الخوارج قد التقوا في مكة واتفقوا على اغتـــيال علي ومعاوية وعمروبن العاص ليلة السابع عشر من رمضان أوالحادي والعشـــرين مـــنه وادعـــوا أنهم إنما يهدفون إلى أن تستقبل الأمة أمرها وتختار للخلافة من تراه مناسبا.[١٣]

تعهـــد عـــبد الرحمن بن ملجم المرادي بقتل الإمام علي، والحجاج بن عـــبد الله الملقـــب بالبرك بقتل معاوية، وزاذوية مولى بني العنبر بقتل عمروبن العـــاص، وســـار كل منهم إلى هدفه، وفي الساعة الموعودة عند صلاة الفجر هـــاجم زاذوية عمرا فقتل قائد شرطته ظنا منه أنه عمرو وهاجم البرك معاوية فلم يصب منه مقتلاً وهاجم ابن ملجم علياً فقتله سنة ٤٠ هـــ.

وولي الأمـــر بعد علي ابنه الحسن وكان معاوية قد اشتد عوده وقويت شوكته، ووجد الحسن أنه لا طاقة لـــه بمعاوية وجنوده، فتنازل له عن الخلافة

ولحق بالمدينة المنورة على افتراض أن الخلافة ستؤول إليه بعد وفاة معاوية، وصار معاوية أميرَ المؤمنين، إلا أنه حوّل الخلافة إلى مُلك متوارث فجعل ولاية العهد لابنه يزيد، وتوارث البيت الأموي الملك بعد يزيد فكثرت الفتن والأحزاب والثائرون والخارجون والغاضبون فظهر حزب الزبيريين والخوارج والشيعة، وحدثت ثورات أخرى كثيرة لا مجال لذكرها في هذا المقام.

السنة والشيعة: المعنى اللغوي والاصطلاحي

السنة لغة: الطريقة، واستن الرجل: اتخذ لنفسه طريقا.

والمقصود بسنة الرسول عليه الصلاة والسلام: الطريقة التي سار عليها في حياته والتي ظهرت في أقواله وأفعاله وتقريره وصفاته.

وأهل السنة هم الطائفة الذين بنوا مواقفهم السياسية والاجتماعية على أساس التمسك بسنة رسول الله باعتبارها المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم، والاسترشاد بالأحاديث النبوية، فيما يفعلون.

أما الشيعة فمفردها شيعي وهي مأخوذة من الفعل: تَشيَّعَ بمعنى: ناصرَ واتبَعَ.

ورَدَت لفظة شيعة في القرآن الكريم بمعنى الأنصار والأتباع. قال تعالى: (وإنّ من شيعته لإبراهيم، إذ جاء ربه بقلب سليم)[١٤].

وقال تعالى حكاية عن موسى: (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان، هذا من شيعته وهذا من عدوه).[١٥]

وإذا حاولنا أن نجد بين كلمتي شيعة وسنة علاقة في المعنى، فلن نجد، فلا هما مترادفتان ولا هما متضادتان، إلا أننا نجد الكلمتين مناقضتين لكلمة

الخوارج، فالخروج عن الطريق عكس الاستنان الذي يعني: السير على الطريق، والخروج عن الطاعة عكس المشايعة أي: المناصرة.

والشيعة هم الذين بنوا مواقفهم على أساس الولاء لعلي بن أبي طالب وأبنائه والاعتقاد بحقهم في إمامة المسلمين دون بني أمية في عصر بني أمية دون بني العباس في عصر الدولة العباسية وينتظرون المهدي ويعدونه قائما مستورا.

وأهل السنة الآن هم الأغلبية الساحقة من المسلمين في البلاد العربية وتركيا وباكستان وأفغانستان وإندونيسيا وماليزيا والهند وأقطار أخرى كثيرة.

أما الشيعة فهم الأغلبية الساحقة في إيران وهم ثلثا سكان العراق ويشكلون جزءا هاما من سكان لبنان وباكستان واليمن وبعض الجمهوريات الإسلامية فيما كان يعرف بالاتحاد السوفييتي ومنطقة الإحساء في السعودية وعدد لا بأس به من أهل أفغانستان، ومناطق إسلامية أخرى.

تاريخ نشوء الفرقتين:

من الصعب تحديد تاريخ دقيق لنشوء الفرق لأن الفرق عادة تنمو رويداً رويداً وتظهر على مهل بتأثير عوامل وظروف معينة.

وينطبق هذا على الشيعة والسنة.

متى ظهرت الفرقة التي عرفت بالشيعة؟

ومتى سميت طائفة من المسلمين أهل السنة؟

أما الشيعة، فعُرف المصطلح في وقت مبكر، في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأطلقه حسان بن ثابت على من ناصر رسول الله وتابعه، وذلك في قوله يمدح رسول الله عليه السلام، وقبيلته:

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو ... حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

أكرِمْ بقومِ رسولِ اللهِ شيعتُهم ... إذا تعددت الأهواءُ والشِّيَعُ

لم يقصد حسان بطبيعة الحال، فرقة الشيعة ذات المقالات والحجج، لأن هذه الفرقة اختصت بعلي ابن أبي طالب وأبنائه في وجه أعدائه.

هذه الفرقة الغالب على الظن أنها تأخرت في الظهور إلى ما بعد معركة كربلاء، إلا أن علماء الشيعة يعتقدون أنها ظهرت في وقت مبكر، في عهد رسول الله عليه السلام. يستشهد على ذلك العلامة الشيعي محمد الحسين آل كاشف الغطاء بما روى السيوطي (السنّي) في كتاب " الدر المنثور في تفسير كتاب الله بالمأثور" في تفسير قوله تعالى "أولئك هم خير البرية "، رواية عن أحد الصحابة قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عليٌّ عليه السلام، فقال النبي: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ونزلت: "إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية"[16].

وبما أورده ابن الأثير في (البداية والنهاية) أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال للإمام علي كرم الله وجهه: ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين ويقدم عليه عدوك غضابا مُقَمَّحين، ثم جمع يديه إلى عنقه يريهم كيف الإقماح[17]

ويُفصِّل آل كاشف الغطاء هذا الأمر بقوله: إن عدداً ليس بالقليل عُرفوا بملازمتهم عليا، كرم الله وجهه، وجعلوه إماما كمبلّغ عن الرسول عليه السلام وشارح ومفسر لتعاليمه وأحكامه، وصاروا يعرفون بأنهم شيعة علي كعَلَم خاص بهم كما نص على ذلك أهل اللغة[18].

هذا التشيع المبكر من المؤكد أنه لا يعدوكونه المحبة والمناصرة والملازمة وليس هوالتشيع الحزبي المذهبي الذي قام على منهج فكري وسياسي واضح وكان له حجج وبراهين وكان له خطباء وشعراء يدافعون عنه.

أما من جانب أهل السنة، فإنهم يردون الأشكال الأولى من التشيع الحزبي إلى عهد الإمام علي، كرم الله وجهه، ذلك أن أهل الحق كانوا في جيش علي وتحت رايته وناصروه على خصومه في كافة المعارك التي خاضها بدءا بمعركة الجمل وانتهاء بمعاركه مع الخوارج.

إلا أنهم يوجهون أصابع الاتهام إلى يهودي يمني تظاهر بالإسلام هوعبد الله بن سبأ، ويقولون إنه اندس في صفوف الشيعة، قبل أن يتشكل حزبهم، وجاء ببدع ومنكرات، فقد ادعى أن عليا إله، فنفاه علي إلى المدائن، ويبدوأنه اكتفى بنفيه لأنه لم يول مقالته أهمية، أولأن ابن سبأ لم يقلها صراحة، بل قال له: أنت أنت[١٩] فقدر أمير المؤمنين مغزاه واكتفى بنفيه لأنه لم ينطق بكلمة الكفر صراحة، لكن أتباعه ظلوا في الكوفة وقالوها صراحة فجمعهم علي وأمر خادمه قنبر أن يوقد لهم نارا في مربد الكوفة فيحرقهم.

ويروى أنهم ظلوا متمسكين بمقالتهم وهم يحرقون، وقالوا: الآن صح عندنا أنك الله، لأن الله هو الذي يعذب بالنار[٢٠].

وإذا كان الشيعة الإمامية لا ينفون الأخبار التي تناقلتها الكتب بخصوص ما جاء به ابن سبأ من بدع وضلالات فانهم لا يعدون ذلك شيئا له علاقة بمذهب الزيدية والاثني عشرية، فابن سبأ ضال من جملة الضلال، كافر

مـن بين آلاف مؤلفة من أصحاب الأهواء والبدع، وفرق الغلاة الذين جاءوا بمثل ضلالاته قد يكونون تأثروا به ولا علاقة للشيعة بهم.

وإذا كانـت الركيزة الأولى للتشيع تقوم على الاعتقاد بأن عليا كان أولى بالخلافـة مـن أبي بكر وعمر وعثمان لأن الخلافة حق لأقرب الناس إلى رسول الله وهم بنوهاشم، ولأقرب بني هاشم إلى رسول الله وهم علي وأبناؤه، فهـذا الاعتقاد كان موجودا منذ البداية، ومنذ وفاة رسول الله، وظل بنوهاشم يعتقدون بأنهم أولى بالأمر ممن سواهم لكن هذا الاعتقاد لم يفسد طاعتهم لأبي بكـر، وإن تأخرت بيعة علي لـه ستة أشهر، ولا طاعتهم لعمر، وقد صاهر عمـر علـيا، فـتزوج عمـر أم كلثوم بنت علي وفاطمة، وظلت عنده حتى استشـهد. ولقـد بـايع علي وبنوهاشم عثمان وأطاعوه، على مآخذ عديدة أخذوها على سياسته، وكانت العلاقة بين علي وعثمان فيها من الجفاء أكثر مما فيها من الوصل، إلا أن ذلك كان في إطار طاعة علي لأمير المؤمنين.

واشـتد تعلـق بني هاشم بحقهم في عهد معاوية، ثم في عهد يزيد بن معاويـة حـين تعددت الأحزاب وأشهرها الخوارج ثم الزبيريون ثم بدأ يتشكل حزب الشيعة.

أمـا الخـوارج فكـان ظهورهم بعد التحكيم مباشرة وحاربوا عليا وحـاربهم وهزمهم في معركة النهروان إلا أنهم عادوا إلى تنظيم صفوفهم بعد ذلك وكثر الداخلون في جماعاتهم، وكانوا يرون أن عليا ظل خليفة شرعيا حتى وافق على التحكيم ففقد شرعيته، ولواعترف بأن التحكيم كفر ثم جدد إسلامه لعـادت إليه شرعيته ثانية، أما رأيهم في معاوية، فهو كافر وكل من سار تحت لوائه كافر وكل من تقاعس عن قتاله كافر مثله.

وكـــان ذلـــك رأيهـــم في يزيد ثم سائر خلفاء البيت الأموي باستثناء عمـــربن عـــبد العزيـــز، فقد أعجبهم عدله وزهده، ووجدوه يسير على سنة الخلافة الراشدة، ولقد كف يديه عن الخوارج، فكفوا أيديهم عن قتاله، ودخل بعضـــهم في طاعـــته وعدوا خلافته صحيحة، أما أغلبهم فاشترطوا للدخول في طاعته أن ينـــزع من عنقه بيعة كل من يزيد وهشام ابني عبد الملك، وظل عمر يفكـــر في هـــذا الأمر، ويهم ولا يفعل، ولكن عاجلته المنية قبل أن يحزم أمره، ويعتقد أنه مات مسموما وأن الذي تآمر عليه هم عمر بن الوليد بن عبد الملك وعمته فاطمة بنت مروان لتضييقه عليهما في المعاش.

لم تطـــل مدة خلافته، فلم تبلغ إلا سنتين وبضعة أشهر إذ تولى الخلافة سـنة ٩٩هـــ وتوفي سنة ١٠١هـــ وعاد الخوارج بعده إلى قتال الدولة الأموية إلى أن سـقطت هـــذه الدولة، ثم قتال الدولة العباسية التي كانت تنـــزل بهم الضربات القاصمة بين الحين والحين.

أمـــا الـــزبيريون فأتباع عبد الله بن الزبير الذي أعلن الثورة بمكة بعد استشـــهاد الحســـين بكـــربلاء، ودعا الناس إلى بيعته، ومات يزيد بن معاوية، فاشـــتدت ثـــورة ابن الزبير واستولى على العراق فضمها إلى الحجاز، ثم تقوت علـــيه الدولة الأموية زمن عبد الملك بن مروان الذي أرسل لـــه جيشا بقيادة الحجـــاج بن يوسف فحاصره بمكة ورمى الكعبة بالمنجنيق فهدمها، وقتل ابن الزبير وخلص الأمر لعبد الملك.

أمـــا الشيعة. فلا يمكن تحديد زمن ظهورهم بسنة معينة، لكن باكورة التشـــيع الحزبي الحقيقي القائم على رفض الاعتراف بالخليفة الرسمي قد ظهرت مـــنذ تـــولي يزيد بن معاوية الخلافة، إذ رفض الحسين بن علي هذا الأمر الذي

فرضـه معاوية قبل موته، رفض هذا الأمر معه كثيرون في كل مكان من بلاد المسلمين.

وعـند وفاة معاوية وتولي يزيد الخلافة، كان الحسين بمكة، فأرسل إليه أهـل العـراق كثيرا من الكتب يدعونه فيها إلى الكوفة ليبايعوه ويسيروا تحت لوائـه، ويـناجزوا يزيد بن معاوية ويقضوا على خلافته، فبعث الحسين إليهم مسلم بن عقيل ليمهد لقدومه، ثم سار إليهم بنفسه، وما إن وصل الكوفة حتى وجد الذين دعوه قد غيروا وبدلوا، ودخلوا في طاعة عبيد الله بن زياد، وكانوا قـد خذلوا مسلم بن عقيل حتى حوصر وأُحرق بالنار ثم ضربت عنقه، فأرسل عبـيد الله بن زياد جيشا إلى الطف على ضفاف الفرات حيث عسكر الحسين وآل بيته وعدد ضئيل ممن معه، لم يبلغوا جميعا مائة وحصرهم جيش الأمويين في كـربلاء وقـتلوا الحسـين ومن معه من الرجال في العاشر من محرم عام ٦١ للهجرة. وحُمل رأس الحسين إلى يزيد بن معاوية في الشام وحُملت بنات علي والحسـين سبايا على قتب البعير ومعهن زين العابدين علي ابن الحسين وكان مريضا لم يشارك في القتال. ولقد تشفى بهم يزيد أولا ثم أظهر الشهامة تجاههم فأكرم مثواهم وسيرهم بعد ذلك إلى المدينة المنورة فأقاموا فيها هم وأنجالهم.

ويـرى كـثير من الدارسين أن التشيع الذي اتخذ صفة الحزبية نشأ في العراق بعد استشهاد الإمام الحسين، عليه السلام، فقد شعر أنصار البيت النبوي في العـراق بفداحـة المصـاب وشعروا كذلك بضخامة الجرم الذي ارتكبوه بتخلـيهم عـن نصرة الإمام الحسين، فنشأت من بينهم جماعة(التوابين) بقيادة المخـتار بن عبيد الثقفي، التي نهضت للثأر للحسين والانتقام من الذين قتلوه، ونجحت في تصفيتهم، فقتلت عبيد الله بن زياد، والي العراق، وعمر بن سعد بن أبي وقاص، الذي قاد جيش الأمويين إلى الطف وحاصر الحسين وقتله، والشمر

بن ذي الجوشن الذي قتل الحسين بسيفه، ثم حكم المختار العراق إلى أن اغتصبها منه مصعب ابن الزبير، فالتوابون هم أول طائفة شيعية اتخذت لنفسها اسماً.

بعد استشهاد الحسين ومعه عدد من إخوته من غير فاطمة، لم يبق من أبناء الحسين بن علي إلا زين العابدين، علي بن الحسين الذي أصبح عميد العائلة النبوية المباركة والإمام الذي يعترف به الشيعة، ويعدُّونه الإمام الحق وأنه أولى بالأمر من بني مروان، وهو وإن لم يتبوأ المنصب الرسمي للخلافة إلا أنه الخليفة في قلوبهم وأذهانهم، عنه يأخذون العلم وبه يقتدون وله يسمعون ويطيعون، مع أنه لم يدع إلى ثورة ولم يحمل على بني أمية سيفاً، وكان بنوأمية يحترمونه ويجلونه.

وجاء بعد علي ابنه محمد الباقر فجعل له الشيعة من المكانة والاعتبار ما كان لأبيه ثم جاء جعفر الصادق بن محمد الباقر الذي عاش الشطر الأول من حياته في خلافة بني أمية والشطر الثاني في خلافة بني العباس والتف الشيعة من حوله، وكانوا كلما مر عليهم زمن وحل إمام من أهل البيت محل إمام يلتفون حوله ويمنحونه صادق طاعتهم ومحبتهم.

فالتشيع في زمن رسول الله والخلفاء الثلاثة كان أقرب إلى الصداقة والمحبة عند نفر من الصحابة للإمام علي، وفي عهد علي كان المناصرة والمحبة والإعجاب الشديد، وفي عهد معاوية كان الوفاء للإمام علي، والمعرفة بحقه وحق أبنائه، والاعتقاد بأن معاوية أخذ ما ليس له مع الأمل أنه حين تحين منيته سيعود الحق إلى نصابه وتعود الخلافة إلى آل البيت، واشتهر من بين أوائل الشيعة في عهد معاوية حجر بن عدي الكندي وأصحابه والأحنف بن قيس التميمي وكثير من أهل العراق والحجاز.

وبعد وفاة معاوية نشأت فرقة الشيعة بمقالاتها وحججها المختلفة.

أما أهل السنة فلم يظهروا كفرقة مميزة إلا في العصر العباسي، ومن ظن من الشيعة وغيرهم أن الظلم الذي وقع على آل البيت في العصرين الأموي والعباسي كان على أيدي أهل السنة، فهومخطئ، إذ أن اتباع الدولة الأموية لم يبق منهم أحد، لقد زالوا بزوال تلك الدولة، وأتباع ابن الزبير انتهوا بانتهائه، أما أهل السنة فما زالوا قائمين ولم يكونوا أبدا أمويين أوعباسيين لكنهم كانوا ومازالوا أتباع محمد وأنصاره، وأنصار آل محمد وأصحابه.

لمحة عن حالة الأحزاب والفرق في العصر العباسي

امتاز العصر العباسي بكثرة الفرق والأحزاب والجماعات والمذاهب في كافة شؤون الحياة من سياسية ودينية واجتماعية وثقافية.

وأغلب هذه الفرق نشأ في العصر الأموي المتأخر إلا فرقتين نشأتا في العصر الأموي المتقدم وامتد وجودهما إلا العصر العباسي هما فرقتا الخوارج والشيعة. وهذه لمحة موجزة عن أهم الفرق في هذا العصر.

أ- فرق غير الشيعة

١- المعتزلة

هي فرقة أسسها واصل بن عطاء الغزال الألثغ في أواخر عهد الدولة الأموية كان واصل يجلس في حلقة الحسن البصري في جامع البصرة، واختلف معه في مصير مرتكب الكبيرة الحسن يقول: إنه عاص يعذبه الله إن شاء أويعفوعنه، وإذا أدخله النار، فإنما يعذبه بمقدار ذنبه ثم يخرجه من النار ويدخله الجنة، فقال واصل: بل هوفي منزلة بين المنزلتين، لا هو بمؤمن فيدخل الجنة،

ولا بكافر فيدخل النار، فقال له الحسن البصري: اعتزلنا يا واصل، فاعتزله واصل وجلس إلى عمود من أعمدة المسجد وجلس حوله طلاب المعرفة وصار يحدثهم بما يعتقد في القرآن الكريم وقدرة العبد على أفعاله وعدل الله وتوحيده ووعده ووعيده.

وكثر المعتزلة بعد واصل وظهر من بينهم علماء أفذاذ كثمامة بن أشرس والنظّام والجاحظ وغيرهم كثير. وانقسم المعتزلة فرقا كثيرة عرفت باسم مؤسسها، كالواصلية والهذلية والنظامية والخابطية والبشرية والثمامية والجاحظية وغيرها[٢١]

كان هدف المعتزلة في كل باب من الجدل تنزيه الله تعالى عن الظلم وإثبات العدل لله، فقالوا إن الإنسان حر في أفعاله، يرتكب المعصية وهوقادر على تركها فهو إذن مسؤول عنها، ولو كان مجبرا على ارتكاب المعصية لما كان من العدل أن يعذبه الله تعالى عليها، لذلك سموا القدرية.

وقالوا إن القرآن الكريم من كلام الله، والله تعالى لا يتكلم، لأن الكلام من صفات الخلق، وتنزه الله أن يشبه خلقه في شيء فالله تعالى خالق القرآن كخلقه سائر الأشياء.

وقالوا أيضا إن من مات صغيرا، ومن ارتكب الكبائر لا يدخل الجنة ولا يدخل النار.

واعتنق الخلفاء العباسيون هذا المذهب ابتداء من المأمون ثم المعتصم ثم الواثق وتعصبوا للفكرة القائلة إن القرآن مخلوق وطلبوا من سائر العلماء أن يقولوا بهذه المقالة، ورفض الإمام أحمد ابن حنبل أن يقولها، فجُلد بأمر الواثق ألف سوط حتى كاد يموت.

وبلغ من تعصبهم لهذه المقالة البدعة التي لم ينزل بها القرآن ولا رويت عن رسول الله ولا عن أحد من أصحابه، أن الواثق عندما أراد أن يبادل أسرى المسلمين بأسرى البيزنطيين اشترط أن يُسأل كل أسير من المسلمين عن رأيه في القرآن فإن قال: هومخلوق، فودي، وإذا لم يقل، رُد إلى الأسر[٢٢].

٢- أهل السنة والجماعة أوالأشاعرة:

بالغ المعتزلة في نصرة مذهبهم وأرادوا أن يحملوا عليه جميع المسلمين مع أن في مقالاتهم بدعا لم ترد في كتاب أوفي سنة، فضاق الناس بهم وبمذهبهم، وجاء المتوكل الذي لم يتحمس لهم كما فعل أسلافه من الخلفاء وشعر كثير من العلماء أن عليهم التمسك بسنة رسول الله في كل ما يجد من أمور، فكتاب الله تعالى تحتمل بعض آياته التأويل على أكثر من معنى وهي الآيات المتشابهة وقد حذر الله تعالى من اتخاذ الآيات المتشابهة وسيلة للفتنة عند الزائغين فقال جل ذكره: (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله)[٢٣]

فما تشابه علينا من آياته، نؤمن به ولا نحاول تأويله خوفا من الضلال، فإن وجدنا في الأحاديث الصحيحة ما يكشف لنا بعض غوامضه، كان به، وإلا، أمسكنا عن التأويل. هذا ما اتبعه أحمد بن حنبل في شأن خلق القرآن، فقد أصر على عدم القول بخلق القرآن.

قال له المعتصم: إني عليك شفيق، شفقتي على ابني هارون فأجبني.

فقال ابن حنبل: يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئا من كتاب الله وسنة رسوله، قال

لـــه إســحاق بن إبراهيم: أليس قد قال الله تعالى: (انا جعلناه قرآنا عربيا) أفـــيكون مجعــولا إلا وهومخلوق؟ فقال لـــه الإمام الصابر: قد قال الله تعالى: (فجعلهم كعصف مأكول)، أفخلقهم؟[٢٤]

هكذا تمسك ابن حنبل بكتاب الله وسنة رسوله وأبى بإصرار أن يقول مقالـــة لم ترد في كتاب الله أوسنة رسوله ورفض التأويل الخاطئ لآيات القرآن الكريم وآثر الجلد والحبس والنفي على التفريط بكتاب الله وسنة رسوله، وكان أحمـــد بن حنبل مثلا يحتذى به في الصلابة والجراءة، فتبعه في ذلك علماءعلموا أن في السنة النبوية المشرفة ما يعصمهم من البدع لأن البدع ضلالات، وتجرأوا عـــلى التصدي للمعتزلة لإبطال مقالاتهم، وعلى رأس هؤلاء العلماء أبوالحسن الأشعري المتوفى ببغداد سنة ٣٣٠ للهجرة تقريبا.

اشـــتغل أبوالحســـن الأشعري ومن معه بابطال آراء المعتزلة. وكانت قاصيمة ظهر الاعتزال مناظرة جرت بين الأشعري والجبائي رأس المعتزلة في وقته حول (المنـــزلة بين المنـــزلتين).

قـــال الأشعري للجبائي: ما تقول في إخوة ثلاثة، مات أحدهم مسلما ومات الثاني كافرا والثالث صغيرا؟

قـــال الجـــبائي: أما المسلم فيدخل الجنة وأما الكافر فيدخل النار وأما الصغير فلا يدخل الجنة ولا يدخل النار.

قال الأشعري: فإن قال الصغير: رب لِمَ لَمْ تَدَعْني أكبر فأعبدك فأدخل الجنة،ماذا يقول الله له؟

قال الجبائي: يقول: وقع في علمي أنك لو كبرت لعصيتني فدخلت النار فأمتّك صغيرا لمصلحتك.

قال الأشعري: فاذا صاح الكافر، وكل كافر يشتعل في أطباق الجحيم: رب لم لم تمتني صغيرا فلا أعصيك ولا أدخل النار، ما يقول الله له؟ فبُهت الجبائي، وكان ذلك مؤذنا بأفول شمس الاعتزال.

ووقف الأشعري للدفاع عن العقيدة في وجه أرباب الآراء المخالفة من الفرق الأخرى.

وانحاز اليه طائفة من العلماء منهم القاضي أوبكر الباقلاني المكي وأبوالحسن بن فورك وأبو اسحاق الإسفرايني، وأبواسحاق الشيرازي وأبوحامد الغزالي والفخر الرازي ومحمد ابن عبد الكريم الشهر ستاني وغيرهم [٢٥].

انتشر بين الناس رأي الأشعري وسموه رأي أهل السنة والجماعة. انتشر في العراق ثم في الشام ثم في سائر ممالك الدولة الأيوبية التي كانت تعاضده ثم في بلاد المغرب على يد ابن تومرت [٢٦] الذي رحل الى العراق وتلقى فقه الأشاعرة على الإمام أبي حامد الغزالي، وعاد إلى بلاده فنشر المذهب الأشعري هناك وصار مذهبا شائعا في تلك الجهات [٢٧].

٣- الجبرية

هم الذين قالوا إنه ليس للعبد قدرة مؤثرة في الأفعال، فنسبوا الأفعال جميعها إلى الله تعالى وإنما العبد آلة ينفذ ما كتب الله عليه.

تعددت مقالات الجبرية، وانقسمت الى فرق عديدة، وسميت كل فرقة باسم منشئها فمنهم الجهمية نسبة إلى جهم بن صفوان، والنجارية، نسبة الى الحسن بن محمد النجار والضرارية، أصحاب ضرار بن عمرو، ولكل منهم أقواله واحتجاجاته ٢٨.

٤- الخوارج

ظل الخوارج في الدولة العباسية، كما كانوا في الدولة الأموية، يعارضون الدولة ويعتقدون بظلم الخليفة وأن خلافته غير شرعية لأنها لم تنعقد باجماع المسلمين أورضاهم، الا أنهم لم يكونوا على درجة من القوة إلى الحد الذي يشكل تهديدا لدولة بني العباس، فحروبهم مع الأمويين وانقساماتهم العديدة، فلت سيوفهم وكسرت شوكتهم، فلم يستطيعوا في العصر العباسي الأول إلا القيام بثورات صغيرة ليس لها شأن يُذكر،وأشهرها ثورة الوليد بن طريف الشيباني الشاري الذي خرج على هارون الرشيد سنة ١٨٧ للهجرة وانتصر على جيوشه في بعض المواقع، وكان الوليد يرمي هارون الرشيد بالجور والظلم، فبعث إليه الرشيد جيشا بقيادة يزيد بن مزيد الشيباني، واقتتل جيشا القائدين الشيبانيين وكان الوليد بن طريف يقاتل جيش العباسين وهويرتجز:

أنا الوليد بن طريف الشاري قسورة لا يُصطلى بناري

جوركم أخرجني من داري

وحلت الهزيمة بجيش الوليد بن طريف وقُتل، فأرادت أخته الفارعة بنت طريف أن تأخذ بثأره فهجمت على جيش العباسين ويزيد بن مزيد يصيح بها:

ارجعي فقد فضحت العشيرة، لأنها تنتمي الى عشيرته بني شيبان، وكانت الفارعة شاعرة فرثت أخاها بأشعار منها قصيدة مطلعها:

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف

وكان الخوارج قد قاموا قبل ذلك بثورة كبيرة في المغرب زمن أبي جعفر المنصور استولوا فيها على مدينة القيروان.

وبعد العصر العباسي الأول، حدث بعض الثورات من الخوارج كثورة مساور بن عبد الحميد الشاري في الموصل سنة ٢٥٢ للهجرة وانضم اليه هارون بن عبد الله البجلي، فشكلا خطرا كبيرا على الدولة العباسية طيلة حياتهما.

وفي المغرب اشتد نفوذ الخوارج بزعامة أبي يزيد بن كنداد، وظلت ثورته حتى سنة ٣٣٦ للهجرة عندما مات متأثرا بجراحه، وتحالف هارون الشاري مع حمدان بن حمدون التغلبي جد سيف الدولة، واستوليا على قلعة ماردين قرب الموصل، فحاربهما الخليفة المعتضد سنة ٢٨١ للهجرة، فهرب حمدان، وانقلب الحسين بن حمدان على هارون، فحاربه وهزمه، فكان ذلك سببا في إنشاء الدولة الحمدانية التي اشتهر من ملوكها سيف الدولة بن عبد الله بن حمدان بن حمدون.

خلاصة القول: إن الخوارج في العصور العباسية شكلوا بعض الخطر أحيانا ولفترات قصيرة في مناطق محدودة، لكن بشكل غير كبير.

٥- المرجئة

للإرجاء أكثر من معنى فمنها التأخير كقوله تعالى " أرجه وأخاه " ومنه زرع الرجاء في القلوب.

ومـلخص قـول المرجئة: إننا لا نستطيع أن نحكم على مصير إنسان، أهو للجـنة أم للنار من ظاهر عمله، بل نرجئ الحكم عليه إلى يوم القيامة، والله بصير بعباده وهوولي أمرهم.

وقد انقسم المرجئة إلى فرق كثيرة، وعدَّد الشهرستاني ست فرق منهم، ولكل فرقة أقوالها وحججها.

ب- فرق الشيعة

كان العصر العباسي عصر الفرق الكثيرة للشيعة، إذ كثرت الانقسامات بينهم حتى تجاوزت فرقهم السبعين، إلا أننا نقسم الشيعة قسمين رئيسيين هما: الغلاة وغير الغلاة.

أمـا الغلاة فهم الذين قالوا بألوهية علي بن أبي طالب وألوهية أولاده مـن بعـده وهؤلاء خارجون عن ملة الإسلام، وقد أفتى علماء السنة والشيعة بكفـرهم وبأنـه لا يحل طعامهم ولا تنكح نساؤهم وينبغي مقاطعتهم وترك الـتعامل معهم بأي شكل من الأشكال، أفتى بذلك من علماء السنة ابن تيميه وغـيره وأفتى به من علماء الشيعة العالم الشهير ومرجعهم في النجف الأشرف محمد الحسين آل كاشف الغطاء يقول:[٢٩] (وما يسمونهم غلاة الشيعة كالخطابية والغرابية والمخمسة والبزيعية وأشباههم من الفرق الهالكة التي نسبتها إلى الشيعة مـن الظلم الفاحش، وما هي إلا من الملاحدة كالقرامطة ونظرائهم. أما الشيعة الإمامية وأئمتهم عليهم السلام، فيتبرءون من تلك الفرق براءة التحريم على أن تلك الفرق لا تقول بمقالة النصارى بل خلاصة مقالاتهم، بل ضلالاتهم أن الإمام هو الله سبحانه، ظهورا أواتحادا أوحلولا).

والعـــالم الشيعي اللبناني الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه (مع الشيعة الامامـــية) يقول: وأجمع علماء الإمامية على نجاسة الغلاة، وعدم جواز تغسيل ودفـــن موتاهم، وعلى تحريم إعطائهم الزكاة، على أنه لا يحل للغالي أن يتزوج المسلمة ولا للمسلم أن يتزوج الغالية، مع أن الإمامية أجازوا الزواج بالكتابية، ويرث منهم المسلمون، ولا يرثون من المسلمين.

هذا هوموقف السنة والشيعة من طوائف الغلاة.[٣٠]

أمـــا غـــير الغـــلاة فهم الذين لا يتجاوزون في الإمام علي وأبنائه حد الاعتقاد أنهم عباد الله الصالحون ذوو القدر العلي والزلفى عند الله تعالى لقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم آل البيت الكريم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، ولما كانوا عليه من ورع وتقوى وعلم جم.

ومهما بالغ هؤلاء في تقدير منـــزلة الأئمة إلا أن كلامهم ظل في إطار توحيد الله تعالى والاعتقاد بنبوة محمد عليه السلام وبفضله على سائر البشر بمن فيهم الأئمة الكرام علي وأبناؤه.

وفـــرق الغـــلاة فـــرق بائدة منقرضة إلا فرقة النصيرية وهي لا تجاهر بأفكارهـــا، بل تعلمها لأبنائها فقط، أما الشيعة المعاصرون والذين يعنينا أمرهم فهـــم المعـــتدلون الذين لم يتجاوزوا حد توحيد الله تعالى، وهم الشيعة الإمامية الاثـــنا عشرية والشيعة الزيدية، ويعنينا بالدرجة الأولى الاثنا عشرية الذين هم أصحاب المقالات التي سأقارن بينها وبين مقالات أهل السنة.

تعريف ببعض الفرق الغالية

١- الخطابية

هم أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي، مولى بني أسد.

زعم أبوالخطاب أن الأئمة أنبياء ثم آلهة، وقال بتأليه جعفر الصادق وتأليه آبائه رضي الله عنهم، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، وكان يقول: الإلهية نور في النبوة، والنبوة نور في الإمامة.

وعندما وقف جعفر الصادق، رضي الله عنه، على غُلُوِّه الباطل، تبرا منه ولعنه وأمر أصحابه بالبراءة منه واللعن عليه.

ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور على خبث دعوته، قتله بسبخة الكوفة وافترقت الخطابية بعده فرقا.[٣١]

٢- الغرابية

هم قوم ادعوا أن عليا أولى بالنبوة من محمد، وأن عليا كان يشبه محمدا شبه الغراب بالغراب، فنزل جبريل بالرسالة على عليٍّ وصادف محمدا فأعطاه الرسالة وكان من أقوالهم إن عليا يشبه محمدا شبه الغراب بالغراب وشبه الذباب بالذباب[٣٢].

ويرى بعض الدارسين أن الذين قالوا بشبه الذباب بالذباب هم فئة أخرى تسمى الذبابية، كانت تقول بصحة نبوة محمد وأنه أشبه بالإله من الذباب بالذباب[٣٣].

وكلا الفرقتين بائد منقرض ليس له بقية.

٣- العلباوية

هم أصحاب العلباء بن ذراع الدوسي، كان يفضل عليا على النبي صلى الله عليه وسلم وزعم أن عليا بعث محمدا، وسمى عليا إلهاً، وكان يقول بذم محمد صلى الله عليه وسلم، وزعم أنه بعث ليدعوإلى علي، فدعا إلى نفسه. ويسمون هذه الفرقة: الذميمة.

٤- المخمِّسة

هم الذين قالوا بإلهية أصحاب الكساء الخمسة. وأصحاب الكساء هم: علي وفاطمة والحسن والحسين بالإضافة إلى رسول الله. دخل عليهم رسول الله ذات يوم فضمهم إليه وأحاطهم بكسائه وقال: (اللهم إن لكل نبي أهلا وثقلا وهؤلاء أهل بيتي وثقلي فسموا أصحاب الكساء[٣٤].

فهم أربعة والنبي خامسهم، قال المخمسة: خمستهم شيء واحد، والروح حالة فيهم بالسوية [٣٥].

٥- البزيعية

أصحاب بزيع بن يونس الذي قال بألوهية جعفر الصادق، وأنه ظهر في شخص وإلا فهوفي الحقيقة منزه عنه، وأنه أفضل من جبريل وميكائيل، وأن من بلغ الكمال لا يموت، وإنما يرفع إلى الملكوت.

وادعى أتباع هذه الفرقة معاينة أمواتهم وأنهم يرونهم بكرة وعشيا[٣٦].

٦- السبئية

أصحاب عبد الله بن سبأ الذي قال لعلي: أنت أنت، يعني: أنت الإله، فنفاه الى المدائن، زعموا أنه كان يهوديا فأسلم. وهوأول من قال بالغيبة والرجعة وقال بتناسخ الجزء الالهي من الأئمة وقيل إن الذي واجه عليا بالقول المنكر هم أتباع ابن سبأ، وذلك بعد أن نفاه علي إلى المدائن، فأمر علي خادمه قنبر أن يوقد لهم نارا خارج الكوفة، ويلقيهم فيها، فجعلوا يقولون وهم يلقون في النار: الآن صح عندنا أنه الله[٣٧].

٧- النصيرية

ويسمون أنفسهم العلوية، وقد أسس هذه الفرقة محمد بن نُصير النميري في زمن الإمام أبي الحسن علي الهادي العسكري المتوفى سنة ٢٥٤ للهجرة.

زعم ابن نصير أن الحسن العسكري بعثه نبيا، ذلك أن أبا الحسن إله هووآباؤه الى علي ابن أبي طالب. واستشهد على ألوهية علي بقلعهِ باب حصن خيبر، وكان يحتاج الى خمسين رجلا لقلعه، فقلعه علي وحده، وبقوله صلى الله عليه وسلم: فيكم من يقاتل على تأويله (تأويل القرآن) كما قاتلت على تنزيله، وقوله صلى الله عليه وسلم: أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر قال النصيريون: إن التنزيل متصل بالظاهر، أما التأويل فمن أمور الباطن التي يتولاها الله. وقد تولى علي جانب ا لتأويل في حربه لمعاوية وأصحابه، وكان أصحاب علي يرتجزون في معركة صفين:

خلوا بني الكفار عن سبيله ... لقد ضربناكم على تتريله
واليوم نضربكم على تأويله ... ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله

لقد قاتل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المشركين وكانت حالهم في الكفر ظاهرة، أما علي فقد قاتل المنافقين، وحالهم في الكفر باطنه مستترة. وهذا دليل عند النصيرية على ألوهية علي.

ذكر الشهرستاني في الملل والنحل أن النصرية يشبهون عليا بعيسى بن مريم عليه السلام، لقول النبي لعلي: لولا أن يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى بن مريم عليه السلام لقلت فيك مقالاً.[38]

الاسماعيلية والفرق المنبثقة عنها

الإسماعيلية نوعان: نوع قال بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق وأن الإمامة لم تنتقل منه إلى غيره وهؤلاء يسمون الإسماعيلية الواقفة، ونوع قال بأن الإمامة انتقلت إلى أولاده وأحفاده وهؤلاء هم الفاطميون.

أ- الاسماعيلية الواقفة أو السبعية

هؤلاء أنصار إسماعيل بن جعفر الصادق والذين قالوا بإمامته، وقالوا ببطلان إمامة أخيه موسى الكاظم الذي مات في حبس الرشيد، وقال الإسماعيلية الواقفة: إن الإمام موسى الكاظم كان إماما بنفسه لكنه لا يستطيع نقل الإمامة إلى أولاده، فهومستودع إمامه كالحسن بن علي عليهما السلام، فالأثنا عشرية يعدون الحسن بن علي إماما لكنه لا ينقل الإمامة إلى أولاده، وإنما

هـي في أولاد الحسين عليه السلام، وكذلك قال الإسماعيلية في موسى الكاظم فالإمامة في إسماعيل لأن أباه جعفر الصادق عليه السلام، نص على إمامته برضى أولاده جميعا، وتوفي إسماعيل بن جعفر الصادق في حياة أبيه، فقال قوم: إنه المهدي المنتظر، وانه لم يمت، وإنما أظهر أبوه موته تقية من بني العباس الذين أخذوا يبطشون بأبناء علي وأبناء عقيل،وأراد أبوه أن يقتنع بنوالعباس بموته فيكفوا عن ملاحقته ومحاولة القضاء عليه.

وقال آخرون: إنه مات وأورث الإمامة لأبنائه من بعده، وأخذوا يدعون إلى أبناء إسماعيل سرا وفي أماكن بعيدة عن العاصمة بغداد كي يكونوا بمنآى عن بطش الخليفة العباسي وهؤلاء هم فرق الباطنية سموا بهذا الاسم لقولهم إن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا [٣٩].

ب- الفاطمية

هم الذين أسسوا الدولة الفاطمية في المغرب أولا ثم انتقلت إلى مصر، ويزعم الفاطميون أنهم من نسل إسماعيل بن جعفر الصادق.

نجحت الدعوة الفاطمية في المغرب على يد أبي عبيد الله الشيعي الذي سار إلى المغرب من مكة مع عدة من الحجاج المغاربة الذين استمالهم إلى دعوته.

نشأت دولة الفاطميين في المغرب أولا ثم امتد نفوذها إلى مصر في زمن المعز لدين الله الفاطمي، وقد فتح مصر للفاطميين قائدهم الشهير جوهر الصقلي. وصارت القاهرة عاصمة الخلافة الفاطمية، وامتد نفوذ الدولة الفاطمية إلى الشام واليمن والجزيرة العربية وأقطار أخرى.

كانـــت العلاقة بين الفاطميين والعباسيين العداء، للمنافسة التي كانت بـين الدولتين ولقد وقف البويهيون الشيعة مع العباسيين السنة ضد هذه الدول الشيعية وشكك البويهيون في صحة نسب الفاطميين إلى علي وفاطمة وأصدروا وثيقة تبطل هذه النسبة [٤٠].

ظلت دولة الفاطميين قائمة في مصر إلى أن توفي آخر خلفائها العاضد سـنة ٥٦٧ لـلهجرة وكان وزيره صلاح الدين الأيوبي سنياً يعمل تحت إمرة السلطان نور الدين محمود زنكي. وكانت مصر قد تعرضت لغزوات الصليبيين أكـثر مـن مرة ولم يكن للخليفة العاضد قدرة على رد الغزاة ولا على إدارة شـؤون البلاد، فالتف الجميع حول صلاح الدين، وعدّه المصريون سنةً وشيعة، حامياً لهم ٤١.

واشـتد المرض بالعاضد وتوفي في العاشر من المحرم سنة ٥٦٧ للهجرة، وكان صلاح الدين قد أقام، الطواشي بهاء الدين قراقوش على القصر قبل وفاة العاضـد الفاطمي، وأسكن أولاد العاضد وأعمامه وسائر أسرته في جناح منه، وأخرج الموالي من الذكور والإناث منه وأعتق بعضهم.

هكذا قضي على الدولة الفاطمية بعد أن حكمت مصر أكثر من قرنين مـن الـزمان، وكان عصرها عصر يسر ورخاء وثقافة وتسامح ديني بشهادة المؤرخين السنيين [٤٢].

ج - الفرق المنبثقة عن الفاطمية

انبثقت عن الدعوة الفاطمية الإسماعيلية فرق عدة أشهرها: الحشاشون والقرامطة والدروز وهذه لمحة عن كل واحدة منها.

١- الحشاشون

ويسمون النزاريه، لأنهم كانوا يدعون إلى نزار ابن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله. وكان المستنصر قد توفي سنة ٤٨٧ للهجرة قبل أن تتم البيعة لابنه الأكبر نزار، فبادر وزيره إلى أخذ البيعة للشقيق الأصغر، أبي القاسم أحمد، ولقبه المستعلي بالله فقام النزاع بين أنصار الفاطميين في مصر، منهم من مال إلى نزار ومنهم مال إلى أخيه أبي القاسم، ولجأ أنصار نزار إلى الدعوة السرية وانتشروا في بقاع عديدة من العالم الإسلامي. وكان من أشهر دعاة النزارية الحسن بن صباح الحميري الذي نظم أصحابه تنظيما دقيقا. وكان يقيم في قلعة ألموت (بفتح الهمزة واللام) بنواحي قزوين في بلاد الأتراك وكان لأتباعه قلاع منتشرة في الشام وآسيا الصغرى وإيران.

كان الحشاشون يلجؤون إلى إرهاب خصومهم عن طريق اغتيالهم، وكان الاغتيال يتم على أيدي الفدائيين المدربين تدريبا جيدا والمعبئين معنويا بشكل غريب.

كانت قلعة الحشاشين حصينة لا سبيل إلى اقتحامها إلا بقوات كبيرة ولم يتمكن أحد قبل هولاكو من اقتحام قلاعهم وإلحاق الهزيمة بهم ولقد ألقى الحشاشون الرعب في القلوب، وكانوا إذا أرادوا إنذار أحد الخصوم، أرسلو إليه أحد الفدائيين، فيتسلل إلى غرفة نومه بخفة ورشاقة ويغرس خنجرا في مخدته، قرب رأسه، ليعلم أن قتله يسير عليهم إذا أرادوا ذلك.

أما شدة إخلاص الفدائي وتفانيه في خدمة قائده، فيعود إلى قناعته بأنه سيدخل الجنة إذا نفذ مهمته، وكانوا عند تهيئة الفدائيين لمهمتهم، يسقونهم منقوع الحشيش، ثم يدخلونهم إلى القلعة أربعة أربعة، وفي القلعة قصور شاهقات وأنهار من عسل ولبن وفتيات في غاية الفتنة والجمال وفواكه من كل نوع، وأطعمة مما لذ وطاب، ويمكث الفدائي أياما قليلة في القصر الذي يوهمونه أنه جنة الخلد التي ورد ذكرها في القرآن، ولا ينال من اللذة المتوفرة إلا القليل، ثم يخرجونه من القلعة ويرسلونه إلى تنفيذ المهمة، ويقولون له: إذا أنت قتلت، دخلت الجنة وإذا نجوت دخلتها أيضا ونلت فيها كل ما تريد، بذلك يتفانى الفدائيون في أداء مهماتهم.

نشأت بين الحشاشين وبين صلاح الدين عداوة شديدة لأنه استأثر بالسلطة دون الخليفة الفاطمي العاضد وقطع الدعوة للعاضد وجعلها للخليفة العباسي ثم ألغى الخلافة الفاطمية.

وكانت أعظم العداوة وألدها بين الحشاشين والدولة السلجوقية، وهم الذين قتلوا الوزير السلجوقي الشهير نظام الملك. الذي بنى المدرسة النظامية ببغداد [٤٣].

٢- القرامطة

تنسب هذه الدعوة إلى رجل اسمه حمدان بن أشعث وكان يلقب بقرمط لتقارب أعضائه.

التقى به بعض دعاة الإسماعيلية في سواد الكوفة وجنده لهذه الدعوة، فالقرامطة دعاة إسماعيليون إلا أنهم امتازوا بالنشاط والقدرة على التحرك وعلى

إذكاء الفتن في سواد الكوفة وفي العراق عموما وبادية الشام وفي أكثر أرجاء سورية وفي البحرين حيث أقاموا حكما قويا وكانت هزيمتهم في البحرين على يد الجيوش العباسية والسلوجقية، وهرب القرامطة إلى الاحساء فلاحقتهم جيوش العباسيين والسلاجقة وانتصرت عليهم في موقعة الخندق سنة ٤٧٠ للهجرة وفي هذه المعركة قضي على دولة القرامطة التي استمرت قرنين ترتكب أشنع الجرائم[٤٤] ومن أشنع ما ارتكبوا من الجرائم مهاجمتهم حجاج بيت الله الحرام وذبحهم الكثيرين منهم قرب الكعبة وقلعهم الحجر الأسود وقد أخذوه معهم إلى البحرين وظل عندهم أربعين سنة حتى استعاده العباسيون، وكانت هذه الحملة بقيادة أبي طاهر القرمطي، وإليه أشار المتنبي بقوله:

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ... ويستبيح دم الحجاج في الحرم

٣- الدروز

نشأت هذه الفرقة في أوائل القرن الخامس الهجري، وهم من غلاة الإسماعيلية، وقد ألهوا الحاكم بأمر الله الفاطمي وخرجوا بذلك عن الإسماعيلية المعتدلين الذين يمثلون المدرسة الإسماعيلية القديمة.

يعتبر حمزة بن علي المؤسس الحقيقي لمذهب الدرزية، لكنها نسبت إلى أحد دعاتها المشهورين هومحمد بن إسماعيل البخاري الدرزي، نسبة إلى الدرز وهوالثوب.

والدرزي (بفتح الدال): الخياط، والشائع اليوم دروز وهوخطأ، والصحيح درزية أو: درزيون.

والدرزي كان وراء فكرة تأليه الحاكم بأمر الله الفاطمي، وكان الحاكم يتظاهر بعدم قبول هذا القول إلا أنه كان يرضى به في السر ويشجعه.

ومن أهم ميزات الدرزية اتخاذهم تاريخا جديدا يؤرخون به حوادثهم وهوسنة ٤٠٨ للهجرة، وهي السنة التي ظهرت فيها مقالة تأليه الحاكم. وتبيّن من الكتب التي ألفها حمزة بن علي وغيره من دعاة الدرزية أن هذه الدعوة لم تخرج عن كونها دعوة إسماعيلية غالية، ومذهبهم لم يخرج عن المذهب الإسماعيلي في جوهره، ويقوم مذهبهم على آراء فلسفية مصدرها عقائد الباطنية والمعتزلة[٤٥].

وينقسم الدرزية إلى طائفتين: طائفة الروحانيين وطائفة الجسمانيين.

أما الطائفية الأولى فهي التي تلم بأصول المذهب الدرزي وتنقسم إلى رؤساء وعقلاء وأجاويد. فالرؤساء هم الذين بيدهم الأسرار الداخلية التي تتعلق بالتنظيم الداخلي، والأجاويد بيدهم مفاتيح الأسرار الخارجية التي تختص بعلاقة مذهبهم بغيره من المذاهب. أما طائفة الجسمانيين فتنقسم الى قسمين: الأمراء الجسمانيون وبيدهم شؤون الحرب، والزعامة الوطنية، والعامة أوالجهال ولا يعرفون من أصول المذهب إلا اسمه.

ولا يسمح لأحد من طائفة الجسمانيين بالانتظام في طائفة الروحانيين إلا بعد اجتياز اختبار طويل صعب، يظهر فيه استعداده لتلقي أصول المذهب الدرزي.

يقول الدكتور حسن إبراهيم حسن: الدروز يرمون المعتدلين الإسماعيلية بالجمود كما يكفرون في الوقت نفسه المسلمين عامة ويسموهم بالكفار أو

المشركين، في الوقت الذي يطلقون على أنفسهم الموحدين، في حين نرى سائر المسلمين يكفرون الدروز ولا يعدونهم من الفرق الإسلامية[٤٦].

وكان حمزة بن علي يلزم المستجيب للدعوة الدرزية بقسم جاء فيه: توكلت على مولانا الحاكم الفرد الصمد المنزه عن الأزواج والعدد، أقر فلان بن فلان إقراراً أوجبه على نفسه أنه تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات كلها على أصناف اختلافاتها، وأنه لا يعرف غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره، وأنه لا يشرك في عبادته أحدا مضى أوحضر أوينتظر، وأنه قد سلّم روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملكه لمولانا الحاكم جل ذكره ورضي بجميع أحكامه[٤٧].

بعض التشريعات الدرزية

مما وجد في وثائقهم مما يتعلق بالشريعة: عدم الموافقة على تعدد الزوجات وعدم إباحة الطلاق بسهولة، ولا ترد المطلقة لمن طلقها، ولوتزوجت شخصا آخر، وهم يحرصون على حجاب المرأة حجابا كاملا، ولا يتبع الدروز نظام المواريث في الإسلام.

وقد أسقط الدروز عنهم بعض العقائد الإسلامية كالصلاة والصوم والحج والتزموا بخصال بديلة تسمى الخصال التوحيدية، أهمها: صدق اللسان، وحفظ الأفواه،، البراءة من الطغيان، والتوحيد لله والخضوع التام للإرادة الإلهية. وقد أصبحت هذه القاعدة الأخيرة المشتملة على عقيدة القضاء والقدر في التعليم الدرزي.

ولهم كتب مقدسة تردد هذه الشعارات.

وهم يرون أن الحاكم تجلى لهم وقدر لهم هذه التعاليم.

للدروز أعيادهم ومناسباتهم الدينية الخاصة بهم، ومنازلهم في بلاد الشام، سوريا وفلسطين وجبل لبنان وكان لهم دور بارز في كثير من الأحداث التاريخية الهامة التي شهدتها هذه المنطقة.

هذه لمحة عن فرق الإسماعيلية، يتبين لنا منها أن في الإسماعيلية معتدلون وهم من جملة الإمامية، ومنهم من ألهوا الحاكم بأمر الله الفاطمي وهم الدروز، وهؤلاء غلاة خرجوا من الملة الإسلامية ومنهم أصحاب البدع والمقالات الفلسفية التي أدخلتهم في الضلالات كقولهم: إن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلا، فأولوا القرآن الكريم وفقا لأهوائهم، ومن بدعهم المستهجنة قولهم: إنا لا نقول في الله عز وجل انه موجود أولا موجود ولا نقول هوعالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز[48].

ومنهم من اتخذ من الجريمة منهجا ومصدرا لجمع المال كالقرامطة.

فرق الشيعة غير الغالية

هذه الفرق هي التي يعنينا أمرها لأن أتباعها مسلمون كأهل السنة ولهم دور أساسي في المسيرة الإسلامية في الماضي والحاضر والمستقبل.

هذه الفرق آمنت بوحدانية الله تعالى وبرسالة محمد وبأن عليا وأبناءه من عباد الله المخلصين، وأشهر هذه الفرق: الاثنا عشرية، والزيدية، وهناك فرقة بائدة، لا بأس من الحديث عنها هي المختارية لأن بعض معتقداتها كان اللبنة الأولى في بناء صرح التشيع، أما الاثنى عشرية فهي واحدة من فرق الإمامية

وفرق الإمامية كثيرة، وسوف أوجز الحديث عن الإمامية، ثم يأتي الحديث عن الأثني عشرية مفصلا بإذن الله.

١- المختارية

هـي أقدم فرق الشيعة وكان ظهورها واختفاؤها في العصر الأموي، وتنسـب هذه الفرقة إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي، وهورجل من ثقيف كان متقلب المذاهب بدأ خارجيا ثم انقلب زبيريا ثم انقلب شيعيا.

دعـا المختار إلى محمد بن علي بن أبي طالب وذلك بعد مقتل الحسين ابن علي، وبعد أن انقلب المختار على عبد الله بن الزبير الذي كان يدعولنفسه بعـد استشهاد الحسين. أما محمد بن علي فيدعى ابن الحنفية نسبة إلى أمه خولة ابنة جعفر وهي جارية من بني حنيفة جيء بها سبيا بعد حرب الردة التي خاضها بنو حنـيفة بقيادة مسيلمة الكذاب ضد جيوش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد، فتسرى بها علي كرم الله وجهه، وذلك بعد وفاة فاطمة فولدت لـه محمدا.

تخـتلف مواقف مؤرخي السنّة عن مواقف مؤرخي الشيعة من المختار فـيراه الشـيعة من أنصار آل البيت، وهوالذي انتقم من المجرمين قتلة الحسين وإخوتـه، حـين قاد جماعة التوابين، وظل وفياً للبيت النبوي إلى أن استخلص مصعب بن الزبير العراق منه وقتله.

أمـا مؤرخوالسـنّة فيرون أن المختار جاء بالبدع وعلى رأسها البداء، وكان ذا مطامع ذاتية اتخذ من الولاء لآل البيت سلّما إليها.

يقول الشهرستاني في الملل والنحل: وإنما حمله على الانتساب إلى محمد ابن الحنيفة حسن اعتقاد الناس في محمد، وامتلاء القلوب بمحبته.

كان محمد بن الحنيفة كثير العلم، غزير المعرفة، وقّاد الفكر، مصيب الخاطر في العواقب وقد أخبره علي رضي الله عنه عن أحوال الملاحم ومدارج المعالم، واختار العزلة فآثر الخمول على الشهرة. وقد قيل: إنه مستودع علم الإمامة حتى سَلّم الأمانة الى أهلها، وما فارق الدنيا الا وقد أقرها في مستقرها، فجعلها لمن هوأحق بها بانتسابه إلى فاطمة، وهوابن أخيه علي بن الحسين زين العابدين، الإمام الرابع[49].

كان محمد بن الحنيفة على خلاف مع ابن الزبير فحبسه ابن الزبير في سجن عارم بمكة، فقال كثير عزة، وكان من شيعة ابن الحنيفة:

تخبِّر من لاقيت أنك عائذ	بل العائذ المظلوم في سجن عارم
وصي النبي المصطفى وابن عمه	وفكاك أغلال وقاضي مغارم
ونحن بحمد الله نتلوكتابه	حلولا بهذا الخيف خيف المحارم
ومن ير هذا الشيخ بالخيف	من منى من الناس يعلم أنه غير ظالم
بحيث الحمام ساكن الروع آمن	وحيث العدوكالصديق المسالم
فما فرح الدنيا بباقٍ لأهله	ولا شدة البلوى بضربة لازم[50]

ظهرت دعوة المختار في العراق فاستجاب لها كثيرون من الذين ندموا على تخاذلهم في نصرة الحسين وسموا أنفسهم التوابين، فانضموا إلى المختار ليكفروا عن ذنوبهم بقتال عبيد الله بن زياد باعتباره المسؤول الأول عن قتل الحسين، إذ كان ابن زياد والي العراق في زمن يزيد، وهوالذي قتل مسلم بن عقيل ثم أرسل حملة إلى الطف في أرض كربلاء بقيادة عمر ابن سعد بن أبي وقاص وأمره أن (يجعجع) بالحسين، أي أن يقاتله ويقتله بالصوت المدوي، لا

بالسر، وكان ما أراد ابن زياد، إذ استشهد الحسين وآل البيت النبوي ممن الرجال الذين حضروا تلك الموقعة وحملت بنات رسول الله سبايا إلى يزيد في الشام.

وقويت شوكة المختار في العراق وكثر أتباعه وقاتل عبيد الله بن زياد وقتله، فأصبح المختار حاكم العراق غير منازع حتى جاء مصعب بن الزبير فقاتل المختار وقتله وخلص العراق لأخيه عبد الله،وظلت العراق تابعة لابن الزبير حتى جاء عبد الملك على رأس جيش وقاتل مصعبا وقتله وأخضع العراق لطاعته ثم ولى عليها الحجاج الذي قضى على خطر الثورات فيها طيلة فترة ولايته.

كان شيعة ابن الحنفية يعتقدون أنه لم يمت وأنه في جبل رضوى قرب المدينة بين أسد ونمر يحفظانه وعنده عينان نضاختان بماء وعسل، وأنه يعود بعد الغيبة فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا.

اشتهرت في هذا المجال أبيات لكثيرعزة حول عقيدة الغيبة، وهي:

إلا إن الأئمة من قريش	ولاة الحق أربعة سواء
عليٌّ والثلاثة من بنيه	هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط أيمان وبر	وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى	يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا	برضوى عنده عسل وماء

بعد وفاة ابن الحنيفة قال قوم بانتقال الخلافة منه إلى ابنه أبي هاشم، وبعد وفاة أبي هاشم افترق أصحابه فرقا عديدة. ويزعم العباسيون أن أبا هاشم عندما شعر بدنوأجله تنازل عن الخلافة لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس

وكانت هذه إحدى حجج العباسيين في جدالهم للعلويين حول حقهم في الخلافة.[51]

إلا أن العباسيين لم يظهروا هذه الحجة إلا بعد قيام دولتهم، وإنما ظلوا يدعون في السر إلى الرضا من آل البيت.

٢- الزيدية

تنسب الزيدية إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. عاش الإمام زيد ردحا من حياته في البصرة وتتلمذ فيها لواصل بن عطاء إمام المعتزلة ومؤسس فرقتهم.

كان واصل يرى أن أمير المؤمنين عليا، كرم الله وجهه، في حروبه التي خاضها مع أصحاب الجمل وأهل الشام، لم يكن على يقين من الصواب، وأن أحد الفريقين كان على خطأ ولا نستطيع تعيينه. فاقتبس زيد الاعتزال من واصل وصار أصحابه كلهم معتزلة[52].

كان الإمام زيد يرى أنه ليس شرطا أن يكون خليفة المسلمين أفضلهم في أهم فضيلتين هما: العبادة والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان يجيز إمامة المفضول مع وجود الفاضل.

كان زيد يعتقد كما اعتقد غيره من أبناء علي، أن عليا، كرم الله وجهه كان الأفضل بين الصحابة جميعا، إلا أن غيره من أبناء علي كانوا يرون أن خلافة أبي بكر لم تكن الأولى لأن أبا بكر أخذ ما ليس له، فالخلافة بعد رسول الله حق لعلي بن أبي طالب لأن رسول الله جعل عليا وليا ووصيا في حديث غدير خم.

أما زيد فكان يرى أن مصلحة المسلمين اقتضت أن يكون الخليفة بعد رسـول الله علـيه السلام، أبا بكر الصديق، لأنه كان أقرب إلى اللين في عهد رسـول الله، فتوليته الخلافة جديرة أن تسكن ثائر الفتنة في نفوس من أسلموا حديـثا. أمـا عـلي فكان سيفه لا يزال يقطر من دماء المشركين، ولقد أسلم أبـناؤهم وأحفـادهم، ولم تخـل قلوبهم من الضغائن لمن قتل الآباء والأجداد والإخوة، ولوتولى الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأدى ذلك إلى ظهـور الفتنة وتمرد الكثيرين، فكانت مصلحة المسلمين أن يقوم بهذا الشأن من عـرفوه باللين والتؤدة والتقدم في السن والسبق في الإسلام والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويحتـج الإمـام زيد لصحة موقفه بأن أبا بكر واجه معارضة قوية من كـثير مـن المسلمين عندما أراد أن يستخلف عمر لشدته وصلابته وغلظته في الديـن وفظاظـته على الأعداء حتى سكتهم أبوبكر بقوله لوسألني ربي لقلت: وليت عليهم خيرهم.

كان هذا موقف المسلمين من عمر وكانت قدم الإسلام راسخة وكان الإيمـان مكينا في النفوس ولم يكن عمر قد قتل بسيفه من المشركين كما فعل علي، وإنما أخذوا عليه غلظته وشدة وطأته، فكيف سيكون احتجاج المسلمين لوتـولى عـلي الخلافـة، لا شك أن كثيراً منهم سيثور على الدولة الفتيَّة وأن مشكلة الردة ستكون أخطر بكثير مما كانت عليه، إذ ربما امتدت فتنة الردة إلى مكة والطائف اللتين ظلتا على ولائهما لأبي بكر مما هوّن أمر الردة.

وقال الإمام زيد: يجوز أن يكون المفضول إماما والأفضل قائما، فيرجع إليه في الأحكام ويحكم بحكمه في القضايا. ورفض أهل الكوفة مقالته ومالوا إلى

أخيه محمد الباقر وأصروا على أنه لا تجوز إمامة المفضول مع وجود الأفضل فسماهم أهل السنة الرافضة[53].

من عقائد الزيدية أن الإمامة حق لأولاد فاطمة ولا تجوز لغيرهم وأن كل فاطمي شجاع سخي خرج بالإمامة فهوإمام واجب الطاعة سواء أكان من أولاد الحسن أم من أولاد الحسين رضي الله عنهما، وجوّز قوم منهم إمامة محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي عندما خرج الأخوان على أبي جعفر المنصور، بينما يرى الامامية الأثنا عشرية أن الحسن رضي الله عنه كان مستودع إمامة، فهوأحد الأئمة لكنه لا يورث الإمامة لأولاده وإنما هي لأولاد أخيه الحسين.

روى المؤرخون أن زيدا زار دمشق في خلافة هشام بن عبد الملك ودخل على هشام فلم يحفل به ولا رجال بلاطه، فجلس حيث انتهى به مجلسه، فقال: يا أمير المؤمنين، ليس أحد يكبر عن تقوى الله، ولا يصغر دون تقوى الله، فانتهزه هشام وقال له: أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافة وأنت ابن أمة، فلما عاد زيد إلى الكوفة تبعه خمسة عشر ألفا من أهلها وقيل: أربعون ألفا، وحرضوه على الخروج، ولما ظهر أمره حاربه يوسف بن عمر الثقفي والي العراق من قِبَل هشام، فتفرق أصحاب زيد عنه وخذلوه، وحارب في نفر قليل فأصابه سهم في جنبه فمات من ساعته، ودفنه أصحابه في ساقية وأ جروا الماء على قبره مخافة أن يمثل به يوسف بن عمر، إلا أن بعض العبيد دله على موضع دفنه، فأخرج جثته وصلبها ثم أحرقها وذر رمادها في الفرات [54] وكان ذلك سنة ١٢١هـ.

وحمل لواء الثورة على الأمويين من بعده ابنه يحيى بن زيد وقاد ثورة في خراسان الا أن جيوش الأمويين انتصرت عليه فقتل يحيى وحُز رأسه وأُرسل الى الوليد بن يزيد في دمشق [55].

ولم يكن القضاء على يزيد وابنه يحيى قضاء على شيعته، التي ظلت تحمل مبادئه ولا تزال إلى يومنا هذا وتعرف بالزيدية.

وليس الزيدية وحدهم يبجلون الإمام زيدا ويعظمونه، فالامامية الاثنا عشرية يعظمونه أيضا ويصفونه بكل فضيلة ويروون أحاديث نبوية تنبئ بخروجه ومحنته وأنه وأصحابه يدخلون الجنة بغير حساب [56]. والسنة يحترمونه كل الاحترام لفضله وقرابته.

٣- الإمامية

هم الذين قالوا بإمامة علي كرم الله وجهه وأنه كان أحق بها من أبي بكر وعمر وعثمان، وعندما آلت إليه الخلافة بعد عثمان، رجع الحق إلى أصحابه بعد طول غياب وأن أولاده هم الأئمة حقا وأنهم الخلفاء الشرعيون الذين حرموا من حقهم على أيدي الأمويين أولا ثم العباسيين بعد ذلك، فآل البيت الكريم وإن لم يستلموا السلطة الفعلية إلا أن لهم سلطة ربانية على كل مسلم ومسلمة، فعلى المسلمين الصالحين أن يأتموا بهم ويأتمروا بأوامرهم وينتهوا بنواهيهم، ولا يوالوا السلطان القائم ولا يرجعوا إليه أو إلى قضاته في الشكاوى إلا في حالة الخوف على النفس والمال والعرض، عندها لا بأس من طاعته تقية ودفعا للأذى، على أن تبقى طاعة الإمام الحقيقي هي النافذة والإمامة عند الشيعة الإمامية واجبة على الله تعالى، ويستدلون على ذلك بأمور منها:

أن تنصيب الإمام لطف من الله يحقق عبادة.

ويفصل الإمام الشيعي الأردبيلي الحديث عن لطف الله تعالى بقوله: إن لطف الإمامة يتم بأمور منها ما يجب على الله تعالى وهوخلق الإمام وتمكينه بالقدرة والعلم، والنص عليه باسمه ونسبه وكل هذا فعله الله تعالى، فقد اختار للمسلمين عليا فخلقه وأعطاه القدرة والعلم وبينه رسول الله للمسلمين بالتلميح والتصريح.

ومنها ما يجب على الإمام وهوتحمله الإمامة وقبوله لها، وهذا قد فعله الإمام علي كرم الله وجهه. ومنها ما يجب على الرعية وهومساعدته وقبول أوامره، وهذا لم تفعله الرعية، فحرموا أنفسهم لطف الله تعالى.

ومن أدلتهم على وجوب الإمامة أن الله تعالى قد بين ورسوله جميع الأحكام وليس هنالك من أفعال العباد وحاجاتهم إلا في الكتاب الكريم أوالسنة المشرفة فكيف يذكر أبسط ما يحتاج إليه المسلمون ويترك أعظم ما يحتاجون إليه وهوبيان منصب الإمام؟

وثالث الأدلة أن اختيار النبي بيد الله، لأن النبوة سر لا يطلع عليه الا الله وكذلك اختيار الإمام يرجع إلى الله تعالى لأن الإمامة سر لا يطلع عليه إلا هو، بالنظر إلى خطرها ونيابتها عن النبوة.

أما أهل السنة فيرون أنه لا غنى للمسلمين عن إمام، وأن تنصيب الإمام واجب على الناس لا على الله تعالى، استدلوا على وجوب تنصيب الإمام للمسلمين بإجماع الصحابة حتى جعلوا ذلك من الواجبات واشتغلوا به عن دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سارع كل من أبي بكر وعمر وأبي عبيده إلى سقيفة بني ساعدة،حيث كان نفر من الأنصار برئاسة سعد بن عبادة مجتمعين يتداولون أمر الخلافة قبل أن يتم غسله عليه السلام وتكفينه، وحُسم أمر الخلافة

ببيعة أبي بكر الصديق في جلسة واحدة لأهمية الموضوع وعدم احتمال تأجيله ولو بعض يوم.

فرق الإمامية

اتفق الأمامية على أن علي بن أبي طالب هو أول الأئمة الذين بوأهم الله هذا المنصب إذ هيأهم بالعلم والقدرة وجعل لهم الأحقية بقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ونزههم عن المعاصي (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)٥٧ وأن أولاده من بعده هم الذين خلقوا لهذا المنصب فاغتصب منهم حكام الجور الأمويون ثم العباسيون حقهم. فظلت سلطتهم قائمة على شيعتهم، والواجب على كل مسلم موالاتهم ومنابذة حكام الجور.

اتفقت فرق الأمامية على إمامة علي ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين الملقب زين العابدين ثم محمد بن زين العابدين والملقب الباقر، وتعددت أقوالهم في الإمام بعد الباقر:

فالجعفرية قالوا بإمامة جعفر الصادق وانه القائم المنتظر.

والموسوية قالوا إن موسى الكاظم هو المهدي المنتظر.

والإسماعيلية الذين أمنوا بإسماعيل بن جعفر الصادق وهكذا.

وأغلب هذه فرق بائدة إلا أن فرقة الأمامية التي ثبتت وتأصلت وعمت بلادا وشعوبا إنما فرقة الاثني عشرية وهي التي تهمنا بالدرجة الأولى، والتي سأقارن بين مواقفها ومواقف أهل السنة في كافة القضايا المختلف عليها.

الاثنا عشرية

هؤلاء هم اكثر الشيعة عدداً في أيامنا، وهم الأغلبية الساحقة في إيران وثلثا أهل العراق ولهم وجود واضح في أذربيجان وباكستان وأفغانستان ولبنان والأحساء وفي مناطق اخرى عديدة من العالم الاسلامي.

سموا الاثني عشرية لأن الأئمة عندهم اثنا عشر، بدءاً بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه وانتهاء بالمهدي المنتظر وهوالثاني عشر.

واعتقادهم بأن الأئمة اثناعشر، مستند إلى أحاديث نبوية عديدة واردة في صحاح أهل السنة وصحاح الشيعة تنبئ بأن الخلافة بعد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — تكون لاثني عشر خليفة، منها ما ورد في صحيحي البخاري ومسلم، روى كلاهما عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم يقول: (يكون اثنا عشر خليفة) ثم قال كلمة لم أسمعها، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: (هم من قريش)، وقوله — عليه السلام: (يكون بعدي من الخلفاء عدة أصحاب موسى)، وأحاديث أخرى تدور حول هذا المعنى وهي صحيحة عند أهل السنة، إلا أنهم يختلفون مع الشيعة في تحديد الأئمة ٥٦ فالشيعة يعدونهم اثني عشر إماماً هم علي وأحد عشر من أبنائه واحفاده، ولم يستلم أي منهم الإمامة بمعنى الخلافة إلا أمير المؤمنين علي، كرّم الله وجهه، ويعتمدون بذلك على أحاديث لا يرويها أهل السنة، أما مؤرخوالسنّة فيفهمون من الأحاديث أن الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم، خلفاء يتبوءون المناصب بالفعل، واتفقوا على أن من بين الاثني عشر الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز، ثم لم يحددوا السبعة الباقين.

الأئمة عند الاثني عشرية حسب تسلسلهم الزمني

١- علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

ابن عم النبي وأول من أسلم من الصبيان وأول فدائي في الإسلام، افتدى رسول الله بنفسه ونام في فراشه فخرج رسول الله ولم يحس به المشركون ونظروا إلى داخل الدار فرأوا رجلا نائما في فراشه فظنوه رسول الله وهو في الحقيقة علي.

وهو بطل المواقع، كان الأشجع والأبرع في الحروب والبر التقي في السلم، والجواد الذي أشاد القرآن بفضله في أكثر من آيه كريمة وفيه نزل قوله تعالى " ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا، إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا "[1] صدق الله العظيم[2].

وهو ذو المنزلة الرفيعة والمحبة العميقة في قلوب المسلمين من سنة وشيعة.

يلقب علي (حيدرة) وهو من أسماء الأسد، والكرار لشجاعته. وكنيته أبو الحسن، ويكنى أبا تراب لأن رسول الله عليه السلام رآه ذات يوم نائما في المسجد وعليه تراب فقال له قم يا أبا تراب.

لا تكفي السطور ولا الصفحات للتعريف بعلي بن أبي طالب وقد كتبت عنه المجلدات كان رضي الله عنه شخصية فذة متعددة المواهب وإمام تقى وهدى، هو عند أهل السنة يلي رسول الله في المرتبة، لكن إخوانه الخلفاء الراشدين الثلاثة الذين سبقوه، هم عند أهل السنة في مثل منزلته ومكانته. لكنه عند الشيعة أعظم أصحاب رسول الله وهو وصي رسول الله .

استشـــهد عـــلي رضي الله عنه سنة ٤٠ هـــ بينما كان يجهز الجيش للمســـير الى الشـــام وإنهـــاء تمرد معاوية. قتله الخارجي عبد الرحمن بن ملجم المرادي، قيل ان امرأة خارجية اسمها قطام قُتِل أبوها وأخوها في معركة النهروان حرَّضـــت عبد الرحمن بن ملجم على قتل علي ووعدته مقابل ذلك بالزواج منه بمهر مقداره ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة.

الشاعر:

فلا مهر أغلى من قطام وإن غلا | ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

ثـــلاثة آلاف وعبـــد وقينـــه | وضرب علي بالحســـام المسمم

وكان مقتله ليلة السابع عشر من رمضان وقيل ليلة الحادي والعشرين.

كـــان يعلم أنه سيموت قتلا، أخبره بذلك رسول الله الصادق الأمين، مثلما أودعه كثيرا من أسرار العلوم ومصائر الأمم.

قـــال رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم: يا علي، أتدري من أشقى الأولـــين؟ فقال: الله ورسوله أعلم، قال: أشقى الأولين عاقر ناقة صالح، ثم قال له: أتدري من أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم. فقال له، عليه السلام: قاتِلُك [٣].

وعندما خرج علي من بيته قاصدا المسجد في تلك الليلة، ثارت إوزات في وجهه يصحن، فأراد بعض أهل البيت ردَّهن فقال: دعوهن فإنهن نوائح [٤].

أما الوصية لخليفة بعده، فأهل السنة يقولون، إنه لم يوص لأنه أراد أن يلقـــى الله وهو خالي المسؤولية من تبعات الخلافة وقد تحمل أعباءها الجسام ما يـــربو على خمس سنوات، كل يوم فيها كان شهرا وكل شهر فيها كان دهرا لفرط ما لقي من العداوة والمكائد وقباحة الناس وحبهم للدنيا، وضعف التقوى في الـــنفوس، وقباحة تصرفات الخصم وعوج أساليبه، ونفاق المناصرين وكذبهم

وبعدهم عن الطاعة وقربهم من المعصية حتى تمردوا عليه وهو في أمس الحاجة ألى طاعتهم وذلك عندما حمي وطيس معركة صفين وصار نصر علي وجيشه قاب قوسين أوأدنى، ألزمه قادة جيشه من أهل العراق قبول التحكيم، ثم تمردوا عليه وكفروه لقبوله ذلك التحكيم المشؤوم وخرجوا عليه فحاربهم وهزمهم، إلا ان الموالـين لـه تفرقوا عنه بعد معركة النهروان، وظل يدعوهم ليتجهزوا للمسير الى الشام وظلوا يماطلون، فاذا دعاهم الى الخروج للقتال صيفا قالوا: أمهلنا إلى الشتاء، وإذا دعاهم إلى القتال شتاء قالوا: انظرنا الى الصيف، وما زالوا كذلك حتى استشهد.

أما الشيعة فيؤكدون أنه أوصى بالأمر من بعده لابنه الأكبر الحسن بن علي وسيأتي تفصيل ذلك باذن الله عند الحديث عن الوصية.

٢- الحسن بن علي بن أبي طالب المتوفي سنة ٤٩هـ:

ويلقب: المجتبى، وهو الذي تنازل لمعاوية عن الخلافة على أن تكون لـه من بعده مع شروط أخرى فمات في عهد معاوية.

٣- الحسين بن علي بن أبي طالب:

الـذي استشهد في كربلاء بالعراق سنة ٦١هـ ويلقب الشهيد، ولا يزال الشيعة في كل مكان يحيون ذكرى استشهاده في يوم عاشوراء من كل سنة ويـنوحون عليه ويضرب بعضهم نفسه بالسلاسل ويعتقدون أن ذلك زلفى لهم عند الله، وقد أفتى الإمام الخميني بتحريم إراقة الدماء في يوم عاشوراء، فأخذت هذه العادة تتقلص بالتدريج على أمل أن تختفي بشكل تام ونهائي.

٤- علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب:

ويلقب زين العابدين والسجاد، ويكنى أبا الحسن، كان كثير العبادة، عظيم الأخلاق، قال عنه الزهري: مارأيت قرشيا أفضل منه.

وكان يقال لزين العابدين: ابن الخيرتين، فخيرته من العرب قريش ومن غير العرب فارس؛ لأن أمه جيهان شاه بنت يزدجرد، آخر ملوك الفرس، جيء بها إلى المدينة سبيا فأهداها عمر للحسين بن علي فسماها سلافة وتسرى بها فولدت له عليا.

لذا فعلي بن الحسين من خيرة العرب من قبل أبيه وخيرة الفرس من قبل أمه.

كان علي مع أبيه في الطف يوم كربلاء فانحازت به النساء جانبا، وكان مصابا بالحمى وهو يومئذ غلام، فكان الوحيد الذي نجا من أبناء الحسين ومن جميع الرجال الذين حضروا تلك الموقعة وحمل على أثر المعركة مع النساء من ال بيته الى يزيد بن معاوية في الشام، ومكث في الشام مدة يسيرة ثم سار الى المدينة المنورة فعاش بقية حياته فيها. توفي سنة ٩٤ للهجرة.

٥- محمد الباقر بن زين العابدين.

قيل: لقب بالباقر لأنه تبقّر في العلوم أي: تبحر فيها، وقيل: لأنه بقر بطن العلم وأخرج كل أسراره ودفائنه توفي رضي الله عنه سنة ١١٣هـ.

٦- جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين.

لقب بالصادق لصدقه، وفضلُه أشهر من أن ينوه عنه بسطور قليلة.

كان الصادق أول أئمة الفقه في العصر العباسي فقد بدأ ينشر علمة في أواخر عصر بني أميه وما أطل العصر العباسي إلا وطلابه لا يحصَون كثرة ولقد تتلمذ عليه أول فقهاء السنَّة من أصحاب المذاهب، الإمام مالك بن أنس[6].

إلية ينسب المذهب الجعفري الذي سأفرد لـه فصلا خاصا بإذن الله.

كـان الإمام جعفر على علم جم ورثه عن آبائه الكرام، وتوارثه آباؤه كابرا عن كابرعن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

روى مؤرخـو السـنة أن محمد النفس الزكية وأخاه إبراهيم وهما من أبناءعـبد الله بـن الحسن (السبط) بن الحسن (المثنى) بن علي بن أبي طالب، عندما هما بالخروج على المنصور نهاهما الصادق وأخبرهما أنهما يقتلان، فصح ما أخـبرهما به، إذ قُتل محمد في المدينة وإبراهيم في العراق وكان الصادق قد نهى عمـته الإمـام زيد عن الخروج على هشام بن عبد الملك، وأخبره أن ثورته لن تكلـل بالنجاح وانه سيُقتل ويُصلب، وأبى زيد إلا الخروج وخاض حربا خذله فيها أصحابه ثم قُتل وصُلب في كناسة الكوفة[7].

ورد في تـاريخ الفخري أن بني هاشم من علويين وعباسيين اجتمعوا سرا في المدينة في أواخر العصر الأموي وتذاكروا أمر الخلافة وما يتعرضون لـه مـن الاضطهاد على أيدي بني أمية وأن الناس يميلون إليهم ويعلمون أنهم أحق بهـذا الأمـر من بني أمية، فاتفقوا على أن يدعوا الناس سرا قالوا: لابد لهم من رئيس يبايعونه فاتفقوا على مبايعة محمد النفس الزكية كلهم بمن فيهم أبو جعفر المنصـور، إلا الصادق فإنه أبى أن يبايع، وقال لعبد الله بن الحسن، والد محمد الـنفس الزكية: أن ابنك لا ينالها (يعني الخلافة) ولن ينالها الا صاحب هذاالقباء الأصفر (يعني المنصور وكان المنصور من جملة الحاضرين) وكان المنصور حينئذ

يـرتدي قـباء أصفر، فقال المنصور: فرتبتُ الأمر في نفسي من تلك الساعة ثم اتفقوا على مبايعة النفس الزكية فبايعوه [8].

كان المنصور يتوجس من الصادق خوفا مثلما كان يتوجس الخوف من سـائر رجال البيت العلوي إلا أن الصادق انشغل بتعليم العلم وبإتمام عبادة الله تعالى ولم يدعُ الى ثورة ولم يعن من ثاروا على الدولة العباسية.

وشـى به رجل الى المنصور قائلا: إنه ساعد محمدا النفس الزكية وأنه يحرض على الخليفة، فاستدعاه المنصور من المدينة الى بغداد وواجهه بالتهمة التي لا يمكـن ان تقـل عقوبتها عن الموت، فطلب الصادق من المنصور أن يجمعه بالواشـي، فجمعـه به، فقال: والله الذي لا إله إلا هو، الطالب الغالب الحي القيوم، فقال الصادق: إن الله كريم حيي لا يعاقب مع مدحه ولكن قل، أبرأ الى الله من حوله وقوته، وألجأ الى حولي وقوتي إن لم أكن صادقا برا فيما أقول.

وأمـره المنصـور أن يحلف فحلف، فخر الرجل ميتا، فارتاع المنصور وقال له، يا أبا عبد الله، سر من عندي إلى حرم جدك، وإن اخترت المقام عندنا لم نألُ في إكرامك وبرك، فوالله لا قبلت فيك قول أحد بعدها ابدا [9].

فعاد الصادق الى المدينة وبقي فيها.

كـان الإمـام جعفر إلى جانب فقهه وعلمه بالكلام وبأصول العقيدة الإسـلامية، عالمـا بالكيمـياء. وله كلام في الزجر والفأل. ومن تلاميذه عالم الكيمـياء الشـهير جابر بن حيان صنف جابر كتابا يشتمل على ألف ورقة يتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة.

توفي الإمام جعفر في المدينة سنة ١٤٨ هـ ودفن بالبقيع.

٧- موسى الكاظم بن جعفر الصادق.

نشـأ بالمدينة موطن أبيه، لقب بالكاظم لأنه كان يحسن إلى من أساء إليـه، سعى الوشاة به إلى الرشيد قائلين إنه يطلب الخلافة لنفسه، فحمله إلى بغداد وحبسه في بيت السندي وهو خادم عند الرشيد، ثم مات في الحبس وقيل إن الرشـيد دبر له مؤامرة فقتله وقيل أن يحيى البرمكي دس له السم، ثم أدخل جماعة من العدول فشهدوا أنه مات حتف أنفه.

كانت ابنة السندي تخدم الإمام موسى وهو في حبس الرشيد فوصفت عـبادته بقولها: كان موسى الكاظم وهو في سجن الرشيد إذا صلى العتمة حمد الله ومجده الى ان يزول الليل، ثم يقوم يصلي الى ان يطلع الصبح، فيصلي الصبح ثم يذكـر الله تعـالى حتى تطلع الشمس، ثم يقعد الى ارتفاع الضحى ثم يرقد ويسـتيقظ قبل الزوال، ثم يتوضأ ويصلي الظهر، وبعد صلاة العصر يذكر الله تعـالى حتى يصلي المغرب، ثم يصلي ما بين المغرب والعتمة، فكان هذا دأبة الى ان مات[١].

٨- علي الرضا:

هو أبو الحسن علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق. كان المأمون يجلـه فـزوجه ابنـته أم حبيب، وجعله ولي العهد، وضرب اسمه على الدينار والدرهـم، فعل المأمون ذلك وهو لا يزال في مدينة مرو بخراسان بينما كان لا يزال يستعد للعودة الى بغداد على إثر مقتل الأمين، فثار العباسيون ببغداد على المأمون وخلعوه ونصبوا عمه ابراهيم بن المهدي مكانه سنة ٢٠٢ للهجرة.

في هـــذه السنة توفي الرضا في ظروف غير واضحة وكثرت حول موته الاقـــاويل فمن قائل إن المأمون دبر له موتة محكمة كي يتخلص منه فتهدأ ثورة البيت العباسي ومن قائل إنه مات ميتة طبيعية على إثر أكلة عنب أكلَها.

ولقـــد أظهرالمأمون الجزع لوفاته ودفنه بجانب قبر أبيه الرشيد في مدينة طوس[١١].

٩- محمد الجواد ويلقب أيضاً محمد التقي:

هـــو أبـــو جعفـــر محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق. توفي سنة ٢١٩ هـــ ببغداد ودفن عند جده موسى الكاظم.

١٠- علي الهادي ويلقب ايضاً بالنقي:

وهـــو أبـــو الحسن علـــي بن محمد الجواد توفي بســـر من رأي سنة ٢٥٤هـــ.

١١- الحسن العسكري:

ويلقـــب ايضاً بالزكي، لقب بالعسكري لانه ولد ونشأ بسر من رآى الـــتي كانت تسمى العسكر لأن المعتصم لما بناها انتقل إليها بعسكره وهو ابن علي الهادي بن محمد الجواد.

توفي الحسن العسكري بسر من رأي سنة ٢٦٠هـــ، ودفن فيها بجانب قبر أبيه

١٢- الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر:

وهو أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري.

قالوا إنه ولد من إحدى جواري الحسن العسكري التي كانت حاملاً عند وفاته وأنه اختفى سنة ٢٦٥هـ وهو ابن خمس سنوات، إذ دخل سرداباً في دار أبيه وأمه تنظر إليه فلم يخرج منه[١٢].

الشعراء يمدحون الأئمة الكرام

١- مقطوعة للشاعر السني شمس الدين بن طولون:

عليك بالائمة الاثني عشر	من آل بيت المصطفى خير البشر
أبو تراب، حسن، حسين	وبغض زين العابدين شين
محمد الباقر كم علم درى	والصادق ادع جعفراً بين الورى
موسى هو الكاظم وابنه علي	لقب بالرضا وقدره علي
محمد التقي قلبه معمور	علي التقي ودره منشور
والعسكري الحسن المطهر	محمد المهدي سوف يظهر[١٣]

٢- الفرزدق يمدح زين العابدين وآل بيته:

حج هشام بن عبد الملك وهو أمير، وأراد أن يستلم الحجر الأسود فلم يستطيع أن يصل اليه من شدة الزحام، وبينما هو يحاول أن يشق طريقه إليه، أقبل رجل مهيب الطلعة، فوقف له الناس إجلالاً وأفسحوا له الطريق، فطاف سبعاً وقبل الحجر الأسود ثم صلى ركعتين وانصرف، فسأل هشام بعض رجاله من هذا الرجل؟ فقال وقد أشفق على هشام: لا أعرفه، وكان الفرزدق واقفاً يسمع فقال للرجل: إن كنت لا تعرفه فأنا أعرفه، وكان ذلك الرجل المهيب زين العابدين علي بن الحسين بن علي، رابع الأئمة الأطهار.

وقال الفرزدق قصيدة من روائع الشعر العربي وصف فيها مشاعر المسلمين وخاصة الشيعة تجاه زين العابدين وآل بيته الكرام.

ولا يضير القصيدة أن شكك بعض النقاد في صحة نسبتها إلى الفرزدق وقالوا: إنها ستة أبيات للحزين الكناني، وبقية أبياتها لشعراء آخرين، وأن بعض الأبيات قيلت في رجل من بني أمية لم يعينوا اسمه، إلا أننا نرى القصيدة لوحة فنية رائعة متكاملة ومن الصعب أن نتصور المعاني الواردة في هذه القصيدة تصلح لأن تقال في غير آل رسول الله، فلا أحد يستحق مثل هذا المدح إلا العترة النبوية الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

قال الفرزدق[١٤]:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرف والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله	بجده انبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا بضائره	فالعرب تعرف من أنكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما	تُستوكفان ولا يعروهما عدم[١٥]
سهل الخليقة لا تخشى بوادره	يزينه اثنان: حسن الخلق والشيم
حمال أثقال أقوام إذا افتُدحوا	حلو الشمائل تحلو عنده نعم[١٦]
ما قال لا قط الا في تشهده	لولا التشهد كانت لاءه نعم
عم البرية بالاحسان فانقشعت	عنها الغياهب والاملاق والعدم
إذا رأته قريش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

يغضي حياءً ويغضى من مهابته ... فما يكلّم إلا حين يبتسم

في كفه خيزران ريحها عبق ... في كف أروع في عرنينه شمم[17]

يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم[18]

الله شرفه قدماً وعظمه ... جرى بذاك له في لوحه القلم

مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت مغارسه والخيم والشيم[19]

ينشق ثوب الدجى عن نور غرته ... كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم

من معشر بهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منى ومعتصم

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم ... في كل بدء ومختوم به الكلم

إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أوقيل من خير أهل الأرض قيل هم

لا يستطيع جواد بعد جودهم ... ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

لا ينقص العسر بسطا من أكفهم ... سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا

يستدفع الشر والبلوى بحبهم ... ويسترب[20] به الاحسان والتنعم

٣- الشاعر السني الحصكفي يمدح الائمة الكرام[21]

قال أبو الفضل يحي بن سلامة الحصكفي (نسبة الى حصن كيفا) السني الشافعي المتوفي سنة ٥٥٢هـ قصيدة طويلة يمدح فيها ال البيت ويصف مقاتلهم ويبكي على ما حل بهم، أختار منها الأبيات التالية:

حيدرة والحسنان بعده ثم علي وابنه محمد

وجعفر الصادق وابن جعفر موسى ويتلوه علي السند

أعني الرضا ثم ابنه محمد ثم علي وابنه المسَوَّد

والحسن التالي ويتلو تلوه محمد بن الحسن المعتقد

قوم هم أئمتي وسادتي وان لحاني معشر وفندوا

أئمة اكرم بهم أئمة أسماؤهم مسرودة لا تطرد

هم حجج الله على عباده وهم إليه منهج ومقصد

هم النهار صوم لربهم وفي الدياجي ركع وسجد

قوم أتى في (هل أتى) مديحهم هل شكٌّ في ذلك إلا ملحد

قوم لهم في كل أرض مشهد لا بل لهم في كل قلب مشهد

يا أهل بيت المصطفى يا عدتي ومن على حبهم أعتمد

أنتم الى الله غدا وسيلتي فكيف أشقى وبكم أعتضد

وليُّكم في الخلد حي خالد والضد في نار لظى مخلد

ولست أهواكم ببغضي غيركم اني إذاً أشقى بكم لا أسعد

فلا يظن رافضيٌّ أنني وافقته أو خارجي مفسد

محمد والخلفاء بعده أفضل خلق الله فيما أجد

هم أسسوا قاعدة الدين لنا وهم بنوا أركانه وشيدوا

ومن يخن أحمد في أصحابه فخصمه يوم المعاد أحمد

هذا اعتقادي فالزموه تفلحوا هذا طريقي فاسلكوه تهتدوا

والشافعي مذهبي مذهبه لأنه في قوله مؤيد

الرافضة ومفهومها:

أطلق أهل السنة على الشيعة هذا اللقب وهو مسبة مثلما أطلق الشيعة على السنة صفة الناصبة.

عرفـنا من سيرة الإمام زيد بن زين العابدين، أن شيعة العراق رفضوا مقالته في إمامه المفضول مع وجود الفاضل ولذا سموا الرافضة[٢٢].

إلا أن هـذه الصفة يطلقها البعض على الغلاة من الشيعة ويبرئ منها المعتدلين.

يقـول ابن عبد ربه في العقد الفريد- والشيعة دون الرافضة في البراءة، فالشيعة يفضلون علياً على عثمان ويتولون أبا بكر وعمر، أما الرافضة فلها غلو شديد في علي، وذهب بعضهم مذهب النصارى في المسيح ولقد هجاهم السيد الحميري "مع أنه شيعي متطرف" فقال فيهم:

قـوم غلـوا في علي لا أبـالهم ... وجشـموا أنفسـاً في حبه تعبا

قـالوا هـو الله جل الله خالقنا ... مـن أن يكون لـه ابن أو يكون أبا

حديث الفرقة الناجية

روي حديث منسوب الى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فعل فعله في تعميق الخلاف بين الفرَق على مر العصور وإلى عصرنا الحاضر، وهو حديث يدور حول افتراق المسلمين فرقاً شتى، واحدة منها للجنّة وسائر الفرق للنار.

لقد اقتنع بموجب هذا الحديث، فريق من أهل السنة أن المعتزلة والمرجئة الشـيعة على ضلال وأن الفرقة الناجية هي- في معتقدهم- أهل السنة، ويرون أن في الحديث أدل دليل على ضلال سائر الفرق الأخرى.

واقتنع فريق من الشيعة أن الفرق الأخرى بمن فيهم أهل السنة على ضلال لأن الناجين من المسلمين بموجب هذا الحديث، فرقة واحدة لا ثاني لها فهي بلا شك شيعة آل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والصحيح أن الحديث مشكوك في صحته عند كثير من العلماء، وليس مقصده هو المقصد الذي فهمه عامة أصحاب الفرق إذا سلمنا بصحته.

ألف العالم السني العباسي عبد القاهر البغدادي كتاباً بعنوان: "الفَرق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية منهم" أورد فيه حديثاً منسوباً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصوص ثلاثة على النحو التالي:

النص الأول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إفترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة.

النص الثاني: ليأتينَّ على أمتي ما أتى على بني إسرائيل، تفرق بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، تزيد عليهم ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: يا رسول الله وما الملة التي للجنة؟

قال: ما أنا عليه وأصحابي.

النص الثالث: عن النبي عليه السلام قال: إن بني إسرائيل افترقت على واحدة وسبعين فرقة وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة.

لقد شك في صحة هذه الاحاديث العالم الأندلسي الكبير ابن حزم الظاهري في كتابه: (الفِصَل في الملل والنحل)

يقـول ابـن حـزم: ذكروا حديثاً عن رسول الله صلى الله وسلم أن القدريـة والمرجـئة مجوس هذه الأمة، وحديثاً آخر: تفترق هذه الأمة إلى بضع وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهذان حديثان لا يصحان أصلاً من جهة الإسـناد،لأنهما مـن نوع خبر الآحاد، ولا يقبل بهما من يأخذ بخبر الآحاد إذ يلـزمه إن أخذ بهما تكفير أغلب المسلمين، وهذا لا يصح، فكيف بمن لا يأخذ بخبر الآحاد؟[٢٣]

وتحـدث ابـن حزم عن التكفير وشروطه مبيناً أن تكفير المسلم ليس بالأمر الهين. وابن حزم مع ما عرف به من حدة لسان ولجاجة من الخصام تجاه كـل من عاداه وعلى الأخص الشيعة، فإنه لا يكفر شيعة " من غير الغلاة" أو مرجئة أو غيرهم، وهذا واضح في حديثه عن شروط التكفير.[٥٩]

يقـول ابـن حزم: ذهبت طائفة (من المسلمين) إلى أن من خالفهم في مسائل الاعتقاد كافر، ومن خالفهم من مسائل الأحكام والعبادات ليس بكافر ولا فاسق لكنه مجتهد معذور، إن أخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران، وذهب طائفـة إلى أن المسلم لا يكفّر ولا يفسّق بقول قاله في اعتقاد أو فتيا، وأن من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما اعتقد أنه الحق فهو مأجور على كل حال.

ويضـيف ابن حزم: والحقيقة أن من ثبت لـه عقد الإسلام لا يزول عنه إلا بنص أو إجماع، أما بالدعوى والافتراء فلا موجب لأن يكفّر أحد بقول قالـه ما لم يخالف ما صح عنده أنه من كلام الله أو رسوله سواء أكان ذلك في عقيدة أو نُحلة أو فتيا[٢٤].

فكلام ابن حزم واضح كل الوضوح، فهويرفض اتخاذ الحديث سلاحاً لـتكفير أية طائفة مسلمة أما العالم السني ابن الوزير صاحب كتاب (العواصم

والقواصم) فقد رفض العبارة الأخيرة (كلها في النار إلا واحدة) وقال: إنها مزيدة على الأحاديث وغير صحيحة إطلاقا، فهي زيادة فاسدة ولا يبعد أن تكون من دسيس الملاحدة [٢٥].

والمتتبع للأحاديث الواردة في هذا الشأن يجد أن أصحها هو حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي لا يحتوي على عبارة كلها في النار إلا واحدة وهو النص الأول من بين النصوص الثلاثة التي أثبتُّها، ومع ذلك فلم يروه مسلم أو البخاري وأورده من عداهما من أصحاب الصحاح والسنن.

قال عنه الترمذي، صحيح على شرط مسلم إلا أن أحد أعضاء سلسلة السند هو محمد بن عمرو " فيه كلام يسير " وحاول الكوثري ومريدوه تضعيفه [٢٦].

أما الحديث في نصه الثاني فهو عن عدة طرق.

منها: طريق معاوية بن أبي سفيان وذكره عدد من أصحاب السنن منهم ابو داود واحمد والحاكم وغيرهم ولم يثبته الشيخان في صحيحيهما.

ومنها: عن أنس بن مالك رضي الله عنه ولقد اثبته صاحب نصح الأمة عن ثمانية طرق مختلفة [٢٧] وأغلبها يقوم على حلقة ضعيفة أو ضعيفة جدا [٢٨] في سلسلة السند، إلا أن صاحب الكتاب يرى أن العبارة صحيحة على الرغم من رفض عدد كبير من العلماء لها، لأن بعض الأحاديث التي احتوت على هذه العبارة ليس في سلسلة سنده أية حلقة فيها ضعف وعلى الأخص الحديث الذي روي عن طريق معاوية كما يقول المؤلف :

(وقد سبقت الاشارة إلى أن أحد حلقات السلسلة عليه علامة استفهام) إلا أن ابن الوزير الذي أشار إلى علامة الاستفهام هذه عاد فصححه في كتابه: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم. [٢٩]

ورُوي الحديث بصيغة أخرى: أخرج صاحب (مسند الفردوس) هذا الحديث على النحو التالي:

حدثنا صالح بن أحمد الحافظ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب، حدثنا الحسن بن زولاق، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا يحيى بن يمان عن ياسين الزيات عن سعد بن سعيد عن أنس قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم: (تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة، كلها في الجنة إلا الزنادقة).

وذكر الحديثين الإمام المقدسي صاحب كتاب (أحسن التقاسيم) وقال إن الحديث الأول أشهر، والحديث الثاني (كلها في الجنة) أصحُّ إسناداً.

أما الشيخ عبد القاهر البغدادي صاحب كتاب: (الفَرْق بين الفِرَق)، فيؤكد أنه ليس المقصود بالحديث فِرَق الفقه ولا الفرق الكلامية التي لم تتجاوز حدود الشرع والعقل، وإنما المقصود أولئك الذين خرجوا عن مبادئ توحيد الله، أو طعنوا في عدالته او أنكروا البعث والحساب.

وحاول بعض العلماء التوفيق بين الحديثين فقالوا: ان الفِرَق التي وردت في الحديث ستدخل النار وتبقى فيها بمقدار ما اقترفت من الذنوب ثم تخرج من النار الى الجنة الا فرقة الزنادقة فإنها تخلد في النار.

ويختم الشيخ عبد المتعال الصعيدي مقالة له حول هذا الموضوع بقوله: إنه لا يجوز للمختلفين في غير الأصول أن يكفر بعضهم بعضاً، بل على كل فريق أن يدلي بحجته وأن يحترم حجة الخصم[30].

أما من جانب الشيعة فقد ذكر العالم السني الهندي شاه عبد العزيز الدهلوي مقالات علماء الشيعة بخصوص الفرقة الناجية وبيَّن أن بعض علمائهم يعتقدون أن الشيعة هم الفرقة الناجية وأن من عداهم من فرق المسلمين يدخل النار تأبيداً أو دخولاً مؤقتاً يخرجون بعده الى الجنة.

وذكــر الدهلوي مخالفين لهم من مذهبهم ممن يعتقدون أن كل مسلم أقــام أركــان الإسلام يدخل الجنة. ومن هؤلاء ابن بابويه الذي روى عن ابن عــباس قولــه صلى الله عليه وسلم: والذي بعثني بالحق لا يعذّب بالنار موحِّد أبداً.

وروى الطبرسي (الشيعي) في (الاحتجاج) عن الحسن بن علي أنه كان يقــول: مــن أخذ من أهل القبلة بالأحكام المتفق عليها، وردَّ الأمور المختلف عليها الى الله سلم ونجا.

روى الكلــيني (الشيعي) بإسناد صحيح عن زرارة قال: قلت لأبي عبد الله (جعفر الصادق) أصلحك الله،أرأيت من صام وحج واجتنب المحارم وحسن ورعه؟

فقال: إن الله يدخله الجنة برحمته [٣١].

فهــذه مقــالات ثلاثة لعلماء أعلام من الشيعة تبطل مقالة من قال إن الشــيعة يقولون إن الفرقة الناجية هي الشيعة وحدها. كما تبين لنا من مقالات عــلماء السنة انهم لا يعتقدون بكفر الفرق المخالفة وخلودها في النار، بل يرون ان كل مذنب سيعاقب بمقدار ذنبه، وأن من شهد الشهادتين وأعطاهما حقهما من إقامة أركان الاسلام، فهو من أهل الجنة بإذن الله.

وتكفــير المسلم ليس بالامر الهين ما لم يخالف مخالفة واضحة وعن علم وإصرار معتقداً من المعتقدات الأساسية للمسلمين وهي توحيد الله والإيمان بأن القرآن كتاب الله وأن محمداً عبد الله وخاتم رسل الله وأن القيامة حق وأن الناس مــبعوثون ومحاســبون منهم من يدخل الجنة ومنهم من يساق إلى النار، فهذه العقــائد هي القاسم المشترك بين جميع المسلمين، من آمن بها كلها فهو مسلم ومــن كفر بواحدة منها فهو خارج عن ملة الاسلام. أما الاختلاف في الأمور الفرعية فليس كفراً ولا فسقاً.

الفصل الثاني

الإمامة وموقف الفريقين منها

الشروط التي ينبغي توفرها في الإمام

تحدث علماء السنة قديماً عن الشروط التي يجب أن تتوفر في إمام المسلمين وقسمها بعضهم إلى قسمين:

١- شروط انعقاد، لا تصح الإمامة إلا بها مجتمعة.

٢- شروط أفضلية.

ومن النوع الأول الإسلام والبلوغ والعقل ومن النوع الثاني الشجاعة والعلم والخبرة في الحروب وغيرها.

وذكر الإمام القرطبي هذه الشروط في الجزء الأول من تفسيره الشهير دون أن يفصل بين شروط الانعقاد وشروط الأفضلية، ذلك أن شروط الافضلية جزء لا يتجزأ من صفات الإمام ومن توفرت فيه كلها أو جلها أولى بالخلافة ممن توفرت فيه بشكل أقل، والميزة الرئيسة لشروط الانعقاد هي ضرورة توفرها كلها وإذا غاب منها شرط واحد، فقد المرشح أهليته لهذا المنصب الخطير في حين نجد أن شروط الأفضلية قد لا تتوفر كلها، لكن غياب واحد منها أو أكثر لا يفقد المرشح أهليته للخلافة.

وأسوق هذه الشروط بشيء من التوضيح على أساس ما ذكره الإمام السني القرطبي، مع بعض الإيجاز:

١- أن يكون من قريش، والأحاديث الصحاح التي تدل على هذا الشرط كثيرة، ذكرها الإمام مسلم في صحيحه، ومنها قوله عليه السلام: الأئمة

من قريش ما بقي في الناس اثنان (ج٣ ص١٤٥٢) وقوله: لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش. (ج٣ ص ١٤٥٣) ولقد احتج المهاجرون على الأنصار بهذه الأحاديث يوم اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعده يريدون أن يبايعوا خليفة منهم.

لكن بعض الدارسين يتأولون هذه الاحاديث ولا يعدون النسب في قريش شرطاً لانعقاد الخلافة. ومن حججهم قوله عليه السلام: اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حنبل.

ولقد وردت أحاديث صحاح كلها تدور حول هذا المعنى ويكاد اللفظ فيها يكون واحداً، ومنها قوله عليه الصلاة والسلام: ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله، فاسمعوا له وأطيعوا[٣٢]. وقوله صلى الله عليه وسلم: اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد كأن رأسه زبيبه ما أقام فيكم كتاب الله[٣٣].

فمن الجائز ان يكون مقصد رسول الله عليه السلام في قوله: الخلافة في قريش، النصيحة للمسلمين لا الزامهم بخليفة من قريش.

وورد في الأثر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترط على قريش ثلاثة شروط إذا عملت بها كانت أحق بالخلافة.

ورد في حاشية مسند أحمد قوله عليه الصلاة والسلام: الأمراء من قريش ما عملوا فيكم بثلاث: ما رحموا اذا استُرحموا، وقسطوا إذا أُقسطوا وعدلوا إذا حُكّموا[٣٤].

فهذه شروط ثلاثة إما أن رسول الله اشترطها على قريش لتكون لها الأولوية في الخلافة فتكون واو الجماعة عائدة على قريش أي على

رجال قريش لأن الخلافة للرجال دون النساء أو أنها عائدة على الخلفاء، وأن الشروط مشترطة على الخلفاء أنفسهم إذا عملوا بها ظلت الخلافة في قبيلتهم قريش وإلا خرجت منهم إلى غيرهم.

ومما يدعم حجة القائلين بجواز إمامة غير قريش بالإضافة إلى قوله: وإن استعمل عليكم عبد ما ورد في حاشية مسند أحمد من قول الإمام علي، كرم الله وجهه: كان هذا الأمر في حمير فنزعه الله منهم وجعله في قريش، وسيعود اليهم[٣٥]، كما أن خلافة المسلمين خرجت من بني العباس وهم من قريش إلى بني عثمان وهم من الأتراك ولم يقل أحد ببطلان خلافتهم لأنهم ليسوا من قريش.

ويرى عباس العقاد في قوله عليه السلام: الائمة من قريش أن كلامه كان موجهاً إلى الأنصار كي لا ينازعوا قريشاً الأمر، لأن العرب لا تدين لبني النجار ولا لغيرهم بالسيادة وإنما تدين لقريش لمكانة هذه القبيلة عند العرب جميعاً في الجاهلية والإسلام؛ فهم سدنة الكعبة وأصحاب السقاية، والرفادة" (إطعام الحجيج وإسقائهم)، ولأن رسول الله كان يعلم أن قريشاً ستبايع أبا بكر[٣٦].

ومن المحتمل أن رسول الله لم يقصد بحديثه حكماً مؤبداً وانما قصد خلافته المباشرة.

أما الذين يصرون على اعتبار الحديث النبوي حكماً مؤبداً لا مجال للتأويل فيه، ويرون أن الخلافة في قريش إلى آخر الدهر، فانهم يؤولون الحديث الذي يوجب الطاعة للعبد الحبشي بقولهم: إذا عين خليفة المسلمين والياً أو قاضياً أو أميرغزو أو حج أو ما عداه، فيجب طاعته ولو كان عبداً حبشياً، أما العبد فلا يصلح للخلافة لأن الحرية شرط

من شروط انعقادها، وأما الحبشي فلا يصلح لها ولو كان حراً وإنما يصلح لما دونها من المناصب. أما من كان عبداً أو من صورة تشبه صورة العبد ولم يكن من قريش، فاذا تغلب على الخلافة وحكم بكتاب الله وجبت طاعته خوف الفتنة[37]، فطاعته خير من ثورة تسيل فيها الدماء وتزهق فيها الأرواح.

وعلى هذا فخلافة بني عثمان إنما كانت بحد السيف ولم تكن باجماع المسلمين ولكن وجبت طاعة الخليفة العثماني ما دام يحكم بشرع الله؛ لأن طاعته خير من الفتنة.

٢- أن يكون الإمام ممن يصلح أن يكون قاضياً من قضاة المسلمين، مجتهداً لا يحتاج الى غيره في الاستفتاء في الحوادث، يقول القرطبي، وهذا متفق عليه[38].

٣- أن يكون ذا خبرة ورأي حصيف في أمر الحرب.

٤- أن يكون شجاعاً قوي الأعصاب لا تلحقه رقة في إقامة الحدود ولا فزع من ضرب الرقاب.

٥- أن يكون حراً فلا تجوز خلافة العبد.

٦- أن يكون مسلماً بطبيعة الحال.

٧- أن يكون ذكراً فلا يجوز ان تنصب الأنثى إماماً، وأجاز بعضهم أن تكون قاضياً فيما جاز شهادتها فيه.

٨- أن يكون سليم الأعضاء.

٩- أن يكون بالغاً.

١٠- أن يكون عاقلاً.

١١- أن يكـــون عـــدلاً، فلا يجوز أن تعقد الإمامة لفاسق، وأن يكون من أفضـــلهم في العـــلم لقوله عليه السلام: أئمتكم شفعاؤكم فانظروا بمن تستشـــفعون. ويجوز عند أهل السنة إمامة المفضول مع وجود الفاضل، والدلـــيل عـــلى ذلك أن عمر رضي الله عنه، جعل الأمر في ستة من الصحابة، وأجاز العقد لأي واحد منهم إذا اجتمعت كلمة الباقي عليه مع أن منهم فاضلاً ومفضولاً[٣٩].

الخلاف بين السنة والشيعة في موضوع الإمامة

يتفق السنة والشيعة على الشروط التي ينبغي توفرها في إمام المسلمين، إلا في القـــول بجـــواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، فالزيدية يجيزون ذلك والاثـــنا عشـــرية يرفضونه ولذا سماهم بعض أهل السنة بالرافضة. ويصر الاثنا عشـــرية على وجوب إمامة الأفضل، والأفضل عندهم بعد رسول الله صلى الله عـلـــيه وسـلـــم هو علي بن أبي طالب ثم أولاده من بعده إلى الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر وعندما يجيء المهدي، يختار للمسلمين من يخلفه عليهم من بعده وهو أدرى بمن يختار.

ويختلف السنة والشيعة في موضوع الإمامة حول أمرين رئيسين:

أ- **القول بركنية الإمامة:**

اذ يـــرى بعض الشيعة أن الإمامة ركن من أركان الإيمان. لا الإسلام وهم يعدون أركان الإسلام والإيمان خمسة دخل بعضها ببعض:

١- التوحيد

٢- النبوة

٣- المعاد

٤- العمل بدعائم الإسلام وهي: الصلاة والصيام والزكاة والحج

٥- الإمامة[٤٠]

إلا أن بعضهم يعد الإمامة ركناً من أركان التشيع. والمقصود بجعلها ركناً خامساً إنما هو الإشارة الى اكتمال إيمان المسلم بها وهذا يعني أن اكتمال الإيمان عند الشيعة إنما يكون باعتقادهم بالإمامة.

يقول العالم الشيعي اللبناني محمد جواد مغنية: الإمامة ليست أصلاً من أصول دين الإسلام وإنما هي أصل لمذهب التشيع فمنكرها مسلم اذا اعتقد بالتوحيد والنبوة والمعاد ولكنه ليس شيعياً[٤١].

فمحمد جواد مغنية يجعل الإمامة متممة للإيمان بدليل قوله: فمنكرها مسلم، إذ نسب لمنكرها الإسلام و لم ينسب له الإيمان.

أما العالم الشيعي النجفي محمد الحسين آل كاشف الغطاء، فهو أيضاً يعدها ركناً من أركان الإيمان خاصاً بالتشيع لكنه يرى أن المرء يمكن أن يكون مسلماً ومؤمناً بغيرها، يقول: إلا أن الاعتقاد بالإمامة وشروطها ومواصفاتها ضروري للتشيع، ولكن عدم الاعتقاد بها لا يخرج الإنسان من الإسلام ولا من الإيمان[٤٢].

أما أهل السنة فلا يعدونها ركناً من أركان الإسلام ولا من أركان الإيمان اذ لم يبلغهم شيء من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو عندما دخل عليه الرجل الذي سأله عن أركان الإسلام والإيمان والإحسان، وكان الرجل جبريل، وأجابه رسول الله عليه السلام، لم يذكر رسول الله الإمامة، لكنهم يعتقدون أن الإمامة أمر ضروري للمسلمين لا تستقيم أمورهم إلا به، لذا وجب على المسلمين أن ينصبوا إماماً ووجب عليهم أن يطيعوه، فهو ولي أمر المسلمين ما دام يحكمهم بما أنزل الله والدليل على وجوب طاعته قوله تعالى: وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم[٤٣].

الوصية للإمام

يختلف الفريقان حول طريقة تنصيب الإمام، إذ يعتقد أهل السنة أن المسلمين غير ملزمين بطريقة واحدة لتنصيب الإمام، لأن المسلمين يتعرضون إلى ظروف مختلفة وأحوال متباينة على مر العصور فقد تنجح طريقة في ظرف معين، وتفشل تلك الطريقة في ظرف مغاير.

وقد يجد إمام المسلمين نفسه مضطراً لتعيين خليفته في ظروف معينة قطعاً لدابر الفتنة، وقد يجد أن التعيين مجلبة للفتنة، فيترك الأمر للمسلمين.

لقد توفي رسول الله ولم يوص- في اعتقاد أهل السنة- لأنه أراد من المسلمين أن يتحملوا المسؤولية ويختاروا من بينهم من يرونه مناسباً، بعد جعل إمامة الصلاة أابي بكر، ولمح الى منزلته ومكانته دون ان يصرح بحقه أو بحق غيره في الخلافة.

أما أبو بكر فقد حضرته الوفاة وهو قريب عهد بفتنة الردة التي كلفت المسلمين الكثير من الدماء والأموال، وكان قريب العهد بالخلاف حول بيعته هو. فمن مؤيد ومعارض، ومن المسلمين من امتنع عن البيعة فترة ثم بايع كعلي بن أبي طالب ومنهم من مات ولم يبايع كسعد ابن عبادة الذي مات في خلافة عمر ولم يبايع لأبي بكر ولا لعمر، فرآى أبو بكر أن يوصي بالخلافة من بعده لمن يعلم أنه الأقدر على الاضطلاع بأعبائها، ولم يكن في المسلمين من هو أنسب من عمر وعلي بن أبي طالب.

أما علي فكان لا يزال في مقتبل الشباب، لم يتجاوز الثلاثين من عمره.

أما عمر فكان قد ناهز الخمسين، وهذه ميزة هامة لأن منصب القيادة العليا يحتاج الى رجل كهل قد جرب صروف الدهر، أضف الى ذلك قلة العدد

في بني عدي رهط عمر بن الخطاب وكثرته في بني هاشم مما يبعث على الخشية من استئثارهم بالسلطة. ثم إن عمر كان منذ البداية الساعد الأيمن لأبي بكر وكان قبل ذلك هو وأبو بكر وزيري رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عندما أحس أبو بكر بِدُنُوِّ أجله استدعى عثمان بن عفان وأملى عليه كتاب تعيين عمر وهذا نصه" بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة وفي الحال التي يؤمن فيها الكافر، ويتقي الفاجر، إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب فإن بَرَّ وعَدَلَ فذلك علمي به ورأيي فيه. وإن جار وبدَّل فلا علم لي بالغيب، والخيرَ أردتُ، ولكل امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"[٤٤].

فأبو بكر لم يرد إلا مصلحة المسلمين، وقد اختار للمسلمين خيرهم لهم، وصدق الحطيئة في قوله مخاطباً عمر:

انت الأمين الذي من بعد صاحبه	ألقت إليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها إذ قدّموك لها	لكن لأنفسهم كانت بكَ الإِثَرُ

أما عمر بن الخطاب، فعندما أحس بدنو أجله- بعد أن طعنه أبو لؤلؤة المجوسي- لم يكن له همّ إلا أمْر المسلمين ومن سيخلفه عليهم، وراجعه كثير من المسلمين في أمر الوصية لمن يراه مناسباً وكان من جملة ما عرض عليه المراجعون، أن يعهد بالخلافة لابنه عبد الله، فقال لمراجعه والله ما أردت بهذا وجه الله، كيف أولي رجلاً لم يقو على طلاق امرأته؟[٤٥]. وقال: يكفي ان يتحمل وزرها رجل واحد من آل الخطاب.

واستعرض عمر من يصلح للخلافة من الأحياء فوجد أنها لا تصلح إلا لأحد الستة الذين ما زالوا على قيد الحياة من عشرة رجال بشرهم رسول الله

بالجنة ومات وهو راض عنهم هم عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، ولكل منهم خاصيته، وعلى كل واحد منهم مأخذ يأخذه عليه عمر، والفرصة الكبرى هي لعثمان أو لعلي.

قال عمر: إذا ولي عثمان فرجل فيه لين، واذا ولي علي ففيه دعابة وأحرى به ان يحملهم على طريق الحق[٤٦].

وكان عمر يتخوف من عشيرتيهما، لما تتمتع به كل منهما من وفرة العدد مما يجعلها قادرة على الاستئثار بالمناصب دون سائر المسلمين فتكلف المسلمين شططاً.

فاستدعى علياً وقال له: اتق الله يا علي إذا وليت هذا الأمر فلا تحمل بني هاشم على رقاب الناس، واستدعى عثمان وقال له: اتق الله يا عثمان إذا وليت هذا الأمر فلا تحمل بني أبي معيط على رقاب الناس[٤٧].

واستعرض عمر الأموات فتأسف على غير واحد منهم، إذ وجد فيهم مؤهلات الخلافة لو كانوا أحياء وعلى الأخص أبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة.

قال عمر لمن حوله: لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً لاستخلفته، فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيك يقول: إنه أمين هذه الأمة. ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته، فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيك يقول: إن سالماً شديد الحب لله[٤٨].

وكان عمر يرى أنه حر في أمر الوصية غير مضطر اليها، فقال لمراجعيه في أمر الوصية: إن أوصِ فقد أوصى من هو خير مني" يعني ابا بكر" وإن أترك الوصية فقد تركها من هو خير مني" يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤٩].

ثم توصل إلى حل وسط، فعهد بالأمر إلى الستة المبشرين بالجنة، يجتمعون بعد وفاته ويتداولون في أمر الخلافة ثلاثة أيام ولا يأتي اليوم الرابع إلا وقد اختاروا من بينهم خليفة، ويصلي صهيب بالناس الأيام الثلاثة، ويحضر عبد الله بن عمر يشير برأيه وليس له حق في الخلافة وإذا انقسم الستة قسمين متساويين فيرجح موقف من يؤيدهم عبد الله بن عمر،أما إذا اتفق الأغلبية على خليفة وأصر البعض على المعارضة فلا بد من قتلهم قبل الخروج من الدار كي لا ينشروا الفتنة في صفوف المسلمين وعهد بهذا الأمر إلى صهيب بن سنان، وعهد إلى أبي طلحة الأنصاري ومعه خمسون من الفرسان الأشداء بالقيام على رؤوس المجتمعين.

أخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه من الخلافة وتولى المشاورات والاتصالات ثم إنه حصر الأمر في اثنين: عثمان وعلي، فقال لعلي: هل تتعهد بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الشيخين أبي بكر وعمر؟ فقال علي: أعمل بمبلغ علمي، وقال لعثمان مثل ما قال لعلي، فقال: نعم، أتعهد. فتقدم ابن عوف وبايع عثمان في المسجد[٥٠] وتقدم الناس يبايعون، وشعر علي كرم الله وجهه أنه استُبعد من الخلافة وهو أحق بها وأقدر عليها، فقال: ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون[٥١]. ويروي الطبري أن علياً قال: خدعة أيما خدعة[٥٢].

ولقد أثبت التاريخ أن مخاوف عمر تجاه بني أمية كانت في محلها إذ تولى الخلافة عثمان فاستأثر بنو أبي معيط وبنو أمية عموماً بالسلطة وكان هذا من أهم أسباب الفتنة التي أدت إلى مقتل عثمان.

أما عثمان فقد استشهد في ظروف فوضى واضطراب وفتنة وثورة لا مثيل لها، ولم تمهله الاحداث كي يفكر في وصية.

وبايع الثوار علياً وبايعه المهاجرون والأنصار إلا قلة منهم، ومكث عليّ في الخلافة خمس سنوات وتسعة أشهر، ثم تقدم الخارجي عبد الرحمن بن ملجم المرادي فضربه بالسيف على رأسه، ونقل علي إلى داره وروجع في أمر الخلافة وتقــول مصادر أهل السنة إن علياً لم يوص لأنه لم يرد أن يكون مسؤولاً عن الخلافة في حياته وبعد مماته.

روى أحمــد في مســنده عن وكيع عن الأعمش " وهو ثقة شيعي عن سـالم بـن أبي الجعد عن عبد الله بن سبع: سئل علي وقد ذكر أنه سيُقتل: ألا تسـتخلف علينا؟ فقال: لا ولكن أتركم إلى ما ترككم اليه رسول الله صلى الله علـيه وسلم.فقالوا: ما تقول لربك إذا أتيته؟ قال: أقول: اللهم تركتني فيهم مـا بـدا لـك ثم قبضتني إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم وإن شئت أفسدتهم"[٥٣]

واخـتار المسلمون من بعده ابنه الحسن، ويرى الشيعة أن الحسن تولى الخلافة بالوصية من أبيه، وعلى أية حال، فخلافة الحسن صحيحة لا شك فيها وأنـه كـان على الحق الذي كان عليه أبوه من دعوة الفئه الباغية إلى الانقياد لـلحق والدخـول في الطاعة،لا يختلف في ذلك اثنان من أهل السنه بما فيهم أولئك الذين تحمسوا للدفاع عن معاوية وابنه يزيد كأبي بكر بن العربي وغيره.

أمـا معاويـة بن أبي سفيان، فبعد أن صارت الأمور إليه، أرادها لأبنه يزيد ولم يكتف بالوصية لـه لعلمه ان كثيرا من المسلمين لن يحترموا مثل هذه الوصية، بل أخذ لـه البيعة بوسائل الضغط المختلفة من ترغيب وترهيب.

وظلـت الخلافة ملكا وراثيا إلى آخر عهد الدولة الأموية، وكان الملك يحـرص على أخذ البيعة لابنه أو لأبنائه واحدا تلو الآخر ولم تكن البيعة برضى المسـلمين لكـنهم مع خضوعهم لسلطان القوة لم يكونوا يجدون نصا شرعيا

يستندون إليه في رفض البيعة، فليس في الإسلام ما يمنع ابن الخليفة أن يكون خليفة من بعده إذا كان يصلح لهذا المنصب، وفرصة ابن الخليفة مساوية لفرصة غيره ولكن الخليفة إبتداء من معاوية كان يبدأ بأنصاره المخلصين ويوحي إليهم برغبته فيهبوا لبيعة من يريده الخليفة ثم يتبعهم غيرهم وهكذا. ومن أراد المعارضة فليس من السهل عليه إيجاد عيوب في الشخص المقترح ثابتة ثبوتا قطعيا وقوية إلى الحد الذي يحمل من بايعوه في البيعة الخاصة على نقض بيعتهم.

لذا تولى الخلافة منذ معاوية حكام ليس فيهم خليفة راشد واحد إلا عمر بن عبد العزيز، لأن المسلمين لم يكونوا يختارون أصلحهم بل كانوا يرضخون لمن يُفرَض عليهم، وهذا إثم كبير يتحمله الحكام بدءا بمعاوية وانتهاء بآخر سلاطين الدولة العثمانية. إذ لو كان المسلمون يختارون الأصلح ويشاركون الحاكم في المسؤولية ويحاسبونه على أخطائه، لكان أغلب حكام المسلمين خلفاء راشدين.

كان الحاكم المسلم يريد أن يؤمِّن مستقبله بعد وفاته ويحفظ سلطته في شخص ابنه وكأنه لا يعلم أن مستقبله مرهون بعمله الصالح.

إن نظام الوراثة نظام سيِّء، ألْحَقَ بالمسلمين أبلغ الضرر.

أما الشيعة، فيعتقدون أن الوصية واجبة على الخليفة، يوصي بالأمر من بعده لمن يراه الأصلح والأنسب لهذا المنصب حتى يعرفه المسلمون فيقروا له وتنتقل إليه السلطة بشكل هادئ خال من المشاكل والفتن.

وهم يعتقدون أن رسول الله وصى لعلي وعلي للحسن والحسن للحسين وهكذا.

يقول العالم الشيعي محمد الحسين آل كاشف الغطاء، إن الله سبحانه وتعالى لا يخلي الأرض من حجة على العباد من نبي أو وصي ظاهر مشهور أو

غائــب مســتور، وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم لعلي عند غدير خم، وأوصى علي لأبنه الحسن وأوصى الحسن للحسين، وأوصى الحسين لأبنه زين العــابدين وهكــذا إلى الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر (أصل الشيعة وأصولها ص ١٣٦).

ويــروي الشيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يشير الى الحسين: إبني هذا إمام ابن إمام، أخو إمام، أبو أئمة تسعة، تاسعهم قائمهم (مع الشيعة الإمامية لمحمد جواد مغنية ص ١٠١).

وهــذا يعني أن الوصية كانت من رسول الله، ثم أكدها علي للحسن وأكدها الحسن للحسين، إلا أن أهل السنة لا يروون هذا الحديث.

أما الشيعة فالوصية عندهم جزء من معتقدهم لسببين:

أولاً: يعــتقدون أنه لابد من الوصية وغير معقول أن يتحدث القرآن والسنة عن أصغر الأمور التي تهم المسلمين ولا يتحدث أي منهما عمن يخلف المســلمين بعــد رسول الله، ولقد بين القرآن والسنة هذا الأمر الخطير وجعل رسول الله الأمر من بعده لعلي في حديث غدير خم.

والثاني: أن كــل إمــام من أئمة المسلمين نص عليه الإمام السابق وعينه وبيَّنه ووصــى عليه، ولم تكن الوصية من عند نفسه، وإنما يوصي الإمام لمن نص عليه الحديث الشريف وذكر اسمه الأئمة السابقون.

ولقــد اخــتلف الشيعة في تعيين الأسماء في العصور السابقة، إلا أنهم متفقون جميعا على أن الإمامة تأتي بالوصية. وألّف كثير من علماء الشيعة كتبا في الوصية ومنها: الوصية لهشام ابن الحكم والوصية للحسين بن سعيد والوصية لعلي بن الحسين بن الفضل، والوصية لمحمد بن سعيد بن هلال والوصية للجلودي والوصية لعلي بن رئاب وغيرهم كثير[٥٤].

الخلاف حول أبي بكر وعلي وأيهما أحق بالأمر بعد النبي

مـــن المعلوم أن الذي تولى مقاليد الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وظهرت قضية الخلافة في الساعة التي تـــوفي فيها رسول الله، فبينما كان علي بن ابي طالب مشغولاً يغسل رسول الله وتكفيـــنه، عـــلم المهاجرون أن نفراً من الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة وعـــلى رأسهم سيد الخزرج سعد بن عبادة، وكان مريضاً لا يستطيع الكلام، وكـــان ابنه يترجم عنه، وهم يتداولون أمر خلافة رسول الله، ويرون أنفسهم أحق بها،لأنهم أهل الدار الذين آووْا ونصروا، فأسرع أبو بكر وعمر إلى السقيفة ولقـــيا أبـــا عبيدة في الطريق فاصطحباه فوجدوا الأنصار يهمون ببيعة سعد بن عـــبادة، فتكـــلم أبو بكر وتكلم عمر ووقعت مشادات كلامية بين عمر وبين بعـــض الأنصـــار، إلا أن كـــلمة أبي بكر كان لها أثرها الطيب في نفوسهم لما احتوت عليه من حجج مقنعة.

قال لهم إن العرب لن تعطي القياد لغير قريش وإنَّ ذِكْر المهاجرين مقدم على ذكر الأنصار في القرآن، وأن الأنصار فريقان متنافسان، إذا كانت الخلافة في أحدهما نفسه عليها الفريق الآخر، فتعود الحال بينهما إلى ما كانت عليه قبل الإسلام.-

وقال لهم أبو بكر: نحن الأمراء وأنتم الوزراء.

وأراد أبو بكر أن يبايع عمر فأبى عمر أن يتقدم على أبي بكر الذي هو أعظم مكانه منه بالسن والسبق في الإسلام والذي هو ثاني اثنين إذ هما في الغار والذي صلى في المسلمين بأمر رسول الله، فبايعه عمر وأبو عبيدة وسبقهما بشير بن سعد، ثم تتابع المهاجرون والأنصار يبايعونه.

وتسمى بيعة السقيفة بالبيعة الخاصة لأن الذين حضروها نفر قليل من الأنصار وثلاثة من المهاجرين يضاف إليهم من دخل السقيفة بعد ذلك وبايع، فلما كان الغد، جلس أبو بكر على المنبر في المسجد وبايعه الناس البيعة العامة[٥٥].

وشعر علي بن أبي طالب أن الخلافة عقدت بشكل مستعجل دون أن يستشيره أحد، وبينما كان مشغولاً بجهاز رسول الله، فوجد في نفسه على أبي بكر وانحاز هو والزبيربن العوام[٥٦]، ونفر من بني هاشم الى بيت فاطمة وظل علي ممتنعاً عن البيعة ستة أشهر، فلما توفيت فاطمة ذهب إلى أبي بكر وبايعه.

أما أبو سفيان فهاله أن يرى الخلافة تخرج من بني عبد مناف (هاشم وأمية) وتصير إلى بني تيم بن مرة، فامتنع عن البيعة قائلاً، ما بال هذا الامر صار في أقل قريش وأذلها؟ وقال لعلي في نبرة تحريض واضحة: إن شئت ملأتها عليه خيلاً ورجلاً فقال علي لأبي سفيان: يا أبا سفيان، طالما عاديت الإسلام وأهله فلم تضره بذلك شيئاً، إنا وجدنا إبا بكر لها أهلاً، فتمثل أبو سفيان يقول الشاعر الجاهلي المتلمس:

ولا يقيم على ضيم يراد به ... إلا الأدلان عير الحي والوتد

هذا على الخسف معكوس برمته ... وذا يشج فلا يرثي له أحد

فزجره علي وقال له: إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنك والله طالما بغيت الإسلام شراً، لا حاجة لنا في نصيحتك[٥٧].

وامتنع سعد بن عبادة عن بيعة أبي بكر وأقام في بيته لا يحضر مع المسلمين جمعه ولا جماعة، يصلي كل الصلوات في بيته ويحج وحده لا يختلط بالناس في ذهابه وإيابه، وظل على هذه الحالة طيلة خلافة أبي بكر وشطراً من خلافة عمر، ثم رحل إلى الشام وقضى نحبه هناك.

وامتنع بعض العرب عن دفع الزكاة لأبي بكر وحجتهم في ذلك أن الله تعالى يقول:(خذ من أموالهم صدقة تزكيهم وتطهرهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم ")[٥٨]

فقالوا: لا نعطي الزكاة إلا لمن صلاته سكن لنا.

وخاف بعضهم أن الأمر ملك سيورثه أبو بكر أبناءه فيذوق العرب المذلة التي أذاقها كسرى وقيصر رعاياهما، والتي أذاقها النعمان أهل العراق والتبابعة أهل اليمن.

وعبر الحطيئة عن مخاوف هؤلاء بقوله:

أطعنا رسول الله مذ كان بيننا ... فيالعباد الله ما لأبي بكر
أيورثها بكراً إذا مات بعده ... وتلك لعمر الله قاصمة الظهر[٥٩]

ولا ندري أجهل الحطيئة أم تجاهل أنه ليس لأبي بكر ولد اسمه بكر ولا يعرف على وجه اليقين لماذا لقب بهذا اللقب وهو على الحقيقة أبو عبد الرحمن عبد الله بن عثمان التيمي، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لم يتوقع الحطيئة وأمثاله أن يعهد أبو بكر بالخلافة من بعده لمن يعلم أنه أقدر الناس على الاضطلاع بأعبائها، بل تصوروها ملكاً وراثياً لأنهم لم يكونوا يعرفون شكلاً آخر من أشكال الحكم في ذلك الوقت.

موقف السنة مما جرى في السقيفة

يُجمع أهل السنة على أن خلافة أبي بكر صحيحة وأن أبا بكر أحق أصحاب رسول الله بالخلافة.

ولقد اجتمعت لأبي بكر من شروط الخلافة ما لم يجتمع لغيره، منها:

سابقته، فأبو بكر أول من أسلم من الرجال.

وصحبة النبي في الغار، تلك الصحبة التي نوه الله بها في القرآن الكريم فقال جل من قائل: (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا)[٦٠].

وسنُّه، وكان أبو بكر قد تجاوز الستين ببضعة أشهر وهذه سن مناسبة للخلافة فلا يجوز أن يحكم الأمة شاب كي لا يقودهم إلى المهالك برعونة الشباب ولا شيخ يدب على العصا كي لا يضعف الأمة بضعف شيخوخته ومنها إجماع الصحابة على حبه وإجلالهم له وكذلك عامة المسلمين.

ومع شروط الخلافة اجتمعت لأبي بكر أمارات من رسول الله تدل على أنه يهيئه لها وعلى رأسها أنه أمَّره للصلاة وأبى أن يكون غير أبي بكر إماماً.

فعندما اشتد المرض برسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس وراجعته في ذلك عائشة، فقالت: يا رسول الله، إن أبي رجل أسيف[٦١] وانه متى يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمَرت عمر. فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس. وأعادت عائشة القول وأعاد رسول الله الأمر حتى قال لها: انكن انتن صواحب يوسف[٦٢]، مروا أبا بكر فليُصَلِّ بالناس.

وكان عبد الله بن زمعة عند النبي، فخرج فلم يجد أبا بكر، فأشار على عمر أن يصلي بالناس، فتقدم وكبر وكان رجلاً مجهِراً، وسمع رسول الله صوت عمر فقال: يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون، مروا ابا بكر فليصل بالناس ثم دخل أبو بكر المسجد فصلى إماماً، وخرج رسول الله إلى المسلمين وصلى عن يمين أبي بكر قاعداً[٦٣]، ولقد صلى أبو بكر في المسلمين سبع عشرة صلاة في مرض رسول الله عليه السلام.

وقولـه صلى الله عليه وسلم: لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخي وصاحبي[٦٤].

ومنها أن امرأة جاءت النبي في أمر، فأمرها أن تعود إليه، فقالت لـه: فإن لم أجدك؟ كأنها تعني الموت- فقال: تجدين أبا بكر[٦٥].

فأبو بكر- عند أهل السنة- تولى الخلافة وهو أهل لها ولا يُقبل الطعن في صحة خلافته ولو تولاها مكانه علي لكان لها أهلاً.

موقف الشيعة مما حدث في السقيفة

إذا كـان أهل السنة يعتبرون ما حدث في سقيفة بني ساعدة وما أسفر عـنه اجتماع الأنصار والمهاجرين هو عين الصواب، وبيعة أبي بكر حق ونعمة عـلى المسلمين فالشيعة الزيدية يقولون: لا بأس فيما حدث، وخلافة أبي بكر أقـرب إلى تحقـيق وحـدة المسلمين مما لو آلت الخلافة إلى علي بعد الرسول مباشـرة، لأن كثيراً ممن أسلموا حديثاً سينظرون إلى علي باعتباره قاتل الآباء والإخوة فيضمرون الغش للخليفة وللمسلمين أما أبو بكر فلم يقتل بسيفه أحداً فهو أقرب إلى قلوب هؤلاء.

أمـا الشـيعة الاثنا عشرية فيقولون: إن الخلافة كان من المفروض أن تكون لعلي بن أبي طالب بعد رسول الله مباشرة وأن أبا بكر أخذ ما ليس لـه وكذلك عمر وعثمان من بعده، وذلك لأنه ليس لأحد من أصحاب رسول الله من القرابة والسابقة والبلاء والكفاءة مثل ما لعلي بن أبي طالب.

هـذا من جهة ومن جهة أخرى فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصى لعلي بالخلافة بالتلميح والتصريح.

فعلي من آل بيت رسول الله المنزهين والمطهرين[٦٦] لقوله تعالى: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً[٦٧]

وهو خامس أصحاب الكساء ؛ دخل رسول الله على فاطمة وعلي والحسن والحسين فأدخلهم في كسائه وقال: اللهم إن لكل نبي أهلاً وثقلاً، وهؤلاء أهل بيتي وثقلي[٦٨].

ومنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إني تارك فيكم خليفتين، كتاب الله حبلاً ممدوداً من السماء إلى الأرض وعترتي، أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، يقول العالم الشيعي عبد الحسين شرف الدين الموسوي في كتابه (المراجعات ص ٢٢٢): فهذا نص في خلافة أئمة العترة عليهم السلام.

ولقد أورد العالم السني ابن طولون حديثا شبيها بهذا نقله عن صحيح مسلم وهذا نصه: عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني تارك فيكم ثقلين:أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي.[٦٩]

ومنها أن رسول الله في بداية عهد الإسلام قال للمسلمين القلائل الذين كانوا حوله: من يبايعني على ماله؟ فبايعه جماعة، ثم قال: من الذي يبايعني على روحه وهو وصيي وولي هذا الأمر من بعدي؟ فلم يبايعه أحد حتى مد علي، رضي الله عنه، يده إليه، فبايعه على روحه ووفى بذلك، حتى كانت قريش تعير أبا طالب بقولهم: لقد أمّر عليك ابنك.[٧٠]

ومنها أن رسول الله خرج في إحدى غزواته وخلف عليا على المدينة فراجعه علي في ذلك وقال له: يا رسول الله تؤمرني على النساء والصبيان؟ فقال

لـــه عليه السلام: يا علي، أنت مني بمنـــزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي؟

قالت الشيعة: ومنــزلة هارون من موسى معروفة، إلا أن هارون كان مشـــاركا لموسى في النبوة، ولم يكن ذلك لعلي، وكان هارون أخا موسى ولم يكن علي أخا محمد فما المنـــزلة التي عناها رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا الخلافة، فمن المعروف أن هارون مات في عهد موسى، وأن الذي خلف موسى عـــلى بـــني اسرائيل هو فتاه يوشع بن ذي النون، ولو عاش هارون إلى ما بعد موسى فلاشك أنه سيكون خليفة على بني إسرائيل.

ويـــرد العـــالم السني القرطبي في تفسيره الشهير، على هذا الاستدلال بقولـــــه: إن رســـول الله صلى الله عليه وسلم لم يقصد الخلافة وإنما أراد أني أستخلفك على أهلي حالة غيابي عنهم، كما استخلف موسى هارون على قومه حين ذهب لمناجاة ربه، ولو قصد الخلافة لقال: أنت مني بمنـــزلة يوشع بن ذي النون من موسى[٧١].

ومن أدلتهم على أولوية علي قوله تعالى: {إنما وليكم الله والذين آمنوا يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون}[٧٢].

إذ يـــروي عـــلماء الشيعة وعدد من علماء السنة كابن عباس ومجاهد والســـدي انها نـــزلت في علي بن ابي طالب،إذ دخل سائل المسجد وكان علي راكعـــاً فأومأ إليه أن ينـــزع خاتماً كان في إصبعه، فنـــزعه السائل، فنـــزلت هذه السورة[٧٣].

أمـــا مـــن جانب أهل السنة، فيرى القرطبي أن الآية محكمة غير قابلة للتأويل، فالمؤمنون أولياء المؤمنين.

ويروى أن الإمام محمد الباقر رضي الله عنه، سئل عن هذه الآية أهي في علي أم في المؤمنين بشكل عام، فقال: علي من المؤمنين[٧٤].

أما أعظم النصوص عند الشيعة وأشهرها وأصرحها في الوصية لعلي فهو حديث غدير خم.

حديث غدير خم[٧٥]

روى علماء الشيعة وعلماء من السنة قصة الحديث بنصوص تكاد تكون واحدة، مع اختلاف بين الطائفتين في مناسبة خطبة الغدير وفيما يستنتج منها بخصوص أولوية الخلافة:

أ- عند الشيعة

عندما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع، نزل الوحي على رسول الله يبلغه أمر ربه في أن ينص على علي وينصبه علماً من بعده، فأخفى رسول الله ذلك في نفسه، لأن المسلمين لم يكونوا جميعاً على مستوى واحد من الإيمان واليقين والمعرفة التامة بنزاهة المقصد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمنهم من أسلم حديثاً ومنهم من لم يتمكن الإيمان في قلبه، فخشي عليه السلام أن يقول قائلون إنه خص علياً لأنه ذو صهره وابن عمه، فنزل قوله تعالى: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس}[٧٦]

فلما بلغ رسول الله غدير خم وهو في الجحفة التي تتشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين، وعنده شجرات دوح، نزل رسول الله ونزل المسلمون وأمر بالدوحات فقممن، وأمر رسول الله بإلحاق من تأخر من المسلمين وإرجاع من تقدم، ثم قال لهم: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن

محمداً رسول الله وأن جنته حق وأن ناره حق وأن الموت حق وأن البعث حق بعد الموت وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟

قالوا: بلى، نشهد بذلك.

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يد علي فرفعها إليه حتى بان بياض إبطيه وقال: أيها الناس، إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، أنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت وليه فهذا وليه، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله[٧٧]. انتهى الحديث".

هذا الحديث الشريف هو من الأحاديث المتواترة عند الشيعة، بل لعله أكثر أحاديث رسول الله تواتراً، وشهرته عندهم تفوق شهرة أي حديث نبوي آخر.

وبلغ من أهميته عندهم أن أحد علمائهم وهو عبد الحسين الأميني النجفي ألّف موسوعة ضخمة سماها الغدير، وبدأ الجزء الأول منها بالحديث عن واقعة الغدير، وذلك موضع الرواية لكل صحابي منهم، رضي الله عنهم أجمعين ثم ذكر عدداً كبيراً من التابعين وتابعيهم كلهم روى حديث الغدير[٧٨].

كما أن الشيعة يعدون ذكرى الغدير في الثامن عشر من ذي الحجة من كل سنة عيداً، ويصومون في ذلك اليوم.

ب- عند أهل السنة

الحديث صحيح ايضاً وهو وارد في سنن النسائي ومسند الإمام أحمد بن حنبل[٧٩] وفي كتب التاريخ للمؤرخين السنيين من أمثال الطبري وابن كثير.

أورده النسائي في سننه عن ابي الطفيل عن زيد بن أرقم،على النحو التالي: " لما رجع رسول الله من حجة الوداع ونزل غدير خم، أمر بدوحات

فقُمِمْنَ، ثم قال: (كأني قد دُعيت فأجبت، إني تركت فيكم الثقلين؛ كتاب الله وعـــترتي أ هل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عـــليّ الحـــوض)، ثم قال: (الله مولاي، وأنا وليُّ كل مؤمن) ثم أخذ بيد عليٍّ فقال: (من كنت مولاه فهذا وليُّه، اللهم والِ من ولاه وعادِ من عاداه)، فقلت لزيد: سمعتَه من رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟

فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينيه وسمعه بأذنيه". (البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ص ١٦٧ وما بعدها).

وروى الحديث ابن ماجة وابن جرير الطبري وهو وارد بأسانيد عديدة وألفاظ متقاربة.

أمـــا مناسبة الحديث من جانب الرواة من أهل السنة، فهو أن رسول الله، صـــلى الله عليه وسلّم سمع بعض الصحابة ينتقصون من قدر عليّ كرّم الله وجهه بسبب شدته وتقتيره على جند كانوا تحت إمرته، وفصّل ابن كثير الحادثة على النحو التالي:

قـــال محمـــد بن إسحق ــ في سياق حجة الوداع ــ: حدثني يحيى بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة. قال: لمـــا أقبل علي من اليمن (كان قائد سرية أرسلها رسول الله إلى تلك النواحي) لـــيلقى رســـول الله، صـــلى الله علـــيه وسلم بمكة، تعجّل على رسول الله، واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسى كـــل رجـــل من القوم حُلةً من البز الذي كان مع علي، فلما دنا جيشه خرج لـــيلقاهم فإذا عليهم الحلل. فقال: ويلك! ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا بـــه إذا قدموا على الناس. قال: ويلك! انـــزع قبل أن ينتهي به إلى رسول الله، صـــلى الله علـــيه وسلم، فانتزع الحلل من الناس وردها إلى البز. قال: وأظهر

الجيش شكواه لما صنع بهم، فقام رسول الله خطيباً، فقال: أيها الناس، لا تشكو علياً، فوالله إنه لأخشنُ في ذات الله، أو في سبيل الله (مِن أن يُشكى).

وورد في مسند الإمام أحمد عن ابن عباس، عن بريدة قال: غزوتُ مع عليٍّ اليمن، فرأيت منه جفوة، فلما قدمت على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ذكرت علياً فتنقصتُه، فرأيت وجه رسول الله يتغير، فقال: يا بريدة، ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

قلت: بلى يا رسول الله.

قال: من كنتُ مولاه، فعليٌّ مولاه. (البداية والنهاية ج٤ ص ١٦٨)

صحيح أن الحديث لا يبلغ عند السنة مبلغ التواتر، وأن قلة قليلة شككت فيه كأبي داود السجستاني وأبي حاتم الرازي، إلا أن القرطبي في تفسيره لا يأخذ بتشكيكهما ويؤكد أن الحديث صحيح وجميع رواته ثقات[٨٠].

مدلول الحديث

أما مدلول الحديث فمختلف فيه عند الفريقين، فالشيعة يعتقدون اعتقاداً راسخاً جازماً أن الحديث ينص على أن علياً أحق بالخلافة، وأن له من الطاعة بعد رسول الله مثل ما كان لرسول الله من الطاعة على المسلمين، ذلك أن علياً مولى المسلمين كما كان رسول الله مولاهم، ولقد حدد الله تعالى في محكم كتابه معنى الولاء بقوله: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم[٨١].

فهو أولى بهم من أنفسهم، أي أنه أحق بطاعتهم ومحبتهم ممن عداه، وكذلك علي بن أبي طالب، لقد وجبت طاعته على جميع الصحابة وكان عليهم ألا يبتوا في موضوع الخلافة من غير استشارته، بل كان عليهم أن

ينتظروه حتى يفرغ من غسل رسول الله ثم يستشيروه ويطيعوا أمره لأنه مولاهم.

يقول عبد الحسين الموسوي في "المراجعات": فالحديث مع ما حف به من قرائن نص جلي في خلافة علي، لا يقبل التأويل وليس إلى صرفه عن هذا المعنى من سبيل، وهو واضح لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد[٨٢].

أما السنة، فلا يرون في الحديث الشريف نصاً على خلافة علي، وليست كلمة مولى عندهم بمعنى أولى، والآية الكريمة " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم" هي خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) فهذه خصوصية لرسول الله، لأن أزواج علي كرم الله وجهه لسن أمهات للمؤمنين وبذا لا يمكن القول " علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم" لأن الآية كل متكامل لا يتجزأ.

فالولاية الواردة في الحديث النبوي تعني المحبة والإخلاص، وبهذا المعني جاء قوله تعالى: " ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم"[٨٣].

وبهذا المعنى روي عن جماعة من الصحابة أنهم قالوا: ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ببغضهم لعلي عليه السلام[٨٤].

فالولاء لعلي هو إلزام المسلمين بمحبته وتحذير لكل من أراد مناصبته العداء كل ذلك في عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لا شأن للخلافة فيه- في رأي أهل السنة- والدليل على ذلك أن عمر استقبل علياً وقال له: طوبى لك يا علي، أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة[٨٥].

وكان في العتره النبوية المطهرة من يرى رأي أهل السنة في هذه المسألة.

يروى أن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كان يرى أن الحديث تنويه بفضل علي وسابقته وقرابته، وليس فيه ما يدل على وجوب استخلافه.

نقل محب الدين الخطيب في حاشية العواصم من القواصم نقلاً عن الحافظ بن عساكر في الجزء الرابع من تهذيب تاريخ دمشق عن الحافظ البيهقي في حديث فضيل بن مرزوق أن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب سئل فقيل له: ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاه؟ قال: بلى ولكن والله لم يعنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الإمارة والسلطان، ولو أراد ذلك لأفصح لهم به فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصح المسلمين، ولو كان الأمر كما قيل لقال: أيها الناس، هذا وليُّ أمرِكم والقائم عليكم من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا، والله لئن كان الله ورسوله اختار علياً لهذا الأمر وجعله القائم للمسلمين من بعده ثم ترك علي أمر الله ورسوله، كان عليٌّ أوَّلَ مَن ترك أمْرَ اللهِ (رواه البيهقي من طرق متعددة)[٨٦].

مجمل القول: إن الشيعة يرون أن علياً كان أحق بخلافة رسول الله أما أهل السنة فيرون أن خلافة أبي بكر كانت صحيحة وكانت على المسلمين نعمة وخيراً عميماً، ولو تولاها علي لكان لها أهلاً وبها جديراً.

عصمة الإمام

يرى أهل السنة أن إمام المسلمين موفق إذا تحرى العدل والرشاد في إمره كله واجتهد في اختيار بطانة من أهل الصلاح والتقوى، يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر، لكنه ليس معصوماً، فقد يقترف الذنوب وقد يرتكب الأخطاء، وعندها يأتي دور مستشاريه من أهل الخير والصلاح، فهم ينهونه عن

التمادي في الخطأ، ويأمرونه بالتراجع عنه ويبينون له طريق الحق والعدل، فبطأنة الخير عصمة للأمة من أن يُهلكها رأي واحد مستبد.

وفي سير الأنبياء ما يدل على أنهم ربما يتعرضون للنسيان قال تعالى: ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما[87].

وقال على لسان موسى: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً[88] وجاءت نصوص صحيحة تخبر أن النبي عليه السلام نسي فسجد سجود السهو[89].

هؤلاء أنبياء معصومون وقد يتعرضون للسهو والنسيان بل وقد يجتهد النبي اجتهاداً فيعاتبه ربه فيه، كقوله مخاطباً نبيه محمداً في شأن الذين تخلفوا عن غزوة العسرة بإذن رسول الله، وقد جاءوه بأعذار واهية: " عفا الله عنك لم أذنت لهم"[90].

وعاتبه في شأن ابن أم مكتوم وقد أعرض رسول الله عنه، قال تعالى" عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى. أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى[91].

فإذا كان الأنبياء وهم أعظم مكانة من الأئمة، يتعرضون للسهو والنسيان والاجتهاد الذي يكون غيره أولى منه، فالأئمة يتعرضون لذلك أيضاً.

فأهل السنة يرفضون القول بعصمة الأئمة كما يقول بها الشيعة ولا يأخذون بالأحاديث التي وردت في الكافي مرفوعة إلى الإمام جعفر الصادق وغيره من الأئمة والتي تفيد أن الأئمة معصومون عن الخطأ والنسيان ويعدون مثل هذه الأحاديث موضوعة على الأئمة الكرام عليهم السلام.

أما الشيعة فيأخذون بالأحاديث العديدة التي تنبئ بعصمة الأئمة ويعدونها صحيحة.

ويجب ألا يغيب عن أذهاننا أن العصمة عند الشيعة، إنما هي لآل البيت الكريم وأولهم علي بن أبي طالب وآخرهم القائم المنتظر وهي لرجال العترة النبوية ونسائها، وهؤلاء أصحاب ولاية تكوينية أي أنهم مخلوقون لقيادة الأمة الإسلامية، وشاء الله تعالى أن يمن عليهم بالعصمة كما منَّ بها على أنبيائه ورسله الكرام ليقودوا الأمة على أتمّ وجه وأكمله ولتكون طاعة الرعية واجبة لهم، فالرعية تطيع الإمام طاعة حقيقية وصادقة إذا علمت أنه لا يخطئ في حقها ولا يذنب.

أما من اكتسب لقب إمام وقاد أمة المسلمين في غياب القائم المنتظر، كالإمام الخميني مثلاً، فهو ليس من المعصومين، فالخميني على رفعه قدره وبالرغم من أنه من آل البيت،من نسل الإمام موسى الكاظم، ليس من المعصومين، ولم يكن الإمام لكنه نائب الإمام، ولم تكن له ولاية تكوينية، لكن ولايته اعتبارية بمعنى أنه استحق طاعة المسلمين لأن علمه وورعه وجهاده رفعه الى مرتبة قيادة الأمة، فهو الولي الفقيه إلى أن توفي، والصفة نفسها انتقلت إلى خلفه الإمام السيد علي أكبر خامنائي فهو نائب الإمام والولي الفقيه، فكلا الإمامين -رضي الله عنهما- واجب الطاعة لا لنسبه، بل لتمثيله للأمة ونيابته عن الإمام المهدي المنتظر، ونائب الإمام واجب الطاعة ما دامت الأمة ترى فيه الشخصية المناسبة للقيادة أي ما دام يتبوأ منصب الوليّ الفقيه ولو غيّر الولي الفقيه أو بدّل فعلى الأمة أن تعزله وتولي من هو أنسب منه، هذا معنى الولاية الاعتبارية، وهذا ينطبق على كل إمام يأتي في غياب المهدي المنتظر.

أما الأئمة الاثنا عشر،ذوو الولاية التكوينية " الربانية" فولايتهم ليست منصباً يأتي ويذهب وإنما هي درجة عليا وموهبة ربانية لا يملك البشر إيجادها ولا إزالتها.

ويستشهد الشيعة على عصمة الأئمة بقوله تعالى: " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً"[٩٢].

يقول الشيعة: كيف يكون طاهراً مطهراً من يرتكب الإثم والخطيئة ويجوز في الحكم؟

كما أن الأئمة الكرام هم مصدر العلم كله، استمدوا علمهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وورثوه كابراً عن كابر، ولقد استمد رسول الله علمه من ربه علام الغيوب، وكما أن رسول الله لا يخطئ فيما ينقل عن ربه، فكذلك الأئمة لا يخطئون فيما ينقلون عن رسول الله.

والشيعة يعتقدون أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، إلا أن النبي يوحى إليه والإمام لا يوحى إليه.

يقول العالم الشيعي محمد الحسين آل كاشف الغطاء: والإمامة متسلسلة في اثني عشر، كل سابق ينص على اللاحق، ويشترطون (الشيعة) في الإمام (من الائمة الاثني عشر) أن يكون معصوماً عن الخطأ والخطيئة، وإلا، زالت الثقة به، ويستدلون بقوله تعالى: {إني جاعلك للناس إماماً،قال ومن ذريتي، قال لا ينال عهدي الظالمين}، فهذه آية صريحة في الدلالة على العصمة- والقول لآل كاشف الغطاء- لمن تدبرها جيداً[٩٣].

ويعلل الشيخ محمد جواد مغنية ضرورة العصمة للإمام، بأن الغاية من وجوده إرشاد الناس إلى الحق، وردعهم عن الباطل، فلو جاز عليه الخطأ في الأحكام، أو المعصية لكان كمن يطهر المكروب بمكروب مثله[٩٤].

وأكثر ما يعارض أهل السنة في موضوع العصمة، قول من قال من الشيعة إن الإمام منزه عن السهو، لأن القرآن الكريم نص على سهو ونسيان من الأنبياء، ويجمع أهل السنة على عدم الاعتقاد بصحة الأحاديث الوارادة عن الأئمة بهذا الشأن.

أما الشيعة فيأخذون بها ويعتقدون بصحة أغلبها، وعليها اعتمد الإمام الخميني في قوله عن الأئمة: نحن نعتقد أن المنصب الذي منحه الائمة، عليهم السلام، للفقهاء، لا يزال محفوظاً لهم، لان الأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة ونعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه مصلحة للمسلمين، كانوا على علم بأن هذا المنصب لا يزول عن الفقهاء من بعدهم بمجرد وفاتهم[٩٥].

فإذا كان السهو والغفلة منفيان عن الائمة نفياً مطلقاً فهذا لا يوافق عليه أحد من أهل السنة، إلا أن علماء من الشيعة حددوا العصمة فقصروا تنزيه الأئمة عن السهو النسيان على ما يبلغه الإمام للمسلمين من أحكام ربه، سواء ما جاء منها في كتاب الله أو في الاحاديث أو بطريق الإلهام، فهذه لا يجوز السهو فيها، أما فيما عداها فقد أجاز الشيعة على الأئمة السهو والنسيان.

أورد العالم الشيعي محمد جواد مغنية رأي العلامة الطبرسي صاحب كتاب مجمع البيان في تفسير الاية ٦٨ من سورة الأنعام وهي قوله تعالى: " فإما يُنْسِيَنَّكَ الشيطانُ فلا تقعُد بعد الذّكرى مع القوم الظالمين " قال الطبرسي: إن الشيعة لم يجيزوا السهو والنسيان على أئمتهم فيما يؤدونه عن الله تعالى، أمّا ما سواه فقد جوزوا عليهم أن يسهوا عنه، مالم يؤد ذلك إلى إخلال العقل، كيف لا يكون كذلك وقد جوزوا عليهم النوم والإغماء وهما من قبيل السهو؟ ومن نَسَبَ هذا إلى الإمامية فقد ظن ظناً فاسداً وإن بعض الظن إثم[٩٦].

أمـــا عن مصدر العصمة عند الإمام، أهي الفطرة أم الغريزة، فاختلف الشيعة في هذا الأمر، منهم من قال إن الأئمة معصومون بالفطرة، وإن الإمام لا يمكن أن يرتكب المعصية لأنه غير مخلوق لها.

ومـــنهم من قال إنه معصوم بالغريزة، وإن للمعصوم غريزة تردع عن المعصية كما تردع غريزة الشجاعة عن الفرار وغريزة الكرم عن الإمساك، هذا ما يميل إليه الإمامية، فحقيقة العصمة عندهم أن الإمام يفعل الواجب مع قدرته على تركه، ويترك المحرم مع قدرته على فعله، لكنه مع ذلك لم يترك واجباً ولم يفعل محرماً.

خلاصـــة القـــول في هذا الموضوع أن أهل السنة يعتقدون أن العصمة للأنبـــياء وحدهم، في حين يعتقد الشيعة انها للأنبياء ولآل البيت النبوي رجالاً ونســـاءً، فهم يقدِّسون مدينة (قُم) في إيران لأن فيها قبر المعصومة فاطمة بنت الإمـــام موسى الكاظم التي توفيت قرب مدينة قم ودفنت فيها سنة ٢٠١هـــ، عـــندما كانـــت قادمة من المدينة المنورة لزيارة أخيها الإمام علي الرضا مثلما يقدســـون مدينة (مَشْهَد) لأن فيها قبر شقيقها الإمامَ علي الرضا،الإمام الثامن عـــند الأئمـــةالاثني عشرية. إلا أن عصمة الأئمة لمن تدبرها جيداً لا تخرج عن حـــدود المعقول ولا إثم على من قال بها ما دام لم يعطِ الأئمةغير صفة العبودية لله.

إن مسألة عصمة الأئمة من مسائل الخلاف بين الفريقين لكن لا ينبغي أن تـــناقش بينهما بحساسية، وأن تكون سبباً للقطيعة ما دامت بعيدة عن المس بتوحيد الله تعالى وتنـــزيه عن كل شبيه أو شريك.

والخلاف بين السنة والشيعة حول عصمة الإمام متعلق بالخلاف حول الإمـــام نفسه من هو؟ وكيف نال الإمامة ومن أين يستقي علمه، وهل الإمامة

منصب إلهي قريب من النبوة كما يقول الشيعة أم هي وظيفة لمن يستحقها من المسلمين على مر العصور، إن أحسن فله مكانة سامية عند الله، وإن أساء فله عذاب أليم، وإن استقام أعانه المستشارون من بطانة الخير، وإن اعوجَّ قوموه هذا معتقد أهل السنة، ومن هذا المنطلق، لا يرون في الإمام إلا أنه واحد من المسلمين هو أثقلهم حملاً وأعظمهم مسؤولية.

إمامة الفاضل والمفضول بين السنة والشيعة

يرى أهل السنة أن الإمام ينبغي أن يكون أفضل أهل زمانه أو من أفضلهم في وجوه الفضل كلها وعلى الأخص فضيلتان: التقوى والعلم.

فيجب أن تتوفرللإمام جميع شروط الانعقاد دون استثناء وأن يكون فيه من شروط الأفضلية أكثر مما في غيره من المسلمين وبذا يكون أفضلهم وأجدرهم بمنصب الخلافة، وشروط الانعقاد متوفرة في الكثير من المسلمين وهي الإسلام والبلوغ والعقل والحرية وأن يكون ذكراً، سليم الحواس.

أما شروط الأفضلية فهي كثيرة غير محصورة، وليس من السهل اجتماعها كلها في شخص واحد فإذا بحثنا عن انسان هو الأشجع والأغزر علماً والأفصح لساناً والأرجح عقلاً والأكثر زهداً وعبادة في الفرض والنافلة وعنده قوة الأعصاب وشدة الاحتمال أكثر من غيره، إلى آخر ما هنالك من صفات حميدة لا آخر لها، فمن العسير أن نجد هذا الانسان بهذه المواصفات إلا أن يكون خُلق كما يشاء. لكننا نجد تفاضلاً بين الناس فهذا شجاع كريم إلا أنه قليل الزهد والعبادة، وهذا عابد زاهد إلا أنه ضعيف الجسم والأعصاب وهذا راجح العقل إلا أن عدالته مطعون فيها وهكذا.....فأحق المسلمين بالخلافة من اجتمع فيه من الفضائل أكثر مما اجتمع في غيره وخاصة فضيلتي التقوى والعلم بأمور

الدين، لكننا قد نجد انساناً اجتمع فيه من الصفات ما جعله أهلاً لقيادة الأمة إلا أنه غير راغب في هذا المنصب عندها لابد من اختيار من هو دونه فضلاً.

وإذا تنافس على المنصب رجلان أحدهما أتقى وأفقه والآخر ذو شخصية قوية وقدرة كبيرة على مواجهة المصاعب بدرجة غير متوفرة في الأول، فقد تجد الأمة أن من مصلحتها اختيار الرجل الثاني.

فأهل السنة يرون جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل.

فالحسن بن علي تنازل عن الخلافة لمعاوية مع أن الحسن أفضل من معاوية بإقرار أشد أهل السنة حماساً في الدفاع عن معاوية كأبي بكر بن العربي صاحب كتاب العواصم من القواصم.

يقول ابن العربي: ولكن البيعة للحسن منعقدة، وهو أحق من معاوية ومن كثير من غيره، وكان خروجه لمثل ما خرج اليه أبوه من دعاء الفئة الباغية إلى الانقياد للحق والدخول في الطاعة، فآلت الوساطة إلى أن تخلى عن الأمر لحقن دماء الامة وتصديقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال على المنبر "ابني هذا سيد ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين" فنفذ الميعاد وصحت البيعة وذلك لتحقيق رجاء النبي صلى الله عليه وسلم[٩٧].

ويرى محب الدين الخطيب، أن علماء السنة القدماء كلهم أجمع على جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل إلا الجاحظ، ولا يضير الأمة في شيء مخالفة الجاحظ، ولقد كان الجاحظ يتقرب من خلفاء بني العباس ويقر لهم بالخلافة، فهل كانوا أفاضل أهل زمانهم؟ بالطبع كلا[٩٨]، كان الأئمة من عترة المصطفى صلى الله عليه وسلم، أعظم منهم ورعاً وتقوى وعلماً وحلماً وقرابة من رسول الله، لكن ذلك كله لم يبطل خلافة الخليفة العباسي عند أهل السنة.

أما الشيعة الاثنا عشرية فيعتقدون بأن الإمامة للأفضل واحتجوا بقوله تعالى: "أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يُتبع أمَّن لا يَهِدّي إلا أن يُهدى، فما لكم كيف تحكمون"[99]. ويعتقدون أن علياً كان أفضل أصحاب رسول الله، فهو إذن أحقهم بخلافته، وأن أبناءه أفضلُ الناسِ، كل في زمانه، وكلٌّ منهم أحق بالخلافة من المغتصب الأموي ثم العباسي.

اما الشيعة الزيدية فيقولون بجواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل وأول من قال بها الإمام زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم، وعندما جاء من الشام إلى العراق وحدّث الشيعة بمقالته وأنه يعتقد أن خلافة أبي بكر كانت أقرب إلى مصلحة المسلمين من خلافة عليّ لو جاءت بدلاً منها، رفضَ شيعة العراق مقالته ومالوا إلى أخيه محمد الباقر، فسماهم أهل السنة" الرافضة".

إن الشيعة عندما يتحدثون عن الفاضل والمفضول يعدون علياً الفاضل لكل أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أما أهل السنة فلا يولون هذه القضية كبير أهمية، ويعتقدون أن أبا بكر هو أفضل أصحاب رسول الله، ولا ينتقصون من فضل علي، كرم الله وجهه، ولا يرون أن أحداً من أصحاب رسول الله أفضل من علي، أي أن كلا الصحابيين الجليلين حائز على أعلى درجات الفضل.

ولاية الفقيه

من شروط الإمام عند أهل السنة، أن يكون فقيهاً مجتهداً لا يحتاج إلى غيره في الاستفتاء في الحوادث، بحيث يصلح أن يكون قاضياً من قضاة المسلمين يقول الإمام القرطبي: (وهذا متفق عليه عند أهل السنة). وأن يكون من

أفضـــلهم في العلم لقوله صلى الله عليه وسلم، "ائمتكم شفعاؤكم، فانظرو بمَن تستشفعون"[١٠٠].

ويـــتفق الســـنة والشـــيعة على ذلك ويسمى الشيعة الحكومة (ولاية ويصـــفون الحاكم بأعظم صفاته وهي الفقه، فيسمون حكومة الاسلام: ولاية الفقيه. فحاكم المسلمين هو ولي أمرهم ويجب ان يكون فقيهاً.

وهـــذه الصـــفة، من أشهر صفات الأئمة الكرام بدءاً بأمير المؤمنين وانـــتهاء بالحسن العسكري الزكي الحادي عشر، ثم هي صفة المهدي المنتظر، فكان الأئمة الاثنا عشر مرجع المسلمين في الفقه ومصدر كل علم وأئمة يقتدى بهـــم في الـــورع والـــتقوى، وبهذا تميزوا عن غيرهم من الحكام الذين لم يبلغوا مبلغهم في أي باب من أبواب الفضل.

وبمـــا أن الحكومـــة الإســـلامية تستمد قوانينها من مصادر التشريع الإسلامي، وبما أن أفرادها يأتمرون بأمر الإسلام في كل شأن من شؤون حياتهم فواجـــب عليهم أن يرجعوا إلى الفقيه العابد فيستشيروه ويأتمروا بأمره وينتهوا بنهـــيه، فـــأعظمهم فقهـــاً وعدالة هو حاكمهم العام ثم عليه أن يختار القضاة والمستشـــارين وحكام الأقاليم وغيرهم من بين أصحاب الفقه والتقوى، وبهذا يقـــتدي المســـلم بمـــن يستحق أن يكون قدوة وتصلح أمور المسلمين بصلاح حكامهم.

وطاعـــة الفقـــيه التقي فرض من الله على كل مسلم اذا تبوأ المنصب الرسمي للحكم.

أما ما حصل فعلاً فهو أن حكام المسلمين بعد أمير المؤمنين علي،عليه الســـلام، كـــانوا أهـــل دنـــيا، ركنوا إلى حياة الرغد وإلى القصور الشامخات والجـــواري الفاتـــنات، فكان على أهل الحق أن يرجعوا في أمور دينهم إلى من

يجدون عنده العلم والدين، فيستفتونه ويطيعونه، وهم ملزمون بالأمرين معاً، الاستفتاء والطاعة، وعليهم ألا يحتكموا إلى حكام الجور والضلال الذين استولوا على السلطة بحد السيف، والا يراجعوا موظفيهم من ولاة وقضاة، لأنهم أهل جور مثلهم.

لذا رأى الشيعة في أئمة أهل البيت الهدى والنور والصلاح مع العلم الغزير وشرف القرابة من المصطفى صلى الله عليه وسلم والأحقية في إمامة المسلمين، فالإمام من آل البيت هو مولى كل مسلم ومسلمة، وهي ولاية فرضها الله لكل واحد من الأئمة الاثني عشر، وجعلها حقاً من حقوقه وطاعته واجبة على المسلمين جميعاً، بل وجعلها- في نظر من بالغوا في تقديرها من الشيعة- تشمل كل ذرات الكون وعناصر الطبيعة وهذا ما يسمى الولاية التكوينية، واصحاب الولاية التكوينية اولهم علي بن ابي طالب واخرهم القائم المنتظر الذي بدأت غيبته سنة ٢٦٥ هـ ولا يزال غائباً.

في زمن الغيبة حل الفقهاء الاتقياء العدول محل الإمام وجعل الله لهم حكماً وسيادة على الناس باعتبارهم قضاة المسلمين يحكمون بالعدل، وما دام احدهم يحكم بالعدل فهو واجب الطاعة وقضاؤه نافذ على كل مسلم ومسلمة، ليس بصفته الشخصية أي: لنسبه وقرابته كما هو الحال بالنسبة لعلي وابنائه، بل لانه يمثل مصالح المسلمين وهذا ما يسمى: الصفة الاعتبارية أي: التمثيلية فقد وثق به المسلمون ورضوا بأحكامه، فهو يرد ظالمهم ويدافع عن مظلومهم ويعطي كل ذي حق حقه، وله الطاعة ما دام يقوم بهذا الواجب العظيم، فإذا اعتزل أو عُزل، لم يعد واجب الطاعة، فولايته ليست تكوينية" فطرية" وإنما هي ولاية اعتبارية أي: هو ولي أمر المسلمين باعتباره مدافعاً عن مصالحهم وله الولاية وهي الطاعة ما دام له مثل هذا الاعتبار.

فالولايــة وهــي الطاعة التامة من حق الفقيه العدل في زمن الغيبة ولا يشترط أن يكون للفقيه منصب رسمي.

ويستدل الإمام الخميني في كتابه: الحكومة الإسلامية، على حق الفقيه في الطاعــة بمــا ورد في الفقــه الرضوي، يقول: منــزلة الفقيه في هذا الوقت كمنــزلة الأنبيــاء في بني إسرائيل، ويرى الإمام الخميني، رضي الله عنه، أن المقصــود بالأنبياء فقهاء بني إسرائيل، تشبيهاً لهم بالأنبياء في وجه من الوجوه، وهو أن موسى عليه السلام كان حين يبعثهم في وجه، يوليهم شؤون الناس في ذلــك الوجــه، وهذا ثابت أيضاً لعلماء المسلمين، لأن ما ثبت لموسى قد ثبت لمحمد، وما ثبت لفقهاء أمة موسى قد ثبت لفقهاء أمة محمد.

كما استشهد الإمام الخميني بحديث نبوي نقله عن جامع الأخبار جاء فيه: "أفتخر يوم القيامة بعلماء أمتي، وعلماء أمتي كسائر الأنبياء من قبلي".

ويستشــهد بحديث ورد في كتاب "مستدرك الوسائل" نصه: "العلماء حكام على الناس".

إلا أن الدليل الأكبر على ولاية الفقيه رسالة لسيد الشهداء الحسين عليه الســلام، إلى الناس في منى ذكر فيها أسباب إعلان الجهاد ضد الدولة الأموية الجائرة ويستفاد منها أمران:

١- ولاية الفقيه

٢- ضــرورة قيام الفقهاء بزلزلة كيان حكام الجور وإقامة كيان حكومي إســلامي شــرعي محله عن طريق الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١٠١].

قــبل الإمام الخميني، ومنذ أن حلت ولاية الفقيه محل الإمام القائم من الإئمة الاثني عشر كانت ولاية الفقيه، أي صلاحياته التي يتوجب طاعته عليها

محصورة في أمور محددة لا تشمل الثورة على الحاكم والحلول محله، لأن حكم المسلمين إنما هو للمهدي المنتظر الذي هو عند الشيعة قائم، أي ؛ حي يرزق مستتر إلى أن يأذن الله له بالخروج، وإذا خرج فهو إمام المسلمين وقائدهم وكان الشيعة يرون أن الفقيه الذي اجتمعت فيه شروط الولاية إنما هو أمين على مصالح من يلي من المسلمين في أمور الفقه والمعيشة، أما الحكم فهو خاص بالمهدي المنتظر الذي من المتوقع ظهوره في أي وقت.

فالولي الفقيه هو من اجتمعت فيه شروط الولاية وهي: أن يكون فاضلاً عالماً بالأحكام والقوانين، عدلاً في تنفيذها.

أما حدود ولايته فكانت قبل الإمام الخميني محصورة في الأمور التالية:
١- بعض الوظائف الجائزة للفقهاء توليها في ظل سلطة حكام الجور. ٢- الإفتاء. ٣- القضاء. ٤- إقامة الحدود والتعزيرات. ٥- الولاية على أموال اليتامى. ٦- الولاية على أموال المجانين والسفهاء والغائبين عن ديارهم ومال من لا وارث له (انظر إيران من الداخل للاستاذ فهمي هويدي ص ١٠٤)

نعود مرة أخرى إلى المصطلحين اللذين أوردهما الإمام الخميني في موضوع الولاية وهما الولاية الاعتبارية والولاية التكوينية.

فالولاية الاعتبارية هي للإمام المسلم الفقيه العادل في زمن الغيبة ولمن يعين من قضاة وولاة فقهاء صالحين مثله، وإذا ابتليَ المسلمون بإمام جائر أو بحكم استعماري غير مسلم من أساسه فالولاية الاعتبارية هي للفقهاء الصالحين كل في مدينته أو لوائه من غير أن يكون له اية وظيفة في ظل حكام الجور باستثناء مجال ضيّق من الوظائف التي لا بد منها، وهذا النوع من الولاية ليس أبدياً وإنما هو مربوط باضطلاع الفقية بمسؤولياته، فإذا تخلى عنها زالت عنه الولاية.

بينما أئمة البيت الكريم يتمتعون بولاية جبلهم الله عليها ومنَّ عليهم بها، وهي غير مرهونة بأي منصب رسمي وغير مهددة بالزوال.

يقول الامام الخميني في حديثه عن صلاحيات الفقيه ذي الولاية الاعتبارية: ويملك هذا الحاكم من أمر الإدارة والرعاية والسياسة للناس، ما كان يملكه الرسول صلى الله عليه وسلم، والإمام عليّ عليه السلام، على ما يمتاز به الرسول والإمام علي من فضائل ومناقب خاصة، إلا أن فضائلهم لم تكن تخولهم أن يخالفوا تعاليم الشرع، أو يتحكموا في الناس بعيداً عن أمر الله، وقد فوض الله الحكومة الإسلامية الفعلية المفروض تشكيلها في زمن الغيبة نفس ما فوضه إلى النبي(ص) وإلى الإمام علي (ع) من أمر الحكم والقضاء والفصل في المنازعات وتعيين الولاة والعمال، وجباية الخراج وتعمير البلاد.

غاية الأمر أن تعيين شخص الآن مرهون بمن جمع في نفسه العلم والعدل.

ولا ينبغي أن يساء فهم ما تقدم، فيتصور أحد أن أهلية الفقيه للولاية، ترفعه الى منزلة النبوة أو إلى منزلة الائمة[١٠٢].

وهذا أمر يسيء فهمه بعض الناس فيتصورون أن الشيعة يرفعون الإمام الخميني إلى مرتبة الأئمة المعصومين، وهذا غير صحيح، فالإمام الخميني ومن جاء بعده ليس له عند الشيعة عصمة، وإنما ينوب عن الإمام المعصوم المهدي الغائب المنتظر الذي إذا ذكروه أضافوا عبارة: "عجل الله فرجه الشريف" فالامام عند الشيعة هو المهدي المنتظر وهو ذو الولاية التكوينية والعصمة الربانية أما من جاء في زمن الغيبة وتولى منصب الإمام فهو نائب الإمام وإنما يُطلَق عليه لقب الإمام مجازاً، وولايته اعتبارية، فيجوزعزله إذا تبين أنه ليس أهلاً للمنصب وإذا عُزِل لم يعُد له من الولاية شيء.

والفـــرق بـــين السنّة والشيعة حول ولاية الفقيه يشمل نوعي الولاية: الأعتـــبارية الـــتي هي للفقهاء زمن الغيبة والتكوينية التي هي للأئمة المعصومين وآخرهم المهدي المنتظر.

أهل السنة لم يروا أن يتولى فقهاء معينون مسؤوليات مالية أو فقهية أو اجتماعية أو سياسية، خارج سلطة الحاكم القائم مهما كان ظالماً، بل يرون أن الحـــاكم ينـــبغي إصلاحه لا انتقاص سيادته، والفرق العملي بين فقهاء الشيعة وفقهـــاء السنّة في تحمّل المسؤولية، أن فقهاء الشيعة كانوا جاذين وعلى درجة من المصداقية جعلت أتباعهم يطيعوهم طاعة تامة، والوقائع العديدة في تصديهم للســـلاطين على مر العصور تشهد بذلك، في حين لم يحمّل أغلب فقهاء السنّة أنفســـهم أيـــة واجبات لتغيير الأمر الواقع واكتفوا بمسؤولية أن يقال للحاكم الظـــالم: أنت ظالم، وقلّة قليلة جداً منهم من قالها قديماً وحديثاً، ولقد تحسنت الحال قليلاً في أيامنا بظهور حركات إسلامية مجاهدةفي أوساط أهل السنة ترفض الانصياع للحاكم الظالم أو الاعتراف بشرعيته لكن كثيرين من الفقهاء في كافة أرجـــاء العـــالم الإسلامي لا يزالون في خدمة السلطان أو في أحسن الأحوال بعـــيدين عن معصيته أو التحريض عليه آخذين بمقولة: إمام غشوم خير من فتنة تـــدوم، ناسين أو متناسين أن الإمام الغشوم هو بحد ذاته الفتنة الكبرى التي لا يجـــوز الســـكوت عليها، لأن الحكم الفاسد يفسد على الناس دينهم ودنياهم، كمـــا أن الحكـــام في العالم الإسلامي هم العامل الأكبر من عوامل فرقة الأمة الإسلامية وضعفها وشرذمتها مما أدى إلى خضوعها لأعدائها.

مـــن المحتمل أن الدافع الأكبر للهجوم الذي شنه فقهاء من أهل السنّة على المذهب الشيعي وأئمته بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ م، كـــان محاصـــرة ولاية الفقيه خاصة حين نقلها الإمام الخميني من المحدودية إلى

الشمولية. فأصبحت محاربة أنظمة الحكم الفاسدة جزءاً من واجبات الولي الفقيه.

لقد استجابت الغالبية العظمى من مؤمني الشيعة للإمام الذي يعلمون فيه الصدق والإخلاص وأنه يلزم نفسه بكل ما يدعو إليه قبل أن يُلزم الآخرين وقام الفقهاء الشيعة في إيران بواجبهم على أكمل وجه في الاضطلاع بأعباء المواجهة مع الحكم الشاهنشاهي الفاسد، وقادوا الشعب الإيراني المسلم قيادة اتسمت بالشجاعة والإيمان والتجرد من مطامع الدنيا والزهد في المنصب، وحققوا نصراً مؤزراً مبينا، لم يكن أحد يتوقعه بهذا الحجم وبهذه السرعة، في الوقت الذي لم يحرك فقهاء السنّة ساكناً، (كاتب هذا الكتاب سنّي متمسك بالمذهب) وشعروا أنهم أصبحوا في قفص الاتهام، فهنالك دواعٍ للثورة في بلادهم لا تقل عن دواعي الثورة في إيران، لكنهم غير مستعدين لها، فرأوا أنهم مضطرون إلى الدفاع عن موقفهم، وموقفهم ضعف ولا يجدون لـه أي تبرير مستند إلى الشرع أو إلى المنطق، فرأوا أن الهجوم خير وسيلة للدفاع. هجوم على ولاية الفقيه وعلى المذهب الشيعي عموماً ونبش كل ما طوي ذكره من مهاترات بين الفريقين في العصور السالفة، ليتخلصوا من السؤال: أين فقهاؤنا ولماذا لا يفعلون ما فعل فقهاء الشيعة، لماذا يمالئ كثير منهم حكام الجور ويتقربون منهم، إنها أسئلة بدأت تتردد بقوة في أوساط أهل السنّة منذ نجاح الثورة في إيران.

أما موضع الخلاف الثاني، بين السنة والشيعة، فهو حول الولاية التكوينية للأئمة الاثني عشر، وآخرهم المهدي المنتظر. إذ يعتقد الشيعة بأن طاعة الأئمة نافذة ليس على المؤمنين وحدهم، ولكنهم أصحاب سيادة تخضع لها جميع ذرات الكون.

يقول الامام الخميني- فان للإمام مقاماً محموداً، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية، تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون[103].

وسوف أورد قصيدتين في مدح المهدي المنتظر، وذلك بعد الحديث عن المهـدي المنتظر، توضحان رأي الشاعر الشيعي بهاء الدين العاملي، الذي كان شيخ الطائفة في زمانه، في منـزلة المهدي المنتظر وقدراته ومدى سعة سلطانه، والذي هو رأي الكثيرين من الشيعة،وليس رأي الجميع، كما سنرى، إلا أنهم لا يـرون في معتقدهم هذا، تجاوزاً لقدر الأنبياء عليهم السلام، فما صح للأئمة صح للأنبياء، ولا يرون فيه إخراجاً للائمة من مرتبة البشر، عباد الله، إلى مرتبة قريـبة من الألوهية كما يتهمهم بعض الكتاب من أهل السنة، ذلك أن الله جل جلاله وهب الأنبياء كرامات، خضعت لهم بها نواميس الطبيعة. وهي كرامات ثابته لا شك فيها لأنها واردة في محكم الكتاب العزيز، ومثلها جائز للائمة عند الشيعة، وللصالحين البررة من عباد الله.

لقد جعل الله النار برداً وسلاماً على إبراهيم.

والتقم الحوت يونس فلم يمته،وإنما لفظه في العراء وعاد إلى قومه فآمنوا به وصدقوه.

وآتـى الله عـبده ونبـيه موسى تسع آيات بينات، كلها تدل على خضوع نواميس الكون لموسى بأمر ربه العلي القدير.

فكانت عصاه تستحيل أفعى تلقف ما يأفك السحرة.

وسـلط الله على فرعون وأتباعه الدم والقمل والضفادع. وشق لموسى الـبحر وجفف لـه الطين في قاعة، حتى سلك موسى وقومه في البحر طريقاً يبساً ونجوا من فرعون وجيشه.

وضـرب موسى بعصاه الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم.

ووجـــد بنو إسرائيل رجلاً مقتولاً فاتَّهم بعضهم بعضاً بقتله، وكادت تقـــع الفتـــنة بينهم، حتى أمرهم الله أن يذبحوا بقرة ثم يضربوه ببعضها، فعادت الحياة إلى الميت وأخبرهم عن قاتله.

وكـــان من معجزات موسى أنه كان إذا أدخل يده في جيبه خرجت بيضاء من غير سوء مع أن موسى كان أسمر اللون غامق السمرة.

ورزق الله بني إسرائيل المن والسلوى وهم في صحراء سيناء.

ونـــام عُزيـــرٌ مائة سنة ثم أفاق ليجد حماره عظاما نخرة بينما لا يزال طعامه وشرابه على حاله وأعاد الله الحياة إلى حماره وهو ينظر.

وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى بإذن الله ويبرئ الأكمه والأبرص ولقد أنـــزل الله لـــه ولتلامذته مائدة من السماء وهي التي يسميها النصارى: العشاء الرباني الأخير، وكان عند ولادته قد كلم الناس في المهد.

أما داود عليه السلام فألان الله لـــه الحديد وسخر لـــه الجبال يرددن معه التسبيح.

وكانت أعظم الكرمات لابنه سليمان عليه السلام، لقد جعل الله لـــه حكمـــا على الجن وعلى الريح يتحكم في مهبها وقيل كان يركبها على بساط مخصوص.

أمـــا معجزات رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فهي كثيرة ولقد أنبأت عنها أحاديث صحيحة، فكثيرة هي الأحاديث التي تنبئ عن انبجاس الماء من بين أصابعه إكراما لـــه عليه السلام.

فمـــنها مـــا أخرجه الشيخان عن طريق ثابت رضي الله عنه، أن النبي صـــلى الله علـــيه وسلم دعا بماء فأتي بقدح رحراح فيه شيء من ماء، فوضع أصـــابعه فيه، فجعلتُ أنظُر إلى الماء ينبع من بين أصابعه فجعل القوم يتوضأون فحزرت من توضأ منه، ما بين السبعين إلى الثمانين[١٠٤]

وانشق له القمر، روى أبو نعيم عن ابن عباس قال: اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب والنضر بن الحارث ونظراؤهم، فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم، إن كنت صادقا فشق لنا القمر فلقتين، فسأل ربه فانشق، فقال، عليه السلام: اشهدوا.[105]

ولم تقتصر المعجزات على الأنبياء والمرسلين، بل تعدهم إلى من دونهم من الأولياء الصالحين فالعبد الصالح الذي لقيه موسى وصحبه ولم يستطع موسى أن يصبر على صحبته، غير معروف أهو الخضر أم غيره وإذا كان الخضر، فالخضر غير متفق عليه أهو نبي أم ولي من أولياء الله، إن الله تعالى لم يذكره إلا بالعبودية قال تعالى: (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما)[106].

وآتى مريم ابنه عمران الكرامة فحملت بعيسى من غير أب وأدنى الله لها النخلة وحملها بالرطب الجني وجعل تحتها نهراً صغيراً وانطق لها المولود ليقوم بالحجة دونها.

وجعل الله الكرامة لفتية الكهف الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى فأنامهم ثلاثمائة وتسع سنين ثم بعثهم بعد هذه المدة الطويلة.

فإخضاع نواميس الطبيعة لعباد الله الصالحين من أنبياء وأولياء ثابت لا شك فيه وكل ما ذكرته ما هو إلا بعض ما ورد في هذا الشأن من آثار وأخبار ولاشك أن ما لم يصلنا أكثر، لأن الله تعالى قص علينا بعض قصص الأنبياء وليس كلها وهنالك أنبياء كثيرون لم يقص الله على نبيه من أخبارهم وكراماتهم ومعجزاتهم شيئا. فهل من نص أو دليل أو أثارة من علم تنبئ أن المعجزات والكرامات وقف على من ذكرهم الله في القرآن الكريم؟

إن الأئمة الكرام عند الشيعة في مرتبة قريبة من مرتبة الأنبياء ويعدهم كثيرون من الشيعة فوق بعض الأنبياء مرتبة بل ويعدهم البعض فوق الأنبياء والملائكة باستثناء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن استحق هذه المرتبة استحق المعجزات والكرامات.

ويدلل بعض الشيعة على منطقية هذا المعتقد بقولهم: لأصحاب النفوس القدسية التصرف في الأجرام الأرضية والسماوية بالتأييدات الإلهية، ألا ترى إلى تصرف إبراهيم على نبينا وعليه السلام في النار، (يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم)، وموسى في الماء والأرض (وأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق)، (وقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً)، وسليمان في الهواء (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر)، وداود في المعدن (وألنّا له الحديد)، ومريم في النبات (وهُزّي إليك بجذع النخلة)، وعيسى في الحيوان، (كونوا قردة خاسئين)، ونبينا صلى الله عليه وسلم في السماويات (اقتربت الساعة وانشق القمر)[١٠٧].

هذا عند الشيعة. وهم بالإضافة إلى الدليل العقلي على اعتقادهم بأن منزلة الائمة تبلغ حد خضوع ذرات الكون لهم، يدعمون مقالاتهم حول هذا الموضوع بحجج نقلية بما ورد من روايات في كتبهم عن الأئمة حول هذه المنزلة. أما أهل السنة فينفون صحة ما روي على ألسنة الأئمة حول هذه المنزلة المبالَغ فيها ويعدون كل رواية من هذا النوع موضوعة فلا يرون لأحد سيطرة على ذرات الكون نبياً كان أم إماماً أم ولياً، ولا على ذرة واحدة منها فالكل عباد الله يخضعون لنواميس الكون، كل بني آدم بشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، ويكابدون متاعب الحياة وهمومها، فمن صبر فله أعظم الأجر والله تعالى يقول: " لقد خلقنا الإنسان في كبد " أي: في تعب ومشقة، هذه سنّة الله في الخلق جميعاً، خضع لها الأنبياء جميعاً، كانوا يجوعون ويشبعون

ويعطشون ويرتوون ويحزنون ويفرحون ويمرضون ويُشفَوْن، ولقد ماتوا كما مات غيرهم، ولم يكن أي منهم سيداً على نواميس الكون، وإنما يخضع الكون ومن فيه الله الواحد الأحد الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً.

وإن ما وهب الله من كرامات وخوارق عادات للأنبياء والأولياء إنما هي حالات مخصوصة في ظروف معينة، واننا لا ننفي الكرامة لآل البيت الكريم لكننا نفرق بينها وبين الاعتقاد بسيطرتهم على نواميس الكون، الكرامة ممكنة لكل تقي صالح والسيطرة على نواميس الكون ليست إلا لله وحده.

الحكومة الاسلامية والحكومتان الديمقراطية والثيوقراطية (الدينية)

جوانب اتفاق واختلاف في الرؤية بين السنة والشيعة في النظرة

يتفق كلا الفريقين على أن للحكومة الإسلامية مواصفات تميزها عما عداها من الحكومات، فهي الأفضل والأرقى والأحرص على مصلحة رعاياها.

ما الفرق بين الحكومة الإسلامية والحكومة الديمقراطية؟

الحكومة الديمقراطية هي أحسنَ الحكومات غير المسلمة في العصر الحاضر وأقربها الى تحقيق مصلحة المحكومين،إذ تحقق لهم الحرية والكرامة والمشاركة في الحكم.

فما الفرق بينها وبين حكومة الاسلام؟

بعض الفقهاء المسلمين يؤكدون أن الفروق عديدة بين الحكومتين، وذهب بعضهم الى إثبات اكثر من عشرين فرقاً بينهما، وأعتقد انه يمكن حصر الفروق بأقل من ذلك وأرى أن الفرق الواضح بين الدولتين هو أن الدولة الديمقراطية تجعل الشعب مصدر السلطات ومصدر التشريع.

فالشعب فيها هو الذي يضع القوانين المختلفة من خلال المجالس النيابيّة المنتخـــبة وهـــو الذي ينتخب الحاكم ويوافق على الوزراء وهو الذي يحاسبهم بوساطة مجالس النواب ويستطيع إعفاءهم من مناصبهم.

امـــا الدولة الاسلامية، فالشعب فيها مصدر السلطة ولا يجوز تنصيب الحـــاكم إلا بمـــبايعة المسلمين له، او اختيارهم له بطريق الانتخابات، وله أن يحاســـب الحـــاكم والوزراء وحكام الأقاليم، ويجب الاستغناء عمن ثبت عدم صلاحه منهم.

أمـــا مصـــادر التشـــريع فهي القرآن الكريم والسنة النبوية ثم الإجماع والاجتهاد.

وهـــناك فرق آخر بين الدولتين: فالدولة الإسلامية تحدد حريات الفرد في حدود مالا يضر الآخرين ومالا يضره هو نفسه.

أمـــا الحكومة الديمقراطية، فتتوسع في حرية الفرد، فتعطيه حرية تغيير المعـــتقد كمـــا يريد، وإشباع رغباته، ولو أدت إلى فساده وانحلاله، فصلاحه وفســـاده من حقه هو، في حين يمنع الفرد المسلم من اقتراف ما يضر بصحته أو عقـــيدته فيجلد شارب الخمر والزاني ويعزرالفرد على أفعال قد تضر بسمعته أو صحته.

الحكومة الإسلامية ليست ثيوقراطية

أمـــا الحكومة الثيوقراطية أو حكومة رجال الدين، البابا والكرادلة فقد عرفتها أوروبا في العصور الوسطى وعانت منها الكثير.

وكـــان الـــبابا يدعى لنفسه ولرجال الاكليروس من حوله خاصيتين: الأولى المعـــرفة بأحكـــام الدين معرفة لا يساويهم فيها من كان خارج نطاق

التخصص الديني والثانية المنـزلة الخاصة عند الرب في السماء تلك المنـزلة التي تجعلـه وسيطاً بين الرب والعباد لذا كان حكمه قطعياً غير قابل للمناقشة، ولا يجوز رده.

فكانت الحكومة الثيوقراطية استبدادية انغلاقية تقاوم أي فكر مبدع ولا تتقبل النقد بشكل من الأشكال.

فهـل الحكومة الإسلامية (مسمّى أهل السنّة) أو ولاية الفقيه (مسمى جمهورية إيران الإسلامية) من نوع الحكومة الثيوقراطية؟

حـاول أعـداء الإسلام ممن يلبسون ثوبه وممن لا يلبسون، تصويرها كذلك وهم يعرفون أنها ليست كذلك.

حكومـة الإسلام لها دستور مستمد من أحكام الشريعة الإسلامية فيه سـعادة البشر ورخاؤهم وضمان حقوقهم، لكن الحاكم المسلم ليس من النوع الذي لا يناقَش ولا يُرَد قضاؤه، فهو عادل بمقدار ما يطبق من أحكام الدستور وهـو ظالم بمقدار ما يبتعد عنها، فإذا ظلم في الحكم رد حكمه وحوسب على ظلمه.

فلـيس لـلحاكم المسلم وأعوانه علم خاص بهم، لأن أحكام القضاء الإسـلامي مبسـطة وغـير مـربوطة بتعليلات غامضة وهي معلنة غير مخفية وقواعدهـا الأساسـية موجوده في القرآن الكريم الذي يتلوه الكبار والصغار والنسـاء والـرجال مـرات عديدة كل يوم، فهداية الحاكم وضلاله، منوطان بالتزامه بهذه الأحكام ولا يخفيان على عوام المسلمين فضلاً عن مثقفيهم.

كمـا أن الحاكم المسلم ليس لـه صلاحيات إلهية خاصة تجعله في حل مما يعمل، فلا يستطيع اختلاق الأعذار إذا ظَلَم أو أساء استخدام وظيفته وليس للمناصب التي يتولاها الفقهاء اية إمكانية لحماية متقلديها إذا أساءوا، فليس في

الإسـلام مناصـب دينية، إنما هي وظائف لا تمنح صاحبها قدسية، وإنما تمنحه الاحترام إذا أحسن القيام يواجباها.والمسلمون لا يقبلون الفتوى من غير مناقشة لمجرد أن المفتي في منصب رفيع كأن يكون داعية مشهوراً أو عميد كلية الشريعة في إحدى الجامعات أو مفتي الديار في هذه الجمهورية أو تلك المملكة، فكم من فتوى أملتها ظروف سياسية، فسخر منها المسلمون واستصغروا الفتوى والمفتي، لم يحمه منصبه.

ولقـد حاولت الدول في العالم الإسلامي أن تعطي مثل هذه المناصب بعض الأهمية عند الناس لكي تمرر من خلالها الفتاوى التي تريدها، لكنها منيت بالفشـل الذريع، إن الذي تؤخَذ أوامره وتطاع كواجب شرعي هورسول الله الـذي أمرنا الله بطاعته لقوله تعالى:" وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانـتهوا"[١٠٨] وقوله تعالى: "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى"[١٠٩] . وهذا متفق عليه بين السنة والشيعة، إلا أن الشيعة يضيفون إلى رسول الله صلى الله علـيه وسـلم، في وجوب الطاعة، الإئمة الاثني عشر من آل البيت النبوي الكـريم بسـبب اعتقادهم بعصمة هؤلاء الأئمة، ويخالفهم أهل السنّة في هذه المسألة.

وليس في الإسلام رجال دين مميزون بلباس أو بمكانة معينة، فكل رجل في الإسـلام يجـب أن يكون رجل دين بمعنى أن يكون على جانب من الفقه والعبادة وأن يكون داعياً إلى الإسلام، ولا يشترط في رئيس الدولة الإسلامية أن يكـون متخصصاً في الشريعة أو متقطعاً إلى العبادة وتدريس الفقه، فقد يكون طبيباً أو أستاذاً في الكيمياء أو الرياضيات أو الاداب لكنه يجب أن يكون فقيهاً وحتى شرط الفقه غير متفق عليه تماماً عند السنة وعند الشيعة، ومن الشيعة من يعـارض مـبدأ ولاية الفقيه من منطلق أن الولاية، أي الحكم الموجب لطاعة

المسلمين، إنما هي للحاكم العادل الكفء الذي يلتزم بأحكام الشريعة، وإذا لم يكن هو فقيهاً فإن له مستشارين من الفقهاء، وكذلك الحال في أوساط أهل السنة، فاشتراط أن يكون الإمام فقيها لا يحتاج إلى غيره في معرفة الأحكام وسنن القوانين، شرط لم يرد في كتاب ولا في سنة وإنما وضعه فقهاء فهو غير ملزم، وغير ضروري لعصرنا الذي يشهد ما يُعرف بانفجار المعرفة، فالفقه متيسر بكثرة الفقهاء وحفظ المعلومات مهما كانت ضخمة في مساحة صغيرة من ذاكرة الحاسوب، وأي مسألة في الفقه يحتاج إليها الحاكم يستطيع أن يتعامل معها عن طريق المستشارين، فيصلح لحكم المسلمين من هو على استعداد لأن يحكمهم بالعدل وفق أحكام الشريعة الإسلامية. لكن الرأي السائد عند علماء المذهبين اشترط أن يكون الحاكم فقيهاً؛ لأن من كان جاهلاً في أمور الفقه فعلاقته بالدين لا تكون متينة، لذا، لا يمكن الاطمئنان إلى تقواه أو عدالته ولا يمكنه قيادة الأمة بروح الإسلام وقوانينه التي يجهلها.

إن دولة تحكمها قوانين الإسلام وتشريعاته لجديرة أن تحقق الكرامة والحرية للإنسان والسعادة والرخاء لجميع مواطنيها من مسلمين وغيرهم، أكثر من أية دولة أخرى.

تفصيل في منزلة الأئمة عند السنة والشيعة

اشرت في صفحات سابقة إلى الخلاف بين السنة والشيعة حول ولاية الفقيه وأن السنّة يتهمون الشيعة بالمبالغة الكبيرة في جانب هام من جوانب منزلة الإمام وهي القول إن الإمام من أئمة آل البيت المنصوص عليهم له طاعة واجبة على جميع ذرات الكون.

وأتحدث في هذا الباب عن تقدير كل من السنة والشيعة لمنـــزلة الإمام واختلافهم في هذا الأمر.

يــرى أهــل السنة أن إمام المسلمين الذي أوصله المسلمون إلى الحكم ينــبغي أن يكون موضع احترامهم وتبجيلهم وتقديرهم، فله طاعتهم وولاؤهم لأن المفــروض أهم اختاروه من بينهم اختياراً حراً لأنه أفضلهم أو من أفضلهم في كل باب من أبواب الفضيلة وهذا هو واقع الخلفاء الراشدين وليس واقع من استولوا على السلطة بعد ذلك.

فلقــد رأى المســلمون في الخلفاء الراشدين، أبي بكر وعمر وعثمان وعــلي، مــا ينــبغي أن يكون في الخليفة من صلاح وتقوى، وفقه، وصدق وشجاعة في مواطن الشدة والبأس، بالإضافة الى سابقتهم وصحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما من عداهم من ملوك بني أمية وبني العباس فلهم حسنات لا ترفعهم الى مصــاف الخلفــاء الراشدين باستثناء عمر بن عبد العزيز، ولهم سيئات لا تخــرجهم مــن الإسلام والله تعالى أعلم بهم، وهم اليه راجعون، فإن عفا عنهم فبفضله، وإن عاقب فبعدله.

أمــا الشيعة، فالأئمة الشرعيون عندهم هم علي بن أبي طالب وأولاده مــن بعــده إلى الإمــام الثاني عشر المهدي المنتظر وبما أن المهدي غائب الآن فالولايــة لنائب الإمام وهو الولي الفقيه الذي يقوم على أمر المسلمين في زمن الغيــبة وأول ولي فقيه ترأس الجمهورية الإسلامية في إيران هو مؤسسها الإمام الــراحل آيــة الله روح الله الخميني، رضي الله عنه،ثم خلفه الإمام السيد علي خامــنائي وهو الولي الفقيه الحالي ويتم انتخابه من قبل الشعب وفق نظام معيَّن وهو واجب الطاعة لأنه يقوم بواجبات الإمام.

وقديماً انقسم أنصار آل البيت في تقديرهم للأئمة قسمين: قسم غالٍ عد علياً وأولاده آلهة إما بالحلول أو التشبيه، ومثل هؤلاء كفار، تبرأ منهم الشيعة والسنة وحرموا أكل ذبائحهم والزواج من نسائهم والصلاة على موتاهم.

وقسم ناصرَ آل البيت مع إقراره أنهم عباد الله تعالى، اكتسبوا مكانتهم عند الله تعالى وعند الناس من صدق تقواهم وورعهم وبالأساس من قربهم من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فهم آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

إلا أن أهل السنة يجدون في أخبار الشيعة وأحاديثهم التي يروونها عن الأئمة الكرام، مبالغات في تقدير مبلغ علم الأئمة ورفيع منزلتهم.

اما العلم، ففي الشيعة من يرى أن الأئمة أعلم من سائر الأنبياء والمرسلين ما عدا محمداً صلى الله عليه وسلم.

يرون أن الأغزر علماً هو الأعلى منزلة لقوله تعالى: {قل هل يستوي الذي يعلمون والذين لا يعلمون}[١١٠].

فالأئمة أعظم خلق الله منزلة بعد رسول الله عليه السلام.

ورد في الكافي للكليني عن الإمام جعفر: أن الإمام إذا شاء أن يعلم علم[١١١].

وورد في الكافي عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله: كان أمير المؤمنين، صلوات الله عليه، كثيراً ما يقول: انا قيم الله بين الجنة والنار، ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح والرسل، بمثل ما أقروه لمحمد، صلى الله عليه وعلى آله ولقد حملت مثل حمولته، وهي حمولة الرب، وأن رسول الله يدعى فيكسى، وأنا أدعى فأكسى ولقد أُعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي،

عُلِّمتُ المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني،ولم يعزب عني ما غاب عني، ابشر بإذن الله، وأؤدي عنه[112].

وجــاء في الكافي ايضاً عن يوسف بن التمار أن الإمام جعفر الصادق قــال: ورب الكعبة، ورب البنية-ثلاث مرات- لو كنت بين موسى والخضر، علــيهما السلام، لأخبرتهما أني أعلم منهما، ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأن موســى والخضر، عليهما السلام، أعطيا علم ما كان، ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة[113].

ويـنـبغي أن نأخذ بالحسبان ونحن نقرأ مثل هذه الروايات التي لا يقبلها أهــل السنّة، أن كتاب الكافي عند الشيعة ليس كصحيح البخاري عندنا كما دأب على وصفه دعاة التفريق، فإن الشيعة لا يأخذون بثلثي أحاديثه كما سيأتي في فصــل لاحق، فهذه الروايات وأمثالها، ليست معتقداً للشيعة جميعاً وليست جزءاً من عقيدتهم.

ويجــادل العــالم السني الدهلوي الذي اختار هذه الروايات بأنّ كون المــتأخر أكثر علما من المتقدم، أمر غير مستغرب، فالمتأخر يجمع علم المتقدمين وعــلم من جاء بعدهم، ولا يعطيه ذلك أفضلية عليهم وإنما تكون الأفضلية في العلم لمن فاق أقرانه ممن عاصروه[114].

ولــيس العــلم وحده هو سبب تفضيل قسم من الشيعة للأئمة الكرام على بعض الأنبياء، أو على سائر الأنبياء غير محمد، بل يعتقدون أن تلك المكانة الرفيعة، هبة أزلية قدرها الله للأئمة قديما.

جاء في كتاب الحكومة الإسلامية" للمغفور لــه الإمام الخميني: (وإن مــن ضروريات مذهبنا، أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وبموجــب مــا لدنيا من الروايات والأحاديث، فإن الرسول الأعظم، صلى الله

عليه وسلم والأئمة عليهم السلام، كانوا قبل هذا العالم أنوارا، فجعلهم الله بعرشه محدقين وجعل لهم من المنزلة والزلفى مالا يعلمه إلا الله- وقال جبريل- كما ورد في روايات المعراج- لو دنوت أنملة لا حترقت. وقد ورد عنهم، عليهم السلام، إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل[115].

فالإمام الخميني، ورأيه هو رأي كثير من أكابر علماء الشيعة، يعتقد بصحة الأخبار الواردة في الكافي وغيره في هذا المجال. وجلها منسوب إلى الإمام جعفر الصادق، رضي الله عنه والتي تقول بفضل الأئمة على سائر الأنبياء عدا محمدا.

وبالرغم من عبارة ولا نبي مرسل، فمعلوم أن الإمام الخميني مثله مثل سائر علماء الشيعة في القديم والحديث يفضلون محمدا على سائر خلق الله بما فيهم الأئمة وهذه مسألة متفق عليها عندهم وواضحة في كتاباتهم.

أما تفضيل الأئمة على سائر الأنبياء فلهم فيها حجج لا يوافقهم عليها أهل السنة فمنها قوله عليه السلام: في روايات الشيعة- (افتخر يوم القيامة بعلماء أمتي، وعلماء أمتي كسائر الأنبياء قبلي) [116]. يقولون والأئمة بلا شك أعظم مكانة من العلماء لأنهم جمعوا بين العلم في ذروته والتقوى المتناهية وشرف الانتساب الى المصطفى صلى الله عليه وسلم، فهم إذا أعظم منزلة من الأنبياء.

وللشيعة في تفضيل الإمام على الأنبياء احتجاجات ذكرها العالم السني الهندي الدهلوي في كتابه التحفة الأثني عشرية منها:

الإمام علي- عندهم- أفضل من آدم لقوله تعالى: (وعصى آدم ربه)[117]، ولقد أثنى الله على أمير المؤمنين علي في سورة (هل أتى) كما أثنى

عليه في سورة المائدة بقوله جل من قائل: " إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا "[118] وقصد بالذين آمنوا عليا.

وهو أفضل من إبراهيم، لأن إبراهيم قال (رب أرني كيف تحيي الموتى، قـال أولم تؤمـن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي)[119]، وقال علي على رؤوس الأشهاد: لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا. (لأن ايمانه بالله بلغ الغاية التي لا مزيد عليها).

وهو أفضل من سليمان، لأن سليمان طلب من ربه الملك والجاه والدنيا حيـث قال: (وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب)[120] وعـلي قـد طلـق الدنيا حيث قال: إليك عني يا دنيا، طلقتك ثلاثا لا رجعة بعدها، حبلك على غاربك، غري غيري، لا حاجة لي فيك.

وهـو أفضل من موسى، لأن موسى فر من مصر إلى مديَنَ خوفا من فرعون، قال تعالى: (فخرج منها خائفاً يترقب)[121]، وعلي قد رقد ليلة الهجرة على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، بقلب مطمئن، ولو كان معه شيء من الخوف لما نام.

وهـو أفضـل مـن عيسى، لأن عيسى سيُسأل يوم القيامة عن الذين اتخذوه وأمه إلهين من دون الله قال تعالى: (وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلـت للـناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، قال سبحانك ما يكون لي أن أقـول ما ليس لي بحق، إن كنت قلتُه فقد علمتَه، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسـك، إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم)[122].

والأمير لما قالت السبيئة إنه إله، غضب عليهم وأجلاهم وهددهم، حتى اشتهر في مشارق الارض ومغاربها وأظهر منهم البراءة[123].

ومن حججهم في تفضيل علي، رواية الحسن بن أبي كبش، عن أبي ذر قـال: نظـر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي بن أبي طالب وقال: هذا خير الأولين والآخرين من أهل السموات والأرضين[١٢٤].

وفي روايـة أخـرى عن أبي وائل، عن عبد الله بن عباس قال: حدثنا رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال لي جبريل: علي خير البشر، من أبى فقد كفر[١٢٥].

ويـرفض العـالم السني الدهلوي كل الروايات الواردة في هذا الشأن، ويعتبرها موضوعة.

فالرواية التي تدور حول تفضيل علي على الأنبياء، جاءت- كما يقول الدهلـوي- ضـمن خبر ملفق يزعم أن حليمة السعدية وفدت على الحجاج وجادلته في فضل الإمام علي مع العلم أن حليمة السعدية لم تدرك زمن الخلفاء الراشـدين، بل إن هنالك خلافاً حول إدراكها البعثة الشريفة وإسلامها، فمن قـائل إنهـا ماتت قبل البعثة النبوية، وقائل إنها كانت عجوزاً طاعنة في السن عندما فتح رسول الله الطائف، وأن رسول الله صلى عليه وسلم، زارها في بيتها وشـهد إسـلامها ولكنها لم تعش بعد ذلك طويلاً، فلا أساس لوفودها على الحجاج[١٢٦].

أمـا الروايـتان الأخريان، فهما موضوعتان عند الإمامية ايضاً- كما يقـول الدهلوي وليس لهما سند صحيح، لان الحسن بن كبش ومن بعده من الرواة، كلهم مجاهيل وضعفاء كما نص على ذلك رجال الشيعة[١٢٧].

وفي كتب الشيعة روايات كثيرة تضع الأئمة حيث يضعهم أهل السنة، فهـم أعـلام هدى وتقوى إلا أنهم كسائر البشر، ليس لهم تلك الميزات غير الطبيعية.

ويجمـــع أهل السنة على تفضيل الأنبياء والمرسلين على سائر البشر وأن غير النبي، كائناً من كان، لا يمكن أن يبلغ مرتبة النبي عند الله، أما الشيعة، فلا يجمعـــون عـــلى تفضـــيل الأئمة على الانبياء- يقول العالم السني الدهلوي في التحفة: وللشيعة في هذه المسألة تنازع وتخالف كثير فيما بينهم، لكنهم أجمعوا عـــلى أن أمـــير المؤمنين أفضل من غير أولي العزم من الرسل والأنبياء، وليس بأفضـــل من خاتم النبيين، عليه وعليهم الصلاة والسلام، أما غيره من سائر أولي العزم فقد توقف فيه بعضهم، فلم يقولوا بالتفضيل أو عدمه وقال آخرون بفضل الأنبياء على الأئمة وغيرهم[١٢٨].

ويميل كثير من الشيعة المعاصرين إلى الاعتدال في هذا الأمر والاحتجاج بالأخبار التي تضع الأئمة في مرتبة تالية لمرتبة الأنبياء والمرسلين.

فمـنهم على سبيل المثال العالم الشيعي اللبناني الشيخ محمد جواد مغنية الذي يروي عن الإمام جعفر الصادق، رضي الله عنه: (وما نحن إلا عبيد الذي خلقـنا واصطفانا، والله مالنا على الله حجة، ولا معنا من الله براءة، وإنا لميتون وموقوفـون ومسـؤولون، مـن أحـب الغلاة فقد أبغضنا ومن أبغضهم فقد أحبنا)[١٢٩].

ويقـول الشيخ محمد جواد مغنية في موضع آخر في كتابه (مع الشيعة الإمامـية): (يقول شيخ الطائفة ومرجعها الأكبر ودليلها في كل أمر من أمور الدين، محمد بن النعمان في كتابه (أوائل المقالات) طبعة بتريز سنة ١٣٧١هـ ص٣٨: القول إن الأئمة يعلمون الغيب، منكَر بيِّنُ الفساد، لأن الوصف بذلك إنما يستحقه مَنْ عَلِم الاشياء بنفسه، لا بعلمٍ مستفاد، وهذا لا يكون إلا لله عز وجـل، وعـلى هذا القول جماعة أهل الإمامة، الا الغُلاة، ومن شذ من جماعة الإمامية[١٣٠].

ويقــول مــرجع الشيعة في العراق، محمد الحسين آل كاشف الغطاء: الإمام في الكِمالات دون النبي وفوق البشر[١٣١].

المهدي المنتظر عند الشيعة والسنة

صحة الاخبار عنه:

يـتفق السـنة والشيعة على مبدأ المهدي المنتظر وملخصه ان الله تعالى سـينقذ أمة المسلمين في آخر الزمان من الفُرقة والضعف، بحاكم مسلم مؤمن مهدي من الله تعالى، يوحِّد المسلمين ويملأ الارض عدلاً بعد أن ملئت جوراً.

ويـروي السنة والشيعة أحاديث عديدة عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم، تنبئ بقدوم المهدي المنتظر وأنه من ولد فاطمة، والأحاديث الصحاح الواردة بهذا المعنى في كتب السنة لا تقل عن سبعة وثلاثين حديثاً[١٣٢].

منها قوله صلى الله عليه وسلم: (المهدي من عترتي، من ولد فاطمة)، أخرجه أبو داود وابن ماجه والحاكم وأبو عمرو الداني والعقيلي عن طريق زياد ابـن بـيان، عن علي بن نفيل عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة مرفوعاً، قال الألباني: هذا سند جيد رجاله كلهم ثقات، وله شواهد كثيرة[١٣٣].

وإلى جانـب الأحاديث الصحيحة هناك أحاديث موضوعة بخصوص المهدي المنتظر أملَتها مَصالح سياسية في العصر العباسي منها:

(المهدي من ولد عمي العباس) رواه محمد بن الوليد القرشي،وهو مولى لبني هاشم، وصف بأنه كذاب[١٣٤].

ومـنها: (لا مهدي إلا عيسى) قال عنه الالباني: حديث منكَر، فسنده مختَلَف فيه وأحد رواته مجهول وهو محمد بن خالد الجندي، قال الحافظ الذهبي في الميزان إنه خبر منكر.[١٣٥]

صفاتــه:

قــال الســيد ســابق في حديثه عن المهدي المنتظر: خلاصة القول في المهــدي: إنه سيظهر في آخر الزمان وأن اسمه محمد بن عبد الله "رواية أبي داود والترمذي".

وأنــه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، من ولد فاطمة" رواه أبو داود والحاكم" وأنه يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخُلُق ولا يشبهه في الخَلق " رواه أبو داود من كلام الإمام علي " وإنه أجلى الجبهة، أي: منحسـر الشـعر عن الجبهة، أقنى الأنف، (أنفه طويل مع حدب وسطه ودقة أرنبــته)، وأنــه يملأ الأرض قسطا وعدلاً كما ملئت جورا وظلما، وأنه يقيم شـريعة الإســلام، ويحيي ما اندثر من سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وأن الإســلام تعلــو كلمته في عهده حتى يلقي بجرانه إلى الأرض (يستقر)، ويمكّن لــه، ويكثر الرخاء في أيامه من وفرة العدل، وكثرة ما يعطي من المال، فهو يحثو المال حثوا ولا يعده عدا " رواه مسلم "، وأنه يمكث سبع سنين ويظهر في عهده الدجال، ثم ينـزل عيسى، فيتعاون عيسى مع المهدي على قتله، ثم يتوفى المهدي ويصلي عليه المسلمون [١٣٦].

كراماته وكيفية ظهوره

روى الفـريقان أحاديـث كثيرة عن كرامات المهدي المنتظر، منها : قولــه-صلى الله عليه وسلّم: أُبشركم بالمهدي، يُبعث في أمتي على اختلاف من الـناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظُلماً، ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقَسِم المال صحاحاً (بالسوية) بين الناس،

ويملأ الله قلوب أمة محمد غنىً، ويسعهم عدله حتى يأمر منادياً ينادي في الناس فيقول: من لـه من مالٍ حاجة؟ فما يقوم من الناس إلا رجل (رواه الترمذي).

وعن أم سلمة، رضي الله عنها، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، فيُبعث إليهم جيشٌ من الشام فيُخسَفُ بهم في البيداء، فإذا رأى الناس ذلك أتته أبدال الشام وعصائب العراق، فيبايعون لـه، ثم ينشأ رجل من قريش أخواله من كلب، فيبعث إليهم المهدي بعثاً فيظهرون عليهم، فذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسِّم المال، ويُعمل فيهم سنة نبيهم، صلى الله عليه وسلم، ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض (يستقر بسلام) يمكث تسع سنين (وفي رواية سبع). (راجع كتاب الفتح الرباني ج ٢٤ ص ٤٩)

وكذلك ما رُويَ عن الإمام علي في ثلاث طرق مختلفة: إذا نادى مناد في السماء أنّ الحق في آل محمد، فعند ذلك يظهر المهدي[١٣٧].

وعن حذيفة بن اليمان- عن النبي عليه السلام في حديث طويل: يكون المهدي ابن أربعين سنة عندما يظهر، يخرج إليه خيرة أهل مصر والشام والمشرق عامة إلى مكة، فيبايع لـه بين الركن والمقام (وفي رواية أخرى: بين زمزم والمقام) ثم يخرج متوجها إلى الشام وجبريل على مقدمته، وميكائيل على ساقته، بفرح به أهل السماء وأهل الأرض والطير والوحوش والحيتان في البحر، وتزيد المياه في دولته وتمد الأنهار وتضاعف الأرض أُكُلها وتُستخرَج الكنوز[١٣٨].

وورد عن أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، في قصة المنتظر، أنه يظهر بمكة ويعرفه الناس بأوصافه، فيتغيب عنهم، يعلمون أنه لحق بقبر جده عليه السلام، فيلحقون به بالمدينة فإذا أحس بهم رجع إلى مكة فلا

يـزالون به حتى يجيبهم إلى البيعة، ويشترط عليهم شروطاً كثيرة ويعيطهم من نفسه شروطاً، ثم يسير، فيفتح الله على يديه البلاد، ويهزم السفياني، قائد جيش المفسـدين، ويقـاتل بـني كلب بسبب ردهم وكفرهم، ويستقر به المقام في دمشق[١٣٩].

عقيدة الغيبة والرجعة وموقف السنة منها

عـند أهل السنة، المهدي المنتظر لم يولد بعد، ولن يعرفه المسلمون قبل أن يأتي وقته وسيعرفونه ويبايعونه اذا اذن الله تعالى بظهوره.

أمـا الشـيعة فيرون أنه غائب مستور، أي أنه حي يُرزق، موجود في مكـان ما (قال بعضهم بسر من رأى وقال آخرون بجبل رضوى قرب المدينة المنورة) له من الرزق ما يضمن استمرار حياته إلى أن يأذن الله بخروجه، فيوحد المسـلمين ويقودهم إلى النصر على أعدائهم، ويملأ الارض عدلاً بعد أن ملئت جوراً.

ويرفض أهل السنة مبدأ الغيبة والرجعة، ويقولون إنها مقالة دخيلة على الإسـلام وأول مـن جاء بها عبد الله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام وادعى التشيع لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[١٤٠].

ويقولون: أسلم ابن سبأ في خلافة عمر، وكان له دور أساس في تأليب الـناس عـلى عثمان، وكان يقول برجعة محمد عليه الصلاة والسلام. وكان يركـب حـماره ويتنقل بين الكوفة والبصرة والفسطاط، ويقول لحديثي السن وقليـلي الـتجربة من شبابها- كما ذكر صاحب التحفة- عجباً لمن يزعم أن عيسـى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال عز وجل: (إن الذي فرض علـيك القرآن لرادك إلى معاد)، محمد أحق بالرجوع من عيسى، وكان يقول

لهؤلاء الشبان: (كان فيما مضى ألف نبي، ولكل نبي وصي، وإن علياً وصي محمد) كان ذلك في أواخر خلافة عثمان سنة ٣٠ للهجرة[١٤١].

لكن الشيعة لم يقولوا برجعة محمد ولا برجعة علي، ولم ينفوا عنهما الموت إنما قالوا بظهور رجل غائب مستور مختف لم يمت بعد ولا يموت حتى يقود المسلمين إلى النصر وإلى الوحدة والرفاهية، واختلفوا فيه على مر العصور.

فالكيسانية، وهي من أوائل فرق الشيعة، وكان ظهورها في وقت مبكر من العصر الأموي،وهي فرقة منقرضة، نسبت الغيبة والرجعة إلى محمد بن علي بن أبي طالب، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية، جارية جيء بها سبيّاً في معركة بني حنيفة مع خالد بن الوليد، فتسرى بها علي بعد وفاة فاطمة. ونُسب محمد إلى أمه فعُرِف بمحمد بن الحنفية.

كان من الشيعة الكيسانية كل من كثير عزة والسيد الحميري.

يقول كثير عزة عن الأئمة وهم عنده أربعة، ورابعهم ابن الحنفية المهدي المنتظر:

ألا إن الأئمة من قريش	ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه	هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر	وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى	يقود الخيل يقدمه اللواء
تغيب لا يرى فيهم زماناً	برضوى عنده عسل وماء[١٤٢]

وكانوا في العصر الأموي يعتقدون بأن المهدي المنتظر لن تطول غيبته، قالوا: يغيب أربعين سنة، فكان كثيرة عزة يستحث الغائب المنتظر على الخروج ويؤكد أنه موجود وأن غيبته طالت على أوليائه الذين ينتظرون، يقول كثير:

ألا قـل للوصـي فدتك نفسي	أطلـت بذلـك الجـبل المقاما
أضـر بمعشـر والـوك مـنا	وسمـوك الخلـيفة والإمامـا
وعـادوا فـيك أهل الأرض طراً	مقـامك عـنهم ستين عاماً
ومـا ذاق ابن خولة طعم موت	ولا وارت لـه أرض عظامـاً
لقـد وافى بمـورق شعب رضوى	تـراجعه الملائكـة الكلامـا
وإن لـه بـه لمقـيل صـدق	وأنديـة تحدثـه كـراما
هدانـا الله إذ جـرتم لأمـرٍ	بـه ولديـه نلتمس التماما
تمـام مـودة المهـدي حـتى	تـروا راياتـنا تـترى نظاما[١٤٣]

تطـورت عقيدة الغيبة والرجعة وتأصلت في العصر العباسي، وكثرت الأقـوال في تحديـد من هو المهدي المنتظر، فمنهم من قال إنه موسى الكاظم، قالو: إنه غائب مستور وسُمي هؤلاء بالموسوية.

ومـنهم مـن قطـع بموت الكاظم فسموا القطعيه ومنهم من قال إنه إسماعيل بن جعفر الصادق، لا موسى فسموا الإسماعلية.

ثم كان الخلاف الأكبر حول المهدي المنتظر، بعد الإمام الحادي عشر، الحسـن العسـكري. فـرقة قالت: إنه لم يمت، وفرقة قالت: إن الحسن مات وأوصـى إلى جعفـر أخيه وفرقة قالت: إنه عقبٌ ولداً سماه محمداً، اختفى في سرداب في دار أبيه وهو ابن سنتين.

وفرقة قالت: لا ندري حقيقة الحال بالنسبة للحسن العسكري، رضي الله عنه، أعقّب أم لم يُعَقّب ولكننا نقطع بالرضا ونقول بإمامته، في كل موضع اخـتلف الشيعة فيه، فنحن من الواقفة في ذلك إلى أن يظهر الله الحجة ويظهر

الإمــام بصورته فلا يشك في إمامته من أبصره، ولا يحتاج إلى معجزة وكرامة وبينة، بل معجزته اتباع الناس بأسرهم إياه[144].

ويتســاءل علماء من أهل السنة في موضوع المهدي المنتظر عن أمرين: الأول: كـيف لا يـزال المهـدي حياً منذ ما يربو على ألف سنة؟ والثاني: ما الحكمة من غيابه واختفائه؟

أما جواب السؤال الأول عند الشيعة فهو أن الله على كل شيء قدير، إنــه قديــر إذا أراد لإنسان النسيئة في الأجل ولو إلى يوم القيامة وهذا أمر لا يختلف فيه مسلمان.

ثم إن أخــباراً عديــدة وأحاديث نبوية رويت حول حياة عيسى عليه السلام وأنه لم يمت وسيعود إلى الأرض في آخر الزمان، داعياً بدعوة محمد عليه الصلاة والسلام.

وآثار تنبئ أن نبي الله إدريس لم يمت وأن الخضر عليه السلام لم يمت، كل ذلك بقوة الله تعالى ولحكمة أرادها الله جل وعلا.

فإذا جازت مثل هذه الأخبار، عقيدةً في حق عيسى والخضر وإدريس فما المانع أن تجوز في حق المهدي الذي يهيئه الله تعالى لينشر العدل والرفاهية في الأرض؟

أمــا الحكمــة مــن غيابه واختفائه، فالله تعالى أعلم بها، ولعلها عزاء للمســلمين وتثبيت لهم على نوائب الدهر، فعلمهم أن المهدي حي يرزق وأنه قريــب مــنهم فــيه تثبيت لقلوبهم على الإيمان في أحلك أوقات الدهر، وهو يذكرهم بقوله تعالى (فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا) وبهذا المعنى يقول دعبل الخزاعي[145]:

فولا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ تقطعُ نفسي إثرهم حسراتِ
خروج إمام لا محالة خارجٌ يقوم على اسم الله والبركات
يميز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمات

ولله أحكام وحِكَمٌ في هذا الكون قد يخفى بعضها على البشر، ثم إن عقيدة الغيبة والرجعة أساسها أحاديث رويت عن الأئمة الكرام ونحن نعتقد بصحة هذه الأحاديث، ثم إن الإيمان بالمهدي المنتظر ليس ركناً من أركان التشيع فضلاً عن كونه ليس ركناً من أركان الإسلام، لكنه عقيدة يؤمن بها الشيعة كلهم، ويستطيع المرء أن يكون مسلماً وشيعياً من غير أن يؤمن بها[146].

مكانة المهدي المنتظر عند الشيعة

للقائم المنتظم عند الشيعة من الفضائل والمزايا، ما لسائر الأئمة، فله العصمة والمنزلة الرفيعة والعلم الغزير الذي لا يدانيه فيه أحد من البَشر باستثناء خاتم الأنبياء والمرسلين، وصفوة خلق الله أجمعين، محمد عليه الصلاة والسلام.

وله الولاية التكوينية التي وهبه إياها العزيز الوهاب، رب السموات والأرض.

ولقد أضاف بعض الشيعة للمهدي المنتظر من الصفات والإمكانيات والمسئوليات مالا يُقر به أحد من أهل السنة.

وللتدليل على مكانة المنتظر أورد قصيدتين لشاعر شيعي متطرف فالقصيدتان تصوران أقصى معتقدات المتطرفن منهم في المهدي المنتظر والشاعر هو بهاء الدين العاملي المولود ببعلبك سنة ٩٥٣هـ والمتوفى بأصبهان سنة ١٠٣١هـ وكان على صلة وثيقة بالسلطان شاه عباس الصفوي، وقيل أن العاملي كان يظهر التطرف إرضاءً للسلطان.

القصيدة الأولى

وسيلة الفوز والأمان في مدح صاحب الزمان

وهي طويلة اقتطف منها ما يخدم الموضوع الذي أتحدث عنه (كاملة في "الكشكول" للعاملي ج١ ص ١٧٦)

خليفة رب العالمين وظله ... على ساكن الغبراء من كل ديّار

هو العروة الوثقى الذي مَن بذَيله ... تَمَسك لا يخشى عظام أوزار

إمام هدىً لاذ الزمان بظله ... وألقى إليه الدهر مِقْوَد خوارِ

ومقتدرٌ لو كلّف الصم نطقها ... بأجدارها فاهت إليه بأجدار[147]

علوم الورى في جنب أبحر علمه ... كغرفه كف أو كغمسة منقار

فلو زار أفلاطون أعتاب قدسه ... ولم يُعشِه عنها سواطع أنوار

رأى حكمة قدسية لا يشوبها ... شوائب أنظار وأدناس أفكار

باشراقها كل العوالم أشرقت ... لِما لاح في الكونين من نورها الساري

به العالم السفلي يسمو ويعتلي ... على العالم العلوي من غير إنكارِ

ومنه العُقول العُشر[148] تبغي كمالها ... وليس عليها في التعلم من عارِ

همام لو السبع الطباق تطابقت ... على نقض ما يقضيه من حُكمه الجاري

لنُكس من أبراجها كل شامخ ... وسُكن من أفلاكها كل دوّارِ

ولانتثرت منها الثوابت خيفةً ... وعاف السرى من سورها كل سيارِ

أيا حجة الله الذي ليس سارياً ... بغير الذي يرضاه سابق أقدارِ

ويا مَن مقاليد الزمان بكفه ... وناهيك عن مجدٍ به خصّه الباري

أغث حوزة الإيمان واعمر ربوعه ... فلم يبق منها غير دارس آثارِ

وأنقِذ كتاب الله من يد عصبةٍ ... عصوا وتمادوا في عُتُوٍّ وإصرار

يحيدون عن آياته لرواية ... رواها أبو شعيون عن كعبِ أحبار

وفي الدين قد قاسوا وعاثوا وخَبطوا بـآرائهم تخبيط عشواء مِعشارْ
وأنعش قلوباً في انتظارك قُرّحت وأضجرها الأعداء أية إضجار
وعجل، فذاك العالمون بأسرهم وبادر على اسم الله من غير إنظار
تجد من جنود الله خير كتائب وأكرَمَ أعوانِ وأشرَف أنصار

القصيدة الثانية

في وصف المهدي المنتظر لبهاءالدين العاملي أيضاً وهي من نوع الدوبيت. ومنها:

صاحب العصر الإمام المنتظر من بما يأباه لا يجري القدر
حجة الله على كل البشر خير أهل الأرض في كل الخصال
من إليه الكون قد ألقى القياد مجرياً أحكامه فيما راد
إن تنزل عن طوعه السبع الشداد خرَ منها كل سامي السمك عال
شمس أوج المجد مصباح الظلام صفوة الرحمن من بين الأنام
الإمام ابن الإمام ابن الإمام قلب أفلاك المعالي والكمال
فاق أهل الأرض في عز وجاه وارتقى في المجد أعلى مرتقاه
لو ملوك الأرض حلوا في ذراه كان أعلى صفهم صف النعال
ذو اقتدار إن يشأ قلب الطباع صيّرَ الإظلام طَبعاً للشعاع
وارتدى الإمكان بُردَ الامتناع قدرةٌ موهوبة من ذي الجلال
يا أمين الله يا شمس الهدى يا إمام الخلق يا بحر الندى
عجّلن عجّل قد طال المدى واضمحل الدين واستولى الضلال
هاك يا مولى الورى نعم المجير من مواليك البهائي الحقير

مدحـــةً يعـــنو لمعـــناها جرير نظمها يزري على عِقد اللآل

يـــا وليّ الأمـــر يـــا كهف الرجا مسني الضر وأنت المرتجى

والكـــريم المســـتجار الملـــتجا غير محتاج إلى بسط السؤال[149]

فالشـــاعر في هاتين القصيدتين يزعم أن المهدي المنتظر فاق جميع الخلق في علومـــه وقدراتـــه، فلو أراد قلب طباع الأشياء لفعل، وبيده مقاليد الزمان، وكل ذلك من نعم الله عليه.

ويجمع السنة على أن ذلك غُلُوّ لا أساس لـــه من الصحة.

الفصل الثالث

السنة والشيعة وأمور تتصل بالعقيدة

أ- أركان الإسلام

مدى اتفاق الفرقتين حولها:

أركان الإسلام عند السنة، كما ورد في الأخبار الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عليه السلام: بُني الإسلام على خمس: شهادة إلاّ إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً.

أمـا مفهوم الإيمان فبيَّنه عليه الصلاة والسلام بقوله: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، خيره وشره.

أما الإحسان، فهو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك[١٥٠].

وهـي كذلـك عند الشيعة، فأركان الإسلام هي القاسم المشترك بين المسلمين جميعاً، ومن أنكر واحدة منها فقد كفر، ولا ينفعه الإيمان بسائرها ولو عمل به أتم العمل وأوفاه.

إن الخلل الذي دخل عقيدة الغلاة، يتعلق بالركن الأول، شهادة إلاّ إله إلاّ الله، فـالقول بألوهية علي وأولاده بوجه من الوجوه هو كفر صريح وشرك لاشك فيه بإجماع الشيعة والسنّة.

يتفق السنة والشيعة على أن شهادة إلاّ إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله هـي المدخل إلى الإسلام لقوله صلى الله عليه وسلم: أُمِرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله، فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم[١٥١].

ويقـول العالم الشيعي اللبناني محمد جواد مغنية: يتحقق الإسلام بقول الإنسان أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، أو ما يرادفها من أي لغة كانت، بأي لفظ كان[١٥٢].

إلا أن الشـيعة يتحدثون عن أركان الإسلام والإيمان مدخلين بعضها ببعض، باعتـبارهما مترادفين لهما معنى واحد له ثلاثة أركان: التوحيد والنبوة والمعـاد، ويضاف إليها ركن رابع وهو العمل بالدعائم التي بُني عليها الإسلام وهي الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد.

ب- الإمامة

الإمامة عند الشيعة:

يضـاف عـند الشيعة إلى دعائم الإيمان والإسلام دعامة خامسة هي الاعـتقاد بالإمامة، أي: الاعتقاد أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة فكما أن الله تعالى يختار للنبوة من يشاء، فكذلك يختار للإمامة من يشاء، إلاّ أن النبي يوحى إليه والإمام لا يوحى إليه.

والإمام في الكمالات دون النبي وفوق البشر[١٥٣].

إلاّ أن الإيمان بالإمامة ركن للتشيع لا للإسلام ولا الايمان.

يقـول مرجع الشيعة آل كاشف الغطاء: فإذا اقتصر المرء على الأركان الأربعـة، فهـو مسلم ومؤمن، تترب عليه جميع أحكام الإسلام من حرمة دمه وماله وعرضه ووجوب حفظه وحرمة غيبته[١٥٤].

فعـدم الاعـتقاد بالإمامة، لا يخرج المرء من الإسلام ولكن يخرجه من التشيع.

وشبيه بهذا ما كتبه العالم الشيعي محمد جواد مغنية، إذ يؤكد مغنية أن الإمامـة ليسـت أصلاً من أصول دين الإسلام، إنما هي أصل لمذهب التشيع فمنكرها مسلم إذا اعتقد بالتوحيد والنبوة والمعاد، ولكنه ليس شيعياً[١٥٥].

يعتقد الشيعة أن تنصيب الإمام وتعيينه واجب على الله، فكما أوجب الله عـلى نفسـه أن يبعث للناس الأنبياء، يهدوهم سبل الرشاد، وجعل ذلك شرطاً لمحاسبة الكافر وإدخاله النار (وما كنا معذّبين حتى نبعث رسولا)[١٥٦] فهو يُعيّن الإمام ليعرفه الناس فيجتنبوا الفتنة.

وقـد تـناول هذه المسألة علماء الشيعة منهم الشيخ محمد جواد مغنية فاسـتدلوا عـلى أن الإمامـة منصب إلهي، بقوله تعالى: (والله لطيف بالعباد) والإمامة شكل من أشكال هذا اللطف.

يقول الشيخ مغنية: يرى المحقق الأردبيلي أن لطف الإمامة يتم بأمور مـنها ما يجب على الله تعالى، وهو خلق الإمام وتمكينه بالقدرة والعلم، والنص علـيه باسمـه ونسبه، وهذا قد فعله الله تعالى. ومنها ما يجب على الإمام وهو تحمله الإمامة وقبوله لها، وهذا قد فعله الإمام.

ومنها ما يجب على الرعية وهو مساعدته وقبول أوامره، وهذا لم تفعله الرعية، فحرموا أنفسهم لطف الله تعالى.

وللشـيعة استدلال منطقي جدلي آخر- يقولون: ان الله تعالى ما كان ليـترك هـذا الأمـر الخطير من غير بيان، إن الله تعالى قد بيّن ورسوله جميع الأحكـام ولـيس هنالك شيء من أفعال العباد إلاّ في الكتاب الكريم أو السّنة المشرّفة فكيف يُترك منصب الإمام؟

ويقولون: إن اختيار النبي بيد الله، لأن النبوة سر لا يطلع عليه سواه، كذلك اختيار الإمام يرجع إلى الله، لأن الإمام سرّ أيضاً لا يطلع عليه إلاّ هو بالنظر لخطرها ونيابتها عن النبوة[١٥٧].

موقف أهل السنة

أما أهل السنة فيرون أن الإمامة ليست ركناً من أركان الإسلام ولا الإيمان وليست منصباً إلهياً كالنبوة، لكنها شيء يحتاج إليه المسلمون ولا يستغنون عنه لحظة واحدة، ولقد سارع المسلون إلى انتخاب خليفة لهم في الساعة التي التحق فيها رسول الله، صلى الله عليه

وسلم بالرفيق الأعلى، لم يشغلهم ما ألمَّ بهم من حزن وكرب عظيم عن إنجاز هذا الأمر الخطير بل لم ينتظروا حتى يفرغ علي من تجهيز رسول الله، وقد سمع أبو بكر وعمر أن الأنصار مجتمعون في سقيفة بني ساعدة لانتخاب خليفة منهم، فسارع الاثنان والتقيا بأبي عبيدة، فاصطحباه، إلى السقيفة فحسموا هذا الأمر.

فالإمامة المتمثلة باختيار إمام للمسلمين، وحسن مناصحته، وطاعته ما أطاع الله ورسوله، واجبةً- في راي أهل السنة- على الناس لا على الله[١٥٨].

أما الخوارج فيرون أن منصب الإمامة غير واجب لا على الله ولا على الناس وأن تعيين إمام واحد للمسلمين جميعاً أمر بالغ الصعوبة وفيه خطر الانقسامات والاقتتال بين المسلمين، لأن المسلمين فرق كثيرة، فإذا رضيت هذه الفرقة بإمام فقد لا ترضى به فرقة أخرى، مما يبعث على الخلاف ويؤجج نار الفتنة[١٥٩].

ويعـــارض السنة والشيعة رأي الخوارج هذا، ويرفضونه جملة وتفصيلا فالإمام عند السنة منعقد البيعة وهو بالتالي واجب الطاعة إذا أجمع عليه العدول ولم يجـــد فـــيه بقية المسلمين ما يعيبه أو يتنافى مع صلاحيته للخلافة فإذا انبرى مســـلم آخر يطالب بالخلافة لنفسه وجبت مقاتلته لقوله صلى الله عليه وسلم: إذا بويع لإمامين فاقتلوا الآخر منهما[١٦٠].

وكل من خرج عن طاعة الإمام، سواء أكان بحجج حزبية أو اقليمية أو مذهبية فهو شاقٌّ عصا الطاعة، مفارقٌ للجماعة يجب أن يُرَدّ إليها صاغراً.

إن الإمـــام للمسلمين لا يمكن الاستغناء عنه باجماع السنة والشيعة فهو كما وصفه الحسن البصري رحمه الله (قَوام كل مائل وقَصْدُ كل جائر).

ج- القول بالبداء

ما مفهوم البداء: بدا الشيء: ظهر، وبدا للإنسان أن يفعل كذا: عرض له فِكر كان غائباً عنه.

فالبداء: ظهور رأي كان خافياً أو تغيير شيء إلى ما عداه.

كـــثيراً ما يعمل الإنسان عملاً ثم يخطر بباله أن يستبدله أو يعتنق مذهباً أو يعتقد معتقداً ثم يعن بفكره فيغيره إلى ما يراه أنسب منه- كل هذا جائز في حـــق البشر. ولكن أيجوز هذا في حق الله تعالى؟ أيغير الله خلقاً أو أمراً أو إرادة أرادها ولماذا يغيرها؟ هذا ما يتضمنه موضوع البداء.

ورد في بعـــض آثار الشيعة أن الله تعالى يبدو له في الأمر فيغيره، فهم يجيزون على الله البداء.

في كتب الشيعة روايات تجيز الاعتقاد بالبداء بل وتشترط ذلك على المسلمين، وهي روايات كثيرة وردت في كتاب الكافي للكليني، وفي غيره من الكتب.

يعد بعض علماء السنة أن الإيمان بالبداء مغمز في العقيدة، لأن هذا يعني الشك في صحة علم الله تعالى.

يستشهد الكاتب السني إحسان الهي ظهير على إيمان الشيعة بالبداء بما ورد في كتاب الكافي في الأصول، عن الريان بن الصلت قال: سمعت الرضا (علي بن موسى) يقول: ما بعث الله نبياً قط إلاّ بتحريم الخمر وأن يُقر لله بالبداء[١٦١].

ويستشهد على المفهوم بما ورد في كتاب (الفَرْق بين الفِرَق) للنوبختي، أن جعفر بن محمد الباقر نصَّ على إمامة ابنه إسماعيل ثم إن إسماعيل مات وأبوه حي، فقال الصادق: ما بدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل ابني[١٦٢].

ويفهم إحسان ظهير من هذا النص أن الله تعالى غيّر رأيه في إسماعيل بعد أن ظهر له شيء آخر فأمات إسماعيل وهذا يعني أن الله عرف ما لم يكن يعرف، جل الله وعلا علواً كبيراً.

ينظرعلماء من السنة إلى موضوع البداء بعين الريبة والشك، ويرون أن أساسه باطل وكلام زور جاء به المختار بن عبيد الثقفي الذي دعا إلى آل البيت زمن ثورة ابن الزبير، وظهر أمره في العراق، وتابعه الناس هناك واشتدت شوكته حتى قاتله مصعب بن الزبير وقتله وأدخل العراق في طاعة عبد الله بن الزبير.

كان المختار- كما ورد في روايات التاريخ يدّعي علم الغيب بوحي من الله أبو برسالة من الإمام، فيخبر أصحابه بأشياء ستحدث، فإذا صدف

وصح ما أخبر به، اتخذه برهانا على صدق دعواه، وإلاّ قال لأصحابه: لقد بدا لربكم.

قال المبرد في الجزء الثالث من كتاب الكامل: إن المختار كان يدّعي أن أموراً ستكون، ثم من أجل أن يثبت صحة دعواه، يحتال فيوقعها.

فمن ذلك قوله ذات يوم: لَتنــزلَنَّ من السماء نار دهماء، فتلحرقَنْ دار أسمــاء. فذُكِر ذلك لأسماء ابن خارجة فقال: أقد سجع بي أبو اسحق؟ هو اذن والله محرق داري، فترك داره وهرب من الكوفة[163].

والــبداء عند المختار- كما نُسب إليه- أنواع، فمنها البداء في العلم وهو أن يظهر لله خلاف ما علم.

والبداء في الإرادة وهي أن يظهر لــه صواب بخلاف ما حكم.

والبداء في الأمر وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بشيء آخر خلاف ذلك.

أمـا الشـيعة، فينفون نفياً باتاً أن يكون البداء عندهم انقاصاً لعلم الله وكماله.

ولكن الله تعالى جعل بعض أوامره أو نواهيه أزلياً، وبعضها مؤقتاً وهذا ما يُعرف بالنسخ، ومن المعلوم أن في القرآن ناسخاً ومنسوخاً ومثال ذلك قوله تعالى في الخمر والميسر: يسألونك عن الخمر والميسر، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما[164].

فهذه الآية الكريمة تعني عدم التشجيع على شرب الخمر وتعاطي الميسر إلاّ أنهـا تعـني أيضاً عدم حرمتها، ثم نـزل بعد مدة قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلك تفلحون)[165].

فهـذا تغيير لحكم من أحكام الله تعالى، وكذلك البداء هو أن يغير الله حكماً أو قضاء قضى به.

ويسـتدلون على صحة معتقد البداء بقوله تعالى: {يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب}.

فالله يمحو ما كتب، أي: يغيرما قضى وهو حر الإرادة "ان الله يفعل ما يريد" إلاّ أن أهل السنة يفرّقون بين النسخ والبداء.

ويقولـون إن النسـخ هـو العدول عن حكم إلى حكم آخر وكلا الحكمـين حق لكن أولهما كان ضرورياً وقت نـزوله، وآخرهما لم يَعْدِل إليه إلاّ عـندما أصبح ضرورياً، وأن الله تعالى يعلم بأنه سيغير ذلك الحكم قبل أن ينـزله.

فالخمـر والميسـر حقـاً فيهما منافع للناس، لاشك في ذلك، ولكن ضررهما أكبر من نفعهما، فنـزلت الآية الأولى لتذكّر بالنفع والضرر في الخمر والميسر وترجّح الضرر على النفع لتهيئ العقول والنفوس إلى الحكم الآخر الذي سـيأتي عـندما يحين وقته، وهو حرمة تعاطي الخمر والميسر، اجتناباً لضررهما الكبير الذي لا يعدُّ نفعهما شيئاً إذا قورن به.

أمـا البداء فهو- كما بفهمه أهل السنة- أن يأمر الله بأمر أو يقضي قضـاءً، ثم يتبين لـه أنه ليس الأصوب، أي هو العلم بعد الجهل، جل الله عن ذلك وتنـزه، في حين أن النسخ كما أسلفت هو العدول عن حكم إلى حكم آخر وكلا الحكمين معلوم عنده منذ الأزل.

ويـرى علماء من السنة أن مؤسس عقيدة البداء وهو المختار بن عبيد الثقفي لم يكن يفرق بين النسخ والبداء[١٦٦]، مع أن الفرق بينهما واضح أكيد.

خلاصة القول أن أهل السنة يأخذون على الشيعة معتقد البداء ويعدونه بدعة ضارة، بل ومكفرّة لمن اعتقد أن الله قد يعلم بعد جهل.

أمـــا الشيعة فيرفضون رفضاً باتاً وقاطعاً كل تفسير للبداء على أنه علم لله بعـــد جهل ويقولون إن تنـــزيهنا لله تعالى عن كل نقص أشهر من نار على عَلَـــم، ومعتقد لا يقبل الجدال، إن الله تعالى لا يبدو لـــه شيء كان غائباً عنه، فلـــه الجلال والكمال ولكنه يبدي للناس شيئاً لم يكن بادياً، فالله تعالى جعل لـــبعض أمـــره جانبين، أظهر أحدهما للناس فترة، فظنوا أنه الجانب الأوحد، ثم أظهـــر لهـــم الجانب الآخر بعد ذلك، فالبداء هو بالنسبة للبشر، لا بالنسبة لله تعالى.

هذا ما يؤكده علماء الشيعة من قدماء ومحدثين.

أمـــا من القدماء فقد ورد في هامش كتاب الأصول من الكافي للكليني مـــا يـــلي: يقـــول العـــالم الشـــيعي الطباطبائي: ومن المعلوم أن علمه تعالى، بـــالموجودات مطابق لما في نفس الأمر من وجودها فالله تعالى عالمٌ بالأشياء من ناحـــية علـــلها التامة، وهو العلم الذي لا بداء فيه أصلاً، وله علم بالأشياء من جهة مقتضياتها التي هي موقوفة التأثير على وجود الشرائط وفقد الموانع، وهذا العلم يمكن أن يظهر بخلاف ما كان ظاهراً منه بفقد شرط: ووجود منع، وهذا المراد بقوله تعالى: يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب[١٦٧].

أمـــا من المحدثين، فيؤكد عالم الشيعة، ومرجعها في النجف الأشرف، محمـــد الحسين آل كاشف الغطاء، أن مفهوم البداء عند الشيعة لا يتعارض مع تـــنـــزيه الله عن كل نقص إذ يقول: من زعم أن الشيعة تفسر البداء على أنه ظهـــور شيء لله لم يكن عالماً به من قبل، فهذا جهل شنيع وكفر فظيع، فالبداء هـــو بالنسبة للبشر يبدي الله لهم حكم شيء بعد أن يبدي لهم حكمته وبعد أن كان الحكم شيئاً آخر، لأن الحكمة لم تكن بادية[١٦٨].

د- القول بالتَّقِيَّة

أ- ما المقصود بالتقية وما موقف السنة منها:

التَّقِيَة لغةً مأخوذة من الفعل: اتّقى ومعناه: خاف الشيء فاجتنبه فالتَّقِيَة إذن أن تخـــاف العقوبة فتبتعد عن أسبابها وموجباتها، والتقيُّ هو من خاف الله تعالى فاجتنب أسباب سخطه.

و للتقـــية دواع لا حصـــر لها، فكثيراً ما يجلب المعتقد لصاحبه الأذى أوالهـــلاك، فالمسلم إذا وقع بين أيدي أعدائه فقد يعذبونه أو يقتلونه أو يعتدون عـــلى ماله أو عرضه، فهل يجوز لـــه في دين الله تعالى أن يقول لهم ما يرضيهم ليدفع عن نفسه الأذى، مع العلم أن ما يرضي الظالمين لا يرضي رب العالمين؟

أيجـــوز لـــــه أن يقول لهم مثلاً: إنني لست مُسْلماً، وأنا على دينكم؟ أيجـــوز لـــه أن يطيعهم إذا أمروه بالسجود لغير الله، أو أن يقول مالا يليق بحق الـــذات الالهـــية، أو بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع ثبات قلبه على الإيمان؟ أم هو مُلزَم بتحمل ما يطيق وما لا يطيق من الأذى والنكال؟

أيجـــد المسلم في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ما يبيح لـــه التقية؟

نعم، في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ما يدل دلالة واضحة لا غموض فيها أنه يجوز للمسلم أن يتقي الظالم حفاظاً على روحه أو عرضه.

قال الله تعالى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)[١٦٩].

وقـــال تعـــالى وقـــد نهى عن موالاة غير المسلمين: الاّ أن تتقوا منهم تقـــاة)[١٧٠] وقـــال تعالى: (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء، إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان)[١٧١].

وأجـــاز رسول الله لعمار بن ياسر أن يقول كلمة الكفر بلسانه ليدفع عن نفسه غائلة الموت بعد أن قَتَل بنو مخزوم أباه وأمه.

فقـــد اضطر عمار تحت التعذيب الذي لا يطاق، أن يذكر آلهة قريش بخير ويذكر إله محمد بشر، ثم جاء إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كسير القلـــب، دامـــع العيـــنين يقول له: هلكتُ يا رسول الله، ذكرتُ آلهتهم بخير وذكرتك بما تكره.

فقـــال عليه السلام، كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان، قال: فان عادوا فعُد[172].

وروي أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله، صلى الله علـــيه وسلم، فقال لأحدهما: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم، قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم. فخلّى سبيله، ثم أتى بالآخر فقال له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال نعم، قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال الصحابي: إنني أصمَ، قالها مسيلمة ثلاثاً وفي كل مرة يجيبه الصحابي: إني أصمّ، فضربت عنقه، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أما هذا المقتول فقد مضى على صـــدقه ويقيـــنه وأخذ بفضله فهنيئاً له، أما الآخر فقد رحمه الله تعالى فلا تبعة عليه[173].

التقية بين العزيمة والرخصة

يتضـــح مما تقدم أن جواز التقية أمر لا شك فيه: ولكن أيهما أفْضَل: التقية أم الثبات والصبر على الأذى؟

لا شـــك أن طبيعة الموقف هي التي تقرر ذلك، فبعض المواقف يفضل فيها الثبات وبعضها تفضل فيها التقية.

مما يؤسف عليه أن كثيراً من فقهاء المسلمين استعملوا التقية لمداراة الحكام الظالمين اجتلاباً لعطاياها ودرءاً لأذاهم، وتسلحوا بقوله تعالى: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)، وهذا استشهاد في غير محله لأن هذه الآية الكريمة لا تنهى عن مواجهة الباطل، لكنها تنهى عن ترك المواجهة وقد نزلت الآية الكريمة لتبين للمسلمين أن ترك الجهاد وترك الانفاق في سبيل الله يؤديان إلى التهلكة[١٧٤].

فممالأة حكام الجور فن يتقنه كثير من فقهائنا، وهذا ليس من التقية في شيء، إنما هو نفاق أضعف ثقة المسلمين بمعظم فقهائهم، بل أضعف ارتباط المسلمين بالإسلام نفسه.

كثيرة هي الآيات الكريمة التي توجب على المسلم أن يكون قوياً صلباً جلداً في مواجهة الباطل، لا يلين ولا يبالي بما أصابه في سبيل الله.

قال تعالى مخاطباً نبيه الكريم: (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين)[١٧٥] وقال تعالى: (وكأي من نبي قاتل معه ربّيون كثير، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)[١٧٦].

وقال تعالى: (ولا يخافون لومة لائمة)[١٧٧].

وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً)[١٧٨].

كيف نتحرر من حكام الجور إن عوّلنا على التقية؟

كيف نكسر شوكة الكفر ونرفع منار الإسلام في الأرض إن لم نتحمل القتل والأذى والسجن والتشريد والتجويع؟

إلا أنه ثمة مواقف يجد فيها المسلم نفسه وحيداً أمام قوى الشرك ويقدر أنه إن حفظ نفسه في هذا الموقف فذلك أنفع له وللمسلمين، وأحفظ لعائلته وأبنائه من الضياع والتشرد، وثمة أنواع من الأذى والتنكيل لا يستطيع المرء

احتمالها مهما كان جَلْداً قوياً، فلا لوم عليه في مثل هذه الأحوال أن يتقي الظالمين بما يرفع عنه أذاهم.

لقد تحدث علماء السنة عن التقية فأجازوها، لا أعلم أحداً غير الخوارج منعها، بل وذهب بعض العلماء السنة إلى القول بوجوبها في بعض الأحوال.

تحدث الإمام أبو حامد الغزالي عن التقية، فأوجبها لحفظ الدم، قال في إحياء علوم الدين (باب ما رُخص فيه الكذب): الكذب واجب إن كان وسيلة إلى أمر واجب، فإن كان في الصدق سفك دم أمرئ مسلم قد اختفى عن ظالم فالكذب فيه واجب[١٧٩].

وأجاز السيوطي في كتاب الأشباه والنظائر، التلفظ بكلمة الكفر[١٨٠].

وأجاز رسول الله للحجاج بن علاط أن يتقول لأهل مكة، ليحصل ديونه منهم[١٨١] وموجز قصته أنه أسلم بُعَيدَ فتح خيبر، وكان له ديون على أهل مكة، فقال لرسول الله عليه السلام، يا رسول الله، إنني ذاهب إلى مكة لأحصِّل ديوني وإني محتاج إلى أن أتقوَّل، فأذن له رسول الله بذلك، فذهب إلى مكة وقال لقريش: إني مُفض إليكم بسر فاكتموا عني. فقالوا له: قل. قال: إن محمداً غزا خيبر، فتصدى له اليهود وأبلوا في قتاله بلاءً حسناً فانتصروا عليه وأسروه وأصحابه وقالوا لا نريد قتله، بل نبيعه لقريش ليروا فيه رأيهم، فهل لكم أن تعينوني على استرجاع ديوني لعلي أشتري بعض الأسرى من أصحاب محمد؟

فسُرَت قريش أعظم السرور وجمعت له ديونه بأقصى سرعة، وأسرَّ للعباس بإسلامه وبأن رسول الله قد فتح خيبر وأعرس بابنة ملكهم[١٨٢] ورجاه ألا يفشي هذا السر قبل ثلاثة أيام، إلى أن يخرج من مكة ويبعد عنها، وخرج العباس بعد ثلاثة أيام فطاف حول الكعبة وقبَّل الحجر الأسود، وقريش جالسة

تنظر، فقالوا له: يا أبا الفضل، هذا واللات التجلد، فقال لهم: بل هو والله الفرح، قالوا: وما ذاك قال: إن الله قد فتح على رسول الله خيبر وإنه الآن معرس بابنة ملكهم.

قالوا ومن جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بخلافه.

فقالت قريش: لقد أفلَتَ منّا الخبيث.

التقية عند الشيعة

كما أجاز السنة التقية أجازها الشيعة أيضاً، إلاّ أنهم كانوا أحوج إليها منذ بداية ظهورهم في العصر الأموي وعبر جميع سنوات الدولة العباسية فأوجبوها على أتباعهم ليحفظوا أنفسهم من سطوة حكام الدولتين، وسطوة كل ظالم، مسلماً كان أم غير مسلم.

ومما زاد من تمسكهم بالتقية واتباعهم أسلوب السرية، ما رأوا من أمر الخوارج، فالخوارج لم يكونوا يجيزون التقية، مما جعلهم هدفاً مكشوفاً لأعدائهم من خلفاء أمويين وعباسيين وولاتهم، يقتلونهم جماعات وأفراداً حتى أفنوهم وقضوا عليهم قضاءً مبرماً.

وآثر الشيعة أن يأخذوا بالتقية التي هي سبيلهم الوحيد إلى السلامة، مما جعلهم بمنجى من أعدائهم، إذ أنهم لم يكونوا بالهدف المحدد، فبإمكان الشيعي أن يتنصل عند الخطر من التشيع فينجو من العقاب.

يروي رواة الشيعة أحاديث كثيرة عن الأئمة الكرام تدعو إلى التقية وتحض عليها وتجعلها من مظاهر الإيمان، وكثير منها وارد في كتاب الكافي في الأصول للإمام الكليني، وهو من أشهر الكتب عندهم (مع العلم أنهم لا يأخذون بكل ما ورد فيه).

ومـنها على سبيل المثال ما رواه الكليني عن زراة بن أعين عن الإمام أبي جعفـر "محمد الباقر" عليه السلام أنه قال: التقية في كُلّ ضرورة، وصاحبها أعلم بها حين تنـزل عليه[١٨٣].

ومنها ما جاء في كتاب عقائد الشيعة الإمامية: التقية ديني ودين آبائي، ومن لا تقية لـه، لا دين لـه[١٨٤].

وجاء في كتاب الكافي في الأصول عن أبي عمر الأعجمي قال، قال لي أبو عبد الله، عليه السلام: يا أبا عمر، إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية لـه، والتقية في كل شيء إلا في النبيذ والمسح على الخُفين[١٨٥].

وعـن حبيـب بن بشر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: سمعت أبي يقول: لا والله ما على وجه الأرض شيء أحب إليّ من التقية. يا حبيب، إنه من كانت لـه تقية رفعه الله يا حبيب، من لم تكن لـه تقية وضعه الله[١٨٦].

مـثل هذه الروايات تحض على التقية حضاً وتضعها في مرتبة الواجب، لكـن في علماء الشيعة من يقتصر بها على الجواز، ومنهم العلامة الطبرسي في تفسير قولـه تعالى: (إلاّ أن تتقوا منهم تقاة)، يقول: في هذه الآية دليل على أن التقية جائزة في الدين عند الخوف على النفس.

ويقـول لطـف الله الصافي في كتابه (مع المحب في خطوطه العريضة): نَعَم، رأي الشيعة جواز التقية، وقد عملوا بها في الأجيال التي تغلبّ على البلاد الإسلامية، أمراء الجور وحكام جبابرة مثل معاوية ويزيد والوليد والمنصور[١٨٧].

وقـال السيد علي إمام الهندي الشيعي: إن الإمامية يرون جواز التقية حفاظاً للنفس والمال[١٨٨].

ماذا يأخذ السنة على الشيعة في موضوع التقية؟

يرفض بعض علماء السنة، مفهوم التقية عند الشيعة، فيأخذون عليهم قولهم بوجوب التقية، ذلك أنها في الشرع أمر جائز عند الضرورة، ولا يصح بحالٍ من الأحوال أن نجعل الجائز واجباً.

ويرد عليهم من يرد من الشيعة بأن وجوبها في حالات معيّنة منصوص عليه عند أشهر علماء السنة من أمثال أبي حامد الغزالي في(الإحياء) وإن كانت غير مجمع عليها عند السنة وهي كذلك عند الشيعة، فوجوب التقية غير متفق عليه عندهم، ففي الشيعة من قال بجوازها كما مَرّ ثم إن وجوبها عند من أوجبها من الشيعة إنماهو وجوب نظام لا وجوب حلال وحرام، ذلك أن الشيعة قضوا أوقاتهم متخفين، متسترين يتوقعون الأذى كل حين من حكام الدولتين الأموية والعباسية، فالتقية عندهم تعد من نوع اللوائح الداخلية التي تضعها الأحزاب السرية لأعضائها، وتأمرهم بالالتزام بها بكل دقة وصرامة حفاظاً على سلامة الحزب أو الجماعة، ومن هذا المنطلق يمكن فهم ما ورد على لسان الإمام جعفر الصادق-إذا صحت الرواية- من قوله: "من لم يتق فليس منها".

بعض أهل السنة يظن أن هذه الرواية المنسوبة إلى الإمام الصادق، تعني أن التقية عند الشيعة شرط من شروط الإسلام لأنه يظن ضمير المتكلم "النا" تعني المسلمين.

الحقيقة هي أن هذه العبارة لا تعني معشر المسلمين بل تعني- إذا صحّت الرواية- معشر الشيعة، لم يكن الشيعة في عصر المنصور وهارون الرشيد على وجه الخصوص يسمحون بحال من الأحوال لأحد بالانخراط في صفوفهم إذا لم يكن ممن يأخذ برخصة التقية، وهذا لا شك من حقهم لأن

ظـروفهم كانـت قاسية وعدوهم كان يستهين بسفك الدماء ولقد رأوا بأم أعيـنهم ما حل بالخوارج الذين لم يستتروا، إذ لم تغنهم شجاعتهم أمام كثرة عدوهم وشدة بأسه.

أمـا المـأخذ الآخر الكبير فهو قول بعض المتشددين من أوساط أهل السنة أن الشيعة يتوسعون في استخدام التقية فيتعاملون بها مع المسلمين من غير أبـناء مذهبهم، بل إن هناك روايات في كتبهم تدل على أنهم يستخدمونها فيما بينهم.

يقـول بعـض علما السنة: أيجوز التقية على المسلم؟ أيجوز اتخاذ التقية وسيلة للخروج من التناقض بين المواقف.

يقـول إحسـان إلهي في كتابه: السنة والشيعة: إن التقية عند الشيعة كـذب محض، ويستدل على ذلك بما ورد في كتاب الكافي في الفروع-كتاب الجـنائز- إن الحسـين بن علي، عليهما السلام، مشى في جنازة أحد المنافقين يتظاهر أنه يشيّعه ولكنه كان يلعنه ويدعو عليه بالعذاب[189].

كما ورد في الكافي في الفروع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى على إمام المنافقين عبد الله بن أبيّ بن سلول، دعا عليه بقوله: اللهم احشِ جوفه ناراً، واملأ قبره ناراً، وأصْلِه ناراً[190].

ويـروي إحسـان الهي ظهير ماجاء في كتاب الروضة من الكافي، عن محمـد بن مسلم أنه دخل على الإمام أبي جعفر وعنده أبو حنيفة، وسأله مسألة أجـاب فـيها أبو حنيفة، فأثنى الصادق على أجابته بقوله: أصبت والله يا أبا حنيفة وبعد خروج أبي حنيفة قال الصادق: إنما قصدتُ أنه أصاب الخطأ[191].

وهـاجم كـتّاب من السنة التقية الشيعية قائلين إنها تحل الحرام وتحرم الحـلال، ويسـتدلون على ذلك بما ورد في كتاب الفروع في الكافي أن الإمام

جعفر كان يقول إن أباه محمد الباقر كان يحلل ما قتل البازي والصقر يتقي بني أمية، وأنا أحرمه لأنني لا أتقيهم[١٩٢].

وأن سلمة بن محرز سأل أبا عبد الله عن ميراث رجل مات وله ابنة، فأعطاها أبو عبد الله نصف التركة، فقال له زرارة: إنما اتقاك والمال لها، فعاد سلمة وسأل أبا عبد الله فأقر له بما قال زرارة بن أعين، وأمره باعطائها النصف الثاني من المال.

أما لماذا يلجأون إلى التقية في الفقه في رأي علماء من السنة فهو تضارب الفتاوي عندهم.

يروي إحسان ظهير عن النوبختي في كتابه: فِرَق الشيعة، أن أئمة الشيعة كان أحدهم يفتي في المسألة وينسى ما أفتى، ويأتيه السائل بعد مدة يسأله في المسألة نفسها، فيفتيه بفتيا مختلفة، فيقول له السائل: إنما كان فتياك قبل عام غير فتياك الآن في المسألة نفسها، فلا يملك جواباً إلا أن يقول له: اتقيتك.

وإنصافاً للأئمة الكرام الذين كانوا مصابيح هدى وأوعية علم، فالتلاعب في الفتوى خبر مكذوب عليهم مثلما كذب بعض الرواة فرووا أن رسول الله الصادق الأمين تظاهر أمام الناس بالدعاء لابن سلول وكان في الحقيقة يدعو عليه بالعذاب.

إن كثيراً من روايات الكافي مصنفة عند الشيعة أنها موضوعة أوضعيفة كما سأذكر عند الحديث عن هذا الكتاب لقد تذمر الأئمة الكرام من كثرة الكذابين الذين نسبوا إليهم مالم يقولوا.

ورد في كتاب الرسائل للشيخ الأنصاري الذي هو عمدة التدريس في النجف الأشرف، أن الإمام الصادق قال: إنا أهل البيت صدّيقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا، كأن الله افترضه عليهم لا يريد منهم غيره[١٩٣].

ومـــن الكذابين الذين أعطوا صورة سيئة عن الشيعة والتشيع زرارة بن أعـــين الســـابق ذكره، ولقد ورد في بعض مصادر الشيعة أن الإمام جعفر كان يتـــبرأ مـــن روايات زرارة ويلعنه فقد روجع في مقالة نقلها عنه زرارة بن أعين فقال: كذب علي والله، كذب علي والله، لعن الله زرارة، لعن الله زرارة[194].

أقـــول: إن ممـــا يدعو إلى الأسف أن التقية استخدمت عند المسلمين كـــلهم السنّة قبل الشيعة على مر العصور استخداماً يدل في كثير من الأحيان عـــلى ضعف الإيمان، وعلى الوهن في مواجهة الباطل، فكم من فتوى صدرت عـــن أساتذة في الشريعة وعن رؤساء دور إفتاء ووزراء أوقاف ورؤساء كليات شـــريعة في العالم السني قبل العالم الشيعي، يندى لها الجبين وتُعدَ وصمة عار في وجـــه مـــن أفـــتى ووجـــه من أفتي لـــه، لقد أفتوا بجواز القومية والاشتراكية والرأسمالـــية والأقليمية والعنصرية وأفتوا لكل حاكم بما يريد ولا عجب أن نجد من أفتى لكمال أتاتورك بالغاء الخلافة الإسلامية.

فقال فيه أمير الشعراء أحمد شوقي:

بكـــت الصـــلاة وتلـــك فتنة عابث	بالشـــرع عربـــيد القضـــاء وقاح
أفـــتى خُزَعْـــبَلَةً وقـــال ضـــلالةً	وأتـــى بكفـــر في الـــبلاد بَواح
إن الذيـــن جـــرى عليـــهم فقهه	خُلقـــوا لفقـــه كتيبة وسلاح

لقـــد أفـــتى فقهاء آخر الزمن- من جانب أهل السنّة بشكل خاص- بطاعـــة من يحكمون بغير ما أنـــزل الله، وحجتهم في ذلك أن الله تعالى، أجاز للمســـلم أن يدفع عن نفسه الأذى بالتقية وحجتهم لاشك باطلة، لأن الأذى الـــذي تجـــوز لـــه التقية هو ما يبلغ درجة الهلاك من غير فائدة أو مردود، أما جهاد الظالمين فهو فرض عين على كل مسلم لأن فيه كل النفع وحاجة المسلمين

إلـيه، كحاجتهم إلى الماء والهواء والذين أصدروا الفتاوي المُندِية يعرفون ذلك قبل غيرهم.

رد الشيعة على انتقادات أهل السنة

يقول أوساط من أهل السنّة: إن الشيعة يستخدمون التقية ضد المسلمين من أتباع الفرق الأخرى وهذا لا يجوز.

ويقول الشيعة: إننا لا نجيز التقية إلا مع الحاكم الجائر، مسلماً كان أم غـير مسـلم، فإذا كان الحاكم على شاكلة الحجاج بن يوسف وزياد بن أبيه والسـفاح والمنصور وأمثالهم، فلمثل هؤلاء أجاز الله التقية. أما من لم يقصدنا بعدوان، مسلماً كان أم من أية مِلّة أخرى فلا نعامله بالتقية.

أما من اتهمنا-معشر الشيعة- بأننا نلجأ إلى التقية للتمويه والوصول إلى مآرب الدنيا، فهذا ليس في مبدئنا ولا معتقدنا ومن لجأ إلى شيء من ذلك، من الشيعة أو من السنة، فإنه يفعله بطبيعة سلوكه لا بطبيعة معتقده.

يقول العالم الشيعي العراقي محمد الحسين آل كاشف الغطاء: ولا تحل عـندنا الخديعة للكافر فضلاً عن المسلم، كما يجب أداء الأمانة، ولا تحل خيانة الكافر فضلاً عن المسلم[١٩٥].

مواقف شجاعة من فقهاء شيعة:

يسـجل الـتاريخ مواقف شجاعة وصلبة للفقهاء الشيعة في مواجهة سلاطينهم الذين تعاقبوا على إيران منذ الشاه إسماعيل الصفوي حتى الشاه محمد رضا بهلوي وتركهم التقية التي هي هروب من المسؤولية.

منها على سبيل المثال إلغاء امتيازات رويتر:

ففي عام ١٨٧٩م أقدم السلطان ناصر الدين شاه القاجاري على منح البارون جوليوس دي رويتر (مؤسس وكالة رويترللأنباء) حق احتكار لمدة خمسين عاماً لمصادر التعدين واالاتصالات في إيران فأعلن الفقهاء رفضهم للاتفاقية وآزرهم جماهير الشعب فانطلقت حركة احتجاج كبيرة ولم يجد السلطان بداً من إلغاء الاتفاقية.

ومنها إلغاء اتفاقية التبغ:

في زيارة له للندن وقّع الشاه السابق ذكره مع الميجر تايلوت اتفاقية احتكار تجارة التبغ لمدة خمسين عاماً مقابل ١٥ألف جنيه للحكومة الإيرانية مع رُبع أرباح الشركة، فأصدر الميرزا الشيرازي فتوى بتحريم التدخين، ووقفت الجماهير إلى جانبه وتوقف المدخنون عن التدخين فسقطت الاتفاقية.

ومنها فرض الدستور الإسلامي عام ١٩٠٦م:

في ذلك العام ثار الفقهاء على السلطان الذي حاول تجاهل الإسلام في الدستور، ووقفت معهم الجماهير وقفة في غاية الصلابة كادت تعصف بالسلطان، فاضطر إلى الإذعان لمطالب الفقهاء بجعل الشريعة الإسلامية مصدر الدستور وأقر بما يلي:

١- دين الدولة الإسلام ومذهبه الجعفري. ٢- تشكيل مجموعة من الفقهاء من ستة أشخاص لهم الحق في مناقشة أي قانون وردّه إذا كان مخالفاً للشريعة الإسلامية.

ختاماً لهذا الموضوع أقول: إن لنا من المسلم ظاهره، ما لم يناقض ظاهرُه سلوكه

فإذا قال الشيعي ما يرضي السني، فعلى الآخر قبول ذلك ما دام الفعل لا يكذّبُ القول، فلنا الظاهر والله وحده يتولى السرائر ومن المعلوم أن من نطق

الشـــهادتين مسلم وليس لنا أن نفتش عما في قلبه، وظاهر الإنسان هو الحَكَمُ أيضاً فيما عدا ذلك.

فالتقـــية أمر ينبغي ألا يقف عائقاً في وجه التقارب والأخوة بين السنة والشيعة مع العلم أن الحملة الشرسة للتفريق انطلقت بعد أن ألغى الإمام الخميني التقـــية وأفـــتى بعدم جوازها. ففي عام ١٩٦٣ م، في بداية شهر محرم من ذلك العـــام أصـــدر الإمام الخميني، رضي الله عنه، بياناً يدعو فيه العلماء ألا يلوثوا منابرهم بالمهادنة.

وقـــال: إن التقية حرام، وإظهار الحقائق واجب مهما كانت النتيجة . وجاء في الفتوى: إن التقية تتعلق بالفروع، لكن حينما تكون كرامة الإسلام في خطـــر، وأصول الدين في خطر، فلا مجال للتقية والمداراة، إن السكوت في هذه الأيـــام تأييد لبطانة الجبار ومساعدة لأعداء الإسلام. (إيران من الداخل، فهمي هويدي، ص ٤٦).

كـــان الإمام الخميني يعني ما يقول وكذلك أنصاره من فقهاء الشيعة وعامـــة الجمـــاهير، فطرحوا التقية جانباً وانطلقوا يهدمون أكبرعرش فساد في العالم الإسلامي، وعندما تكللت جهودهم بالنصر انطلقت حملة شرسة ضدهم ترميهم بالتقية، من جملة ما ترميهم به.

الفصل الرابع

مصادر التشريع عند الفرقتين

مصـــادر التشـــريع عـــند أهل السنة هي القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والقياس والاجتهاد، وهي عند الشيعة: القرآن الكريم والسنة والنبوية والعقل والإجماع.

١- القرآن الكريم: جمعه وترتيبه

هـــو أول مصـــادر التشريع عند السنة والشيعة، والإيمان به ركن من أركان الإسلام والإيمان، فشهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، تقتضي بالضرورة شهادة أن القرآن كتاب الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وهو الأول من مصادر التشريع لقوله تعالى: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"[١٩٦].

وقوله تعالى: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون"[١٩٧] وقوله تعـــالى: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون"[١٩٨]. والقرآن الكريم فيه جميع الأحكام، بعضها مجمل وبعضها مفصّل، وجاءت السنة النبوية لتفصيل المجمل وبيان ما خفي على الناس من الأحكام.

وللقـــرآن الكريم مزايا فريدة لا يشاركه فيها كتاب آخر على وجه البسيطة كائناً ما كان وفي أية لغة كانت.

أولهـــا: أن القـــرآن واحد في جميع أرجاء العالم، مهما اختلفت البلاد والشعوب ومن المستحيل أن تجد اختلافاً بين نسخة ونسخة في أي شيء مهما

كان يسيراً. حتى لو كان شكل حرف من الحروف أو موضع وقف أو فصل أو وصـــل أو ما عدا ذلك، يستوي في ذلك ما طبعته مطابع أهل السنة وما طبعته الشيعة في إيران وغيرها.

وثانيها: كثرة من يقرأه ويحفظه كله أو بعضه ورث ذلك أمم عن أمم وأجـــيال عن أجيال قبل المطابع وبعدها، وإذا كان اختراع الطباعة لــــه فضلٌ على كل كتاب في الدنيا بأن حفظه من الضياع وجعله مشهوراً بين القراء فلا فضـــل لــــه عـــلى القرآن في ذلك، إن اختراع الطباعة لم يحفظ القرآن من الضـــياع، لأنـــه كان محفوظاً في صدور الملايين قبل ذلك ومكتوباً في أعداد لا تحصى من النسخ ولم يتغير حاله في شيء بعد الطباعة اللهم إلاّ أن نُسخه كثرت وأصبحت في متناول أيدي الجميع بثمن معقول.

وثالـــثها: أن الله تعالى هو الذي تعهد بحفظ القرآن، وصدق الله وعده فقد انتقل القرآن من جيل إلى جيل وأخذته كل أمة عن الأمة التي سبقتها وكل آيـــة فـــيه تـــردد في الـــيوم الواحد مرات لا تحصى، مما يجعل أي تحريف فيه مستحيلاً.

ورابعهـــا: أنـــه معجزة الله للناس، لا يستطيعون أن يأتوا بمثله، أو مثل ســـورة قصـــيرة من سوره، ولو اجتمعوا على ذلك يساعد بعضهم بعضاً، ولو اســـتعانوا بالجن قال تعالى: {قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا}[١٩٩].

وكـــثيرة هـــي الآيات التي تتحدى البشر أجمعين بل والثقلين، الإنس والجن وهو تَحدّ قائم إلى يوم القيامة، لأن إعجاز القرآن باقٍ.

وخامسها: أنه هو المعجزة الوحيدة الباقية على وجه الأرض، فليس في الدنيا كلها شيء لا يمكن للبشر تقليده والنسج على منواله إلاّ القرآن.

القـــرآن الكـــريم ليس لـــه شبيه في أية لغة في بلاغته وترتيب حروفه وكـــلماته وآياتـــه وسبك مغانيه والحقائق العلمية التي جاءت في القرآن ويجدها العلماء مطابقة لما اكتشفوا ويكتشفون

قـــال تعـــالى: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق"[٢٠٠] صدق الله العظيم.

صـحيح أنـــه ما من نبي إلاّ كانت لـــه معجزات، غير أن معجزات الأنبـــياء زالـــت بزوالهم وأصبحت اثرا بعد عين، لكن معجزة نبوة محمد باقية خـــالدة، لذا ألزم الله كل إنسان عرف الإسلام أن يدخل فيه لأنه خاتم الأديان فهو دين البشرية جمعاء إلى يوم القيامة.

كيف عُمِّمَ القرآن وكيف حُفِظ

نـــزل القرآن على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله، منجماً أي: مقسـطاً عـــلى مدى ثلاث وعشرين سنة، وكان جبريل يأتي بالسورة أو بالآيـــات من عند ربه، فيتلوها على مسامع رسول الله، ويعيدها عليه المرة تلو المـــرة، ولا يـــترك رسولَ الله إلا بعد أن تكون الآيات قد نقشت في قلبه نقشاً ويتلو رسول الله على أصحابه ما نـــزل عليه ويكرره عليهم حتى يحفظوه ولكن الحفـــظ بحاجة إلى مذاكرة وإلاّ دخلته آفة النسيان، والمذاكرة موجودة بشكل أكيد خمس مرات في اليوم لكل مسلم، إنها الصلوات المكتوبة هذا غير صلوات النوافل، فنجد العشرات، ثم المئات، ثم الألوف، ثم عشرات الألوف يرددون ما نـــزل عـــلى رسول الله منذ الساعة الأولى لنـــزوله فلا يمر يوم واحد على نـــزول الآية الكريمة إلا وهي أشهر من كل كلام قاله حكيم أو خطبة خطيب أو شعر قاله شاعر، وإذا هي مستحيلة على من أراد تغيير شيء منها.

ولم يكتفِ رسول الله بهذا كله؛ بل كان يدعو عدداً من الثقات المخلصين الذين يتقنون القراءة والكتابة، فيأمرهم بكتابة ما نزل عليه فيكتبونه على ما تَيَسَّر من جِلد أو لحاء النخيل أو الحجارة الرقيقة أو عظام أكتاف الإبل أو عظام أكتاف الغنم، وخشب رحل البعير وما أشبه، ثم يضعون ذلك كله في بيت رسول الله، وتوفي رسول الله والقرآن مكتوب على هذه الأشياء، وكان أول من جمع القرآن أبو بكر الصديق، إذ استدعى زيد بن ثابت وأمره بجمع القرآن من هذه الوثائق، وألا يكتب آية مما في هذه الوثائق حتى يَشهد عليها شاهدان بالإضافة إلى شهادة زيد بن ثابت نفسه الذي اشتهر بحفظه للقرآن وضبطه لقراءته، وكُتِب المصحف على قراطيس-"قطع قماش بيضاء"- ولُفَّت هذه القراطيس وحفظت في بيت أبي بكر بقية حياته، ثم حفظت في بيت عمر مدة خلافته ثم انتقلت إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر بعد وفاة أبيها.

الجمع في زمن عثمان

بعض آيات القرآن الكريم نزلت في أكثر من لهجة من لهجات العرب، وكان المسلمون إذا أشكل عليهم شيء من قراءة آية كريمة يحتكمون إلى رسول الله، وكان أحياناً يقرّ القراءتين أو ثلاث القراءات في بعض الآيات ذلك أن جبريل كان يردد بعض الآيات أحياناً بأكثر من لهجة ويحفظها رسول الله على أوجهها المتعددة ويقرأها على هذه الأوجه أيضاً إلا أن اللهجة الرسمية المعتمدة كانت لهجة قريش، وبها قرئ القرآن وكل ما عداها من لهجات العرب لم يرد في القرآن إلا بشكل فرعي في بعض الآيات، دون أن يكون اللهجة المعتمدة.

ولم يؤد اختلاف اللهجات إلى مشاكل تذكر في زمن رسول الله ولا في زمن أبي بكر، وبدأت المشكلة في زمن عمر، ولكن بشكل بسيط، لأن عهد

عمـــر كـــان عهد فتوحات، وكان الجهاد يشغل الحيّز الأكبر من تفكيرهم، ولم يكن عندهم متسع كبير لتدارس العلم وما يجر من جدل وخلافات.

اشـتدت المشكلة في زمن عثمان، لأنه زمن استقرار المسلمين في البلاد التي فتحوها وتفرغهم للعمل وتدارس القرآن الكريم، فصار بعض المسلمين يقرأ القـرآن بهـذه اللهجة فيخالفه مسلم آخر ويقول لـه: قراءتك غير صحيحة وهذه قراءة لم نسمع بها من قبل.

روى البـخاري عن أنس بن مالك أن حذيفة بن اليمان كان غازياً في بلاد أذربيجان ومعه أهل العراق والشام، فأفزعه اختلافهم في القراءة فقدم على عثمان وقال لـه: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فعزم عثمان على نسخ مصحف ملزم لجميع المسلمين.

ولقد بلغ الخلاف في حاضرة الدولة الإسلامية، حول بعض القراءات، اقتـتال المعلمين والغلمان، فبلغ ذلك عثمان فقال: عندي تُكذّبون به وتلحنون فـيه؟ فمن نأى عني كان أشدّ تكذيباً وأكثر لحناً، يا أصحاب محمد، اجتمعوا فاكتـبوا للـناس إماماً، ثم إن عثمان بعث إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بـن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فانه إنما نـزل بلسـانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق[٢٠١].

صحة القرآن الكريم عند السنة والشيعة

أجمع أهل السنة على أن القرآن الكريم صحيح كله، ثابت بالتواتر في كل كلمة من كلماته وكل حرف من حروفه، وفي أسماء السور وترتيبها وترتيب الآيات فيها، وأن كل من قال بوجود تبديل أو تغيير فيما بين الدفتين فقد كفر كفراً صريحاً، وكذّب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال بذلك كل علماء السنة واذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: ابن حزم الظاهري في الشفاء والبخاري في صحيحه، والزركشي في البرهان وابن كثير والفخر الرازي وسائر أئمة المسلمين[٢٠٢].

وممن نوّه بذلك من أئمة الشيعة وأعلامهم على سبيل المثال لا الحصر أيضاً بن بابوية المعروف بالصّدوق في كتابه: اعتقاد الشيعة الإمامية، وعَدَ القول بعدم التحريف من معتقدات الشيعة الإمامية، وهو بذلك يُخرج من المذهب من قال بالتحريف.

ومنهم شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي والسيد المرتضى في المسائل الطرابلسيات الذي استدل على عدم التحريف بأدل دليل.

ومنهم المفسر الطبرسي في مقدمة تفسيره (مجمع البيان) ومنهم شيخ الفقهاء الشيخ جعفر الطوسي في كتابه: كشف الغطاء وأكد الاجماع على ذلك.

ومنهم العلامة الشهشهاني في كتابه: العروة الوثقى، ونسب القول بعدم التحريف إلى عموم المجتهدين، والسيد محسن البغدادي في كتابه شرح الوافية والسيد علي الكركي وله رسالة خاصة في نفي الزيادة، والسيد محسن الأمين في الجزء الأول من أعيان الشيعة.

ومنهم المحدث الكبير محسن القاشاني في كتابيه: الوافي وعلم اليقين.

ومنهم الشيخ محمد الجواد البلاغي في مقدمة تفسيره: آلاء الرحمن[٢٠٣].

مصاحف حملت أسماء كاتبيها

لا نزال نسمي المصحف الذي بين أيدينا مصحف عثمان، لأنه هو الذي جمعه الجمع الثالث والأخير، إلا أن صحابة أجلاء آخرين، كتبوا مصاحف لهم، جمعوها من محفوظهم ـ وكانوا يحفظون القرآن ـ ومن صدور الصحابة رضوان الله عليهم.

منهم علي بن أبي طالب، أخرج ابن أبي داود عن طريق بن سيرين قال: قال علي: لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، آليت ألا آخذ عليَّ ردائي إلا لصلاة جمعة، حتى أجمع القرآن، فجمعته[٢٠٤].

وروي أن سالماً مولى أبي حذيفة، أقسم ألا يرتدي رداءه حتى يجمع القرآن فجمعه[٢٠٥] وكان لعبد الله بن مسعود مصاحفه[٢٠٦] وكثيرون جداً هم الذين كتبوا المصحف قبل أن يكتبه عثمان.

ذكر ابن حزم الأندلسي في كتابه (الفِصَل في الملل والنحل)، أن عدد المصاحف عند وفاة عمر بن الخطاب في امتداد بلاد المسلمين من مصر إلى العراق إلى الشام إلى اليمن وفيما بين ذلك، إن لم يكن أكثر من مائة ألف مصحف فليس أقل من ذلك[٢٠٧].

ما الخلاف بين السنة والشيعة في هذا المجال؟

ذكرت بعض الاخبار الواردة في كتب الشيعة أن عندهم مصحف فاطمة، ومصحف علي، وأن القرآن الذي فيهما غير القرآن الذي بين أيدينا.

جــاء في الأصول من الكافي للكليني عن أبي بصير، أنه دخل على أبي عــبد الله (الإمــام جعفر الصادق رضي الله عنه) فنظر أبو عبد الله من النافذة ليــتأكد من أن أحداً لا يتنصت إليهما، ثم أرخى الستار وأسرَّ إلى أبي بصير أن لدى آل البيت العلوي الكريم الجامعة، وهي صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رســول الله صلى الله عليه وسلم، وإملائه من فَلَق فيه، وخط عَلي بيمينه، فيها كــل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأَرْش في الخَدْش "الغرامة عن الجروح البسيطة".

وأن عــندهم الجِفْر وهو رِقٌّ من جلد البعير، وقيل هو جلد كبش، فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل.

وعــندهم مصــحف فاطمة، وهو مصحف يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن ليس فيه من القرآن حرف واحد[٢٠٨].

ولمــزيد من توضيح حقيقة الجفر والجامعة تقول: هما كتابان، قيل إن العــلم الــذي فيهما توارثه أهل البيت ومن ينتمي اليهم، لا يقف على حقيقة الجفــر إلا المهدي المنتظر، وهو موجود ومطبوع، ويتداول بعض أخباره السنة كما يتداولها الشيعة، إلا أنه مليئ بالرموز المبنيَّة على أسرار الحروف، لا يتيسر فهمه إلا لمن عرف حقيقته[٢٠٩].

وتحدث العالم الشيعي بهاء الدين العاملي عن الجفر والجامعة فقال: قال الســيد المحقق الشريف: الجفر والجامعة كتابان لعليّ كرّم الله وجهه، وقد ذكر فيهما على طريقة علم الحروف، الحوادث التي تحدث إلى انقراض العالم، فكان الأئمة المعروفون من ولده، يعرفونها ويحكمون بهما.

ويورد العاملي، ما قاله الإمام علي الرضا للمأمون، حين جعله المأمون ولّي عهده: إنك قد عرفت من حقوقنا ما لم يعرفه آباؤك، فقبلت منك ولاية العهد، إلاّ أن الجفر والجامعة يدلاّن على أنه لا يتم.

ويضيف العاملي: ولمشايخ المغاربة نصيب من علم الحروف ينتسبون فيه إلى أهل البيت، ورأيت في الشام نَظماً أشير فيه بالرموز إلى ملوك مصر وسمعت أنه مستخرج من ذينك الكتابين[210].

فالجفر والجامعة، ليس من شأنهما إثارة أي خلاف بين السنة والشيعة، إلاّ أن بعض من تحدثوا عنهما من متعصبي السنة، أوحى أسلوب حديثهم أنهم يعتقدون أن ما في الجفر والجامعة، هو عند الشيعة مصدر الحلال والحرام والمعتقدات، بديل عن القرآن الكريم، وهذا غير صحيح.

أما مدخل الهجوم على الشيعة من قبل بعض غير الموضوعيين، فحول مصحف فاطمة الذي تقول الرواية. إنه غيرُ القرآن الذي بين أيدينا ولا وجود له في الواقع.

وثَمّ موضع خلاف آخر يدور حول ما ذكر من مصحف عليّ، الذي هو المصحف الصحيح، كما تزعم رواية الكافي، والذي سيظهره المهدي المنتظر، وقد ورد النص حول مصحف علي بهذه الصيغة: عن سالم بن سلمة قال: قرأ رجل على أبي عبد الله عليه السلام (جعفر الصادق) وأنا أسمع، حروفاً من القرآن، ليس على ما يقرؤها الناس، فقال أبو عبد الله، عليه السلام: كُفَّ عن هذه القراءة، اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم، فإذا قام القائم عليه السلام (المهدي المنتظر)، قَرأ كتاب الله عزوجل، على حَدِّه، وأخرج المصحف الذي كتبه عليّ، عليه السلام، وقال: أخرج عليّ عليه السلام، ذلك المصحف إلى الناس حين فرغ منه وكتبه، فقال لهم: هذا كتاب الله عزوجل، كما أنزله

الله على محمد، صلى الله عليه وسلم وآله، وقد جمعته من اللوحين، فقالوا: هوذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن، لا حاجة لنا فيه، فقال: أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً، إنما كان عليٌّ أن أخبركم حين جمعته لتقرأوه"[٢١١].

هـذه الـرواية إن صحّت، فإنها تدل بشكل قاطع، أنه ليس بين يدي الشـيعة مصـحف غير المصحف المعروف، ذلك أن مصحف علي-لوصحت الرواية- لن يطلع عليه أحد قبل ظهور المهدي المنتظر.

أمـا الرواية التي تتحدث عن مصحف فاطمة فهي مجرد رواية لم تثبت ولم يَـرَ أحد ذلك المصحف مع العلم أن علماء الشيعة المعاصرين يعدون أكثر مـن نصف روايات الكافي، ضعيفة أو موضوعة، كما سنرى عند الحديث عن صحاح الشيعة.

لقد ذكر بعض الكتاب- نقلاً عن مستشرقين- مصاحف قالوا إنها عند الشيعة و لم يقيموا دليلاً ملموساً على ذلك.

ذكـر محب الدين الخطيب وهو رجل شديد التعصب ضد الشيعة، أن موظفـاً في وزارة العـدل المصرية من مريدي الشيخ محمد عبده "-يدلل بذلك على صلاح ذلك الموظف وصدق حديثه-" اسمه محمد علي سعودي، اطلع على مصحف إيراني محفوظ عند المستشرق (براين). وعلى أساس هذه الرواية يقول محمب الدين الخطيب: وللشيعة مصاحف خاصة، تختلف عن المصاحف المتداولة يثبتون فيها سورة الولاية.

قصة سورة الولاية

هي بمقدار فاتحة الكتاب يقول بعض العلماء السنة إن الشيعة يعتقدون أنها من سور القرآن الكريم، وأن الشيعة يزعمون أنها وصلتهم عن طرق الأئمة من آل البيت.

وأريـــد أن أسجل بالحرف ما كتبه الشيخ السنّي محب الدين الخطيب حول هذا الموضوع: يقول محب الدين الخطيب: سورة الولاية واردة في كتاب الطبرســـي: فصل الخطاب ص ١٨٠، وأنها واردة في كتابهم الفارسي (دبستان مذاهـــب) لمؤلفه محسن فاني الكشميري وهو مطبوع في إيران طبعات متعددة، وقد نقل عنه هذه السورة العلامة نولدكه في كتاب: تاريخ المصاحف ٢:١٠٢، والجـــريدة الآسيوية الفرنسية سنة ١٨٤٢ ص ٤١٣-٤٣٩، وللشيعة مصاحف خاصة تختلف عن المصحف المتداولة "-القول لمحب الدين-" يثبتون فيها سورة الولايـــة، وقد اطلع الثقة المأمون الأستاذ محمد سعودي الذي كان كبير الخبراء بمصـــر، وهـــو من مريدي الإمام محمد عبده، على مضحف إيراني مخطوط عند المستشـــرق بـــراين وفيه سورة الولاية فنقلها بالفُتُغراف ونُشِرت بمجلة الفتح العدد ٨٤٢ ص٩[٢١٢].

نص سورة الولاية

يقـــول محب الدين الخطيب: يزعمون أنها سورة طويلة، قد ذُكِرَ فيها فضـــائل أهـــل البيت أما الصورة الفوتراغية التي نقلها محب الدين عن الموظف المصري عن المستشرق الفرنسي فنقول:سورة الولاية. سبع آيات ؛

(يـــا أيها الذين آمَنوا، آمِنوا بالنبي والولي اللذّينْ بعثناهما يهديانكم إلى صراط مستقيم (١) نبي وولي بعضهما من بعض وأنا العليم الخبير (٢) إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم (٣) والذين إذا تليت عليهم آياتنا كانوا بآياتنا مكذبـــين (٤) إن لهـــم في جهـــنم مقاماً عظيماً إذا نوذيَ لهم يوم القيامة أين الظـــالمون المكذّبـــون للمرسَلين (٥) ما خلقهم المرسَلين إلاّ بالحق وما كان الله ليظهرهم إلى أجلٍ قريب (٦) وسبح بحمد ربك وعلي من الشاهدين).

الرد على القول بوجود مصاحف عند الشيعة:

كتب العالم الشيعي اللبناني محمد جواد مغنية يرد على خالد محمد خالد، مؤلف كتاب الديمقراطية، يقول: ورد في كتاب الدمقراطية لخالد محمد خالد أن الشيعة لا يعترفون بالقرآن، بل إن لبعض طوائفهم قرآناً غير قرآننا وهم لا يعترفون بالسنة وأحاديث الرسول التي ينقلها ويرويها أئمة السنة، لا أدري إن كان أحد من الشيعة يعرف هذه الطائفة التي لها قرآن غير قرآننا، أما أنا، فلا أعرف عنها شيئاً، ولم أسمع بها من قبل، ولا أريد أن أتعرف إليها أبداً إن كان لها وجود، لأنني اعتقد أنا ويعتقد كل شيعي معي أنّ من لا يؤمن بهذا القران الذي بين أيدينا، فهو ليس من الإسلام في شيء لا هو مسلم سُنّي ولا مسلم شيعي[٢١٣].

رد على القول بسورة الولاية

رد العالم الشيعي لطف الله الصافي على محب الدين الخطيب صاحب كتاب الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية، وكتب كتاباً عنوانه: مع الخطيب في خطوطه العريضة، تطرق لقول الخطيب: إن السورة موجودة في صفحة ١٨٠ من كتاب فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب للطبرسي . قال الصافي: فانظر إلى ما في كلامه هذا من الكذب الفاحش والافتراء البيّن، ليس في فصل الخطاب، لا في صفحة ١٨٠ ولا في غيرها، من أول الكتاب إلى آخره ذكر من هذه السورة المكذوبة على الله[٢١٤].

مزاعم حول التحريف

روايات في كتب السنة عن نسخ بعض آيات القرآن:

مما يتفق عليه علماء السنة، أن بعض آيات القرآن الكريم نسخت حكماً وبقيت تلاوة كقوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾[٢١٥].

إلا أن ثمة روايات في كتب السنة تشير إلى أن بعض الآيات، نسخت حكماً وتلاوة، بحيث رفعت من صدور المسلمين في عهد رسول الله، فلم تدون في المصحف منذ الجمع الأول في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

روى العلامة السني جلال الدين السيوطي في كتابه: الاتقان في علوم القرآن أن عائشة، رضي الله عنها، قالت: كان فيما أنزل، عشر رضعات معلومات فنُسخن بخمس رضعات معلومات، فتوفي رسول الله وهن مما يُقرأ في القرآن... رواه الشيخان.

ويضيف السيوطي: قولها: (وهن مما يقرأ في القرآن) يدل على بقاء التلاوة وليس كذلك، والصحيح أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، توفي وبعض الناس يقرأها، لأنه لم يكن قد بلغه أنها نسخت تلاوة أيضاً[٢١٦].

وذكر القرطبي في تفسيره أن سورة التوبة أو براءة كانت تَعْدل سورة البقرة أو قربها، فذهب منها، لذلك لم يُكتب بينها وبين الأنفال بسم الله الرحمن الرحيم. ويستشهد السيوطي بما روي عن سعيد بن جبير: كانت سورة التوبة مثل سورة البقرة[٢١٧].

وأتي عمر بآية الرجم فلم يكتبها لأنه لم يجد عليها شاهدين[٢١٨].

بعض القراءات التي حفظت وتخالف قراءة مصحف عثمان عند أهل السنة:

قوله تعالى: لقد جاءكم رسول من أنفسكم[219] (بضم الفاء): قرئت: لقد جاءكم من أنْفَسِكم (بفتح الفاء): أي: من أعظمكم مكانة.

وقوله تعالى: فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قُرَةِ أعين[220]، قرئت: فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قُراتِ أعين[221].

وقوله تعالى: متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان[222]، قرئت: متكئين على رفارف خضر وعباقري حسان.

وقوله تعالى: أما إن كان من المصدقين فَروح وريحان وجنة نعيم[223] (بفتح الراء) قرئت: فَرُوحٌ (بضم الراء)[224].

وعلماء السنة لا يعدون مثل هذه القراءات تحريفاً، بل هي مجرد قراءات بعضها متواتر وبعضها صحيح ومنها الضعيف والموضوع، ووضع العلماء شروطاً للقراءة الصحيحة هي: صحة السند عن القراء المعتبرين حتى تصل إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وموافقة قواعد اللغة العربية والرسم العربي في الكتابة، وأن تكون مشهورة عند القراء ولم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ[225].

بعض ما ورد من أقوال الزيادة في آثار أهل السنة

بعض الآيات الكريمة وردت فيها زيادات على سبيل التفسير، غير مثبتة في المصحف كقراءة سعد بن أبي وقاص: وله أخ أو أخت (من أم).

وقراءة ابن الزبير: ولتكن منهم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (ويستعينون بالله على ما أصابهم)، وقال عمرو: ما أدري

أهي قراءة أم تفسر، وأخرجه كل من سعيد بن منصور والأنباري، وجزم الأنباري أنها تفسير.

وقراءة عبد الله بن عباس: ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم (في مواسم الحج).

وروي عن الحسن البصري أنه كان يقرأ: وإن منكم إلاّ واردها الورود، الدخول ومن الواضح أن قوله: الورود: الدخول، تفسير[٢٢٦].

المعوذتان والفاتحة ومصاحف ابن مسعود:

القول: إن المعوذتين ليستا من القرآن، انفرد به عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ذكر العالم السني الشهير، جلال الدين السيوطي في الإتقان، أن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، لم يكتب المعوذتين في مصاحفه، بل كان يحكهما من المصاحف (يمحوهما)، ولم يكتب الفاتحة كذلك.

وشكك بعض علماء السنة بهذه الرواية عن عبد الله بن مسعود، وقطع بعضهم بأنها غير صحيحة، فقد رفض تصديق الرواية كل من الفخر الرازي وأبو بكر بن العربي، والنوزي.

إلاّ أن السيوطي يستشهد برأي ابن حجر العسقلاني في كتابه: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، أن الروايات عن ابن مسعود صحيحه: وأن ابن مسعود كان يقول في المعوذتين: أنهما ليستا من القرآن، وانما هما دعاء أمر الله نبيه أن يدعو بهما، أما الفاتحة فلم يكتبها ابن مسعود لشهرتها.

فَسَر بعض العلماء هذا الموقف الغريب من ابن مسعود، بأن المعوذتين لم تثبتا عنده أنهما من القرآن، وقد تواترت عند جميع الصحابة غيره، فلا

يضـــرهما موقف ابن مسعود منهما، وقال آخرون: إن ابن مسعود لم يكتب إلاّ ما أمره به رسول الله، عليه السلام، فكأنه لم يسمع رسول الله يأمره بكتابتهما.

روي السـبـيوطي عن العالم السني ابن البزار: لم يتابع ابن مسعود أحد من الصحابة[٢٢٧].

الحديث عن قراءات مخالفة في كتب الشيعة

عرفنا أنّ عند أهل السنة قراءات لبعض الآيات، وأقوالاً بالنسخ لبعض الآيــات وقــول ابن مسعود بزيادة المعوذتين، إلاّ أن القراءات المخالفة ليست تحريفاً بحال من الأحوال، إنها مجرد قراءات ليس بينهما وبين القزاءة المتفق عليها أي تناقض في المعني وبعضها صحيح وبعضها ضعيف.

أمـــا القـــول عن آيات لم تثبت عند زيد بن ثابت فلم يدونها، فهذه روايـــات من نوع خبر الآحاد الذي لا يعتبر فوق الشكوك، ولو سلّمنا جدلاً بصـــحتها فمن المعلوم عقلاًونقلاً أنها لا تتناقض مع أي من آيات القرآن الذي بين أيدينا، فلا ضرر أبداً من الاعتقاد بصحة الأخبار الواردة بشأنها.

أمـــا عـــند الشيعة، فمنهم من قال بسقوط كلمات من بعض الآيات وقالوا إن أبا بكر وعمر اسقطاها لأن فيها نصاً صريحاً بحق عليّ وآل بيته، ولهم روايـــات أخرى حول تبديل كلمة مكان كلمة في بعض الآيات، ولا يسمون ذلك روايات، بل يعدونها تحريفاً.

وقـــد ألف أحد علمائهم كتاباً جمع فيه نصوص التحريف المزعوم أما العـــالم فهـــو الحاج ميرزا حسين بن حمد النوري وأما الكتاب فعنوانه: (فصل الخطـــاب في تحريف كتاب رب الأرباب)، جمع فيه مئات النصوص من علماء الشـــيعة ومجـــتهديهم على مر العصور، وطبع في إيران سنة ١٢٩٨هــــ وقامت ضـــجة عـــند الشيعة احتجاجاً على طبعه لأنهم لا يريدون أن تعمم مثل هذه

النصـــوص عـــلى عامة الناس وكانوا يفضلون أن تبقى متفرقة في بطون الكتُب المختلفة[228].

ومـــن أقوالهم في القرآن أو بعض آياته على سبيل المثال: عن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام: إن القرآن الذي جاء به جبريل، عليه السلام، إلى محمد صلى الله عليه وسلم سبعة عشر ألف آية[229].

أما الطبرسي صاحب مَجْمعَ البيان، فيؤكد أن آيات القرآن ستة آلاف ومائتان وست، وهو يرفض بذلك الرواية الواردة في الكافي.

أمـــا عدد آيات القرآن كما رواها السيوطي عن ابن عباس فهي ستة آلاف وستمائة وست عشرة آية[230].

عـــن علي بن إبراهيم، عن أحمد بن محمد البرقي عن أبيه، عن محمد بن ســـنان-عن عمار بن مروان بن منخل، عن جابر عن أبي جعفر (محمد الباقر) علـــيه السلام قال: نزل جبرئيل، غليه السلام، بهذه الآية على محمد، صلى الله علـــيه وســـلم هكـــذا: بئســـما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل في عليّ بغياً"[231].

عن عمار بن منخل، عن جابر قال: نزل جبرئيل بهذه الآية على محمد هكـــذا: وإن كنـــتم في ريـــب مما نزّلنا على عبدنا في عليّ، فأتوا بسورة مِن مثله[232].

ومثلها: يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزّلنا في عليّ نوراً مبيناً[233]

ومثلها: ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به في عليّ لكان خيراً لهم[234].

أقوال علماء الشيعة في نفي التحريف

ذكـــرتُ في بداية هذا الباب، أسماء عدد كبير من أكابر علماء الشيعة القدماء، الذين ينفون التحريف عن القرآن الكريم، نفياً قاطعاً، ويعدّون أي قول

من هذا القبيل كفراً وتكذيباً لقوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، ويغدون ما ورد في كتبهم أو كتب أهل السنة، روايات باطلة لم يقم عليها دليل أو برهان.

وأسوق الآن بعض النصوص في هذا الموضوع عن مراجع الشيعة المعاصرين: يقول عالم الشيعة ومرجعها الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء: إن الكتاب الموجود بين أيدي المسلمين، هو الكتاب الذي أنزله الله إليه (إلى نبيه) للإعجاز والتحدي ولتعليم الأحكام وتمييز الحلال من الحرام، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، على هذا إجماعهم (الشيعة الأمامية) ومن ذهب منهم أو من غيرهم من فِرق المسلمين إلى وجود نقص أو تحريف فهو مُخَطِّئٌ نص الكتاب العظيم (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[٢٣٥] والأخبار الواردة إلينا من طرقنا أو من طرقهم، الظاهرة في نقصه أو تحريفه، ضعيفة شاذة، وأخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً[٢٣٦].

ويقول الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه: مع الشيعة الإمامية:

لقد رووا (الشيعة) أن أئمتهم أمروهم أن يَعْرضوا ما يُنْقَلُ عنهم على القرآن فإن خالفه فهو كذب وافتراء وزخرف وباطل يجب ضربه في عرض الحائط ويستحيل أن تناله يد التحريف بالزيادة أو النقصان للآية ٩ من سورة الحجر (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، الآية ٤١ من سورة فُصّلت (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)[٢٣٧].

ويقول العلامة الشيعي الإثنا عشري أبو القاسم الموسوي الخوئي: والمعروف بين المسلمين عدم التحريف في القرآن، وأن الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الأعظم- صلى الله عليه وسلم-[٢٣٨].

ويقـــول الشيخ محمد جواد مغنية في موضع آخر من كتابه: مع الشيعة الإمامـــية: نَقَـــل السيد مُحْسِن الأمين في الجزء الأول من أعيان الشيعة والشيخ جـــواد البلاغي في الجزء الأول من: آلاء الرحمن، عن أئمة الشيعة، أن القائلين بالنقصان هم أفراد من شذاذ الشيعة والحَشَوية من السنة، لا يُعتَد بقولهم. إذن: نسبة التحريف إلى الشيعة كنسبة التحريف إلى السّنة كلتاهما لم تُبْنَ على أساس من الصحة[239].

٢- السنّة الشريفة

هي المصدر الثاني من مصادر التشريع عند السنة والشيعة، لم يختلف في ذلـــك مُسلمان لقوله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقـــوا الله)[240]، واتفاق الفريقين على هذا الأمر لا يحتاج إلى أدلة أو براهين، ولقـــد تَوهّم بعض أهل السنة، وأوحى إليهم بذلك كُتّاب منهم، أنهم وحدهم الذين يأخذون بالسّنة النبوية المطهرة، وأن الشيعة لا يعترفون بها، أو في أحسن الأحوال، لا يهتمون بها اهتمامهم بأقوال الأئمة، وهذا غير صحيح.

غـــير أن الشيعة يعتبرون أقوال الأئمة من آل البيت النبوي، جزءاً من السّـــنّة المشّـــرفة، لأن أقوالهـــم إما أن تكون أحاديث نبوية رووها، أو معاني لأحاديث صاغوا هم عباراتها، أو تفسيراً لأحاديث نبوية، أو بياناً لما غمض من الأحكـــام، اعتماداً على العلم الذي ورثوه عن جدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم.

أمـــا أهـــل السنة، فيعتبرون ما يقوله الأئمة كجعفر الصادق وموسى الكـــاظم ومثلهم محمد الباقر، هو كلام علماء ثقات أبرار، إذا صح عنهم، فله

اعتـــباره واحـــترامه ولكنه لا يرقى إلى مستوى الأحاديث النبوية من وجوب الأخذ به.

لقد توهم الكثيرون من عامة أهل السنة، كما ذكرت آنفاً، أن الشيعة لا يأخذون بالسنة النبوية المشرفة، وهذا وَهْم لا أساس لــه من الصحة واكتفي للتدلــيل على ذلك بقولين لعالمين شيعيين، أحدهما هو أعظم علمائهم القدماء، والـــثاني هـــو أعظم علمائهم وأجلّهم قدراً على مر العصور بعد الأئمة من آل البيت.

أمـــا العـــالم الأول فهـــو الكليني صاحب كتاب: الكافي في الأصول والفروع أما العالم الثاني فهو الإمام آية الله روح الله الخميني.

يقول الإمام الكليني في الكافي: يجب الرد إلى الكتاب والسنة. وإنه ليس شـــيء مـــن الحـــلال أو الحرام، وجميع ما يحتاج الناس إليه إلاّ وجاء في كتاب وسنة[٢٤١].

ويقـــول الإمـــام الخميني في الحكومة الإسلامية: القرآن الكريم والسنة الشـــريفة يحتويان على جميع الأحكام والأنظمة التي تُسعِد البَشَر وتنحو به نحو الكمال[٢٤٢].

شروط الراوي عند الفريقين

للسنة رواة وللشيعة أيضاً رواة، وهنالك أحاديث مشتركة بين الفريقين وأحاديث ينفرد بروايتها فريق دون الآخر.

يشترط الفريقان في الراوي شرطين: الإسلام والعدالة.

ذكر العالم اللبناني السني الدكتور صبحي الصالح أربعة شروط للراوي الثقة وهي: العقل والضبط والعدالة والإسلام.

ومـــن شـــروط العقل التمييز، فلا تُقبل رواية الصبي، ولكن تُقْبَل إذا أدّاها عند البلوغ.

أمـــا الضبط: فحُسْن سماع الرواية، وحفظها حفظاً كاملاً لا تردّد فيه، ومن شروط الضبط: قوة الذاكرة ودقة الملاحظة.

أما عدالة الراوي فمعناها استقامته التامّة في شؤون الدين، وسلامته من الفسق كله، وسلامته من خوارم المروءة[٢٤٣].

أخذُ كل فريق برواية الفريق الآخر

إذا اجتمعـــت في الـــراوي العدالة والإسلام، أخِذَ بروايته عند أغلب رجال الفريقين، ما عدا قلة من المتعصبين، سنة وشيعة، اشترطوا موافقة الراوي لمذهبهم.

فمن جانب أهل السنة، نقل الإمام أبو حامد الغزالي عن الإمام الشافعي أنـــه تُقْبَل شهادة أهل الأهواء إلاّ الخطابية، وهم أصحاب أبي الخطاب الأسدي الـــذي زعـــم أن الأئمـــة آلهة، وزعَمَ أنه من أتباع جعفر الصادق، فلما وقف الصـــادق على مقالته تبرّأ منه ولَعَنه، وأمر أصحابه بالبراءة منه وشدد القول في ذلك وبالغ في التبرّي منه واللعن عليه، فادعى أبو الخطاب الإمامة لنفسه[٢٤٤].

وقـــال الخُضَـــري في أصـــول الفقه: أما المبتدعون بِدَع غير مكفّرة، فأكثرهم- أكثر أهل السنة- على القول بقبول رواياتهم، وهو المعقول ما داموا لا يدينون بالكذب[٢٤٥].

وقال الفخر الرازي: تُقْبَلَ شهادة المخالف من أهل القبلة كالمجَسّمة، إذا لم يكن مذهبه جواز الكذب فإذا كان مذهبه جواز الكذب رددنا روايته.

وذهــب ابن جزّم الأندلسي -وهو من أشد الناس تعصباً ضد الشيعة- إلى القــول بجـواز رواية أصحاب الأهواء" والشيعة عنده من أهل الأهواء لأن هواهــم كــان مع علي بن أبي طالب دون بقية الخلفاء الراشدين"، وأصحاب الأهواء عنده مسلمون وهم مأجورون على ما دانوا به، إذا قصدوا بذلك وجه الله، ومــن اجتهد منهم فأخطأ فله أجر واحد، ومن اجتهد فأصاب فله أجران ولا نطعن في إيمانهم ولا في عدالتهم.

ويذهب الطوفي الحنبلي إلى أن المحدّث إذا كان ناقداً بصيراً في فنه، جاز لــه أن يـروي عن المبتدعة الذين بلغت بهم البدعة درجة الفسق كعباد بن يعقــوب وكــان شـيعياً غالياً وجرير بن عثمان وكان يبغض علياً رضي الله عنه[٢٤٦].

أمــا مــن جانب الشيعة، فلم يشترط أغلبهم أن يكون راوي الحديث شيعياً حتى يؤخذ بروايته، بل اشترط أن يكون ثقةً مأموناً.

قال العالم الشيعي القزويني: المهم أن تثق بصدق الراوي.

وورد في كتاب تنقيح المقال: ورد النص عن الإمام أن نأخذ برواية مَن خالفنا، دون ما رآه "دون الأخذ بقناعته المذهبية" إذا كان الراوي ثقة.

وكان الإمام الصادق يقول: خذوا ما رووا وذروا ما رأوا ثم قال الشيخ الأنصاري: والأخبار متواترة بالأخذ بخبر الثقة المأمون[٢٤٧].

أقسام الحديث عند السنة والشيعة

ينقسم الحديث عند السنة إلى قسمين رئيسين: متواتر وخبر آحاد.

فالمتواتر هو الذي روته جماعةعن جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب

أما خبر الآحاد فأقسامه:

١- الصحيح، وهو ما كان سنده متصلاً وكل سلسلة السند ثقات لا شك فيهم، وقد جُمعت الأحاديث الصحيحة عند أهل السنة في كتب سميت الصحاح وسوف أتحدث عنها بشيء من التفصيل بإذن الله.

٢- الحسَن، وهو ما كان في سلسلة سنده راوٍ خفيف الضبط، والفرق بينه وبين الصحيح أن رواة الصحيح كلهم تام الضبط، ويؤخذ بالحديث الحَسَن لأنه أقرب إلى الصحيح.

٣- الضعيف، وهو الحديث الذي لم تجتمع فيه صفات الصحيح ولا صفات الحسن لعلّة توجب الشك في صحته، كانقطاع سلسلة السند، ويسمى المنقطع، أو عدم ذكر الصحابي الذي روى عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ويسمى: المرسل، وأنواعه عديدة لا مجال لذكرها.

٤- الموضوع، وليس بحديث، وإنما هو الخبر الذي يختلقه الكذابون وينسبونه إلى رسول الله، صلى الله عليه وَسَلّم[٢٤٨].

أما أقسام الحديث عند الشيعة، فهو ينقسم إلى قسمين رئيسين تماماً كما هو عند السنّة: متواتر وآحاد

والآحاد عندهم أقسام هي:

١- الصحيح، وهو ما رواه إمامي ثبتت عدالته بالطريق الصحيح.

٢- الحَسَن: وهو ما رواه إمامي ممدوح لم ينص أحد على ذمه أو عدالته.

٣- الموثّق: وهو ما رواه مسلم غير شيعي، ولكنه ثقة أمين في النقل.

٤- الضعيف: وهو غير الأنواع المتقدمة.

وقد أوجب الشيعة العمل بالحديث الصحيح والحسن والموثّق لقوة السّند، والإعراض عن الحديث الضعيف لضعف السند[٢٤٩].

٥- الموضـــوع: وهو الذي نُسِبَ كذِباً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستدلون عليه بعلامات منها: أن يكون مخالفاً لنص القرآن الكريم، أو لمـــا ثبـــت في السنة النبوية، أو أن يكون مخالفاً للعقل، أو ركيكاً غير فصـــحيح، أو أن يكون إخباراً عن أمر هام تتوافر الدواعي لنقله، ومع ذلك لم ينقله إلاّ واحد أو أن يكون الراوي مناصراً للحاكم الجائر[٢٥٠].

الجرح والتعديل عند الفريقين

نشـــأ عـــند الفريقين علماء اهتموا بالبحث عن أحوال رواة الحديث، ووضـــعوا شروطاً لمن يصح أن يُروى عنه الحديث، وعرضوا هذه الشروط على الـــرواة، فمن اختل فيه شرط منها لم يقبلوا روايته، ومن اجتمعت فيه الشروط كلها من غير استثناء اعتبروه عدلاً وأخذوا بروايته.

اشـــترط عـــلماء السنة في الراوي أن يكون ثقةً، عدلاً، مأموناً، حسن الحفظ والانتباه بالإضافة إلى الشرط الأساسي وهو الإسلام.

واشترط الشيعة أن يجمع الراوي إلى هذه الصفات السالفة كلها، صفة حُسن المسلك السياسي، فلا يكون ممالئاً لحكام الجور، لذا رفضوا أحاديث أبي هريـــرة لأسباب منها أنه كان على علاقة طيبة بمعاوية في الشام وبولاة الدولة الأموية ورجالها في المدينة، ورفضوا روايات سمرة بن جندب لأنه كان من ولاة الدولـــة الأمويـــة وقـــد بطش بالشيعة والخوارج في طاعة هذه الدولة، وسيأتي تفصيل ذلك في الصفحات التالية بإذن الله.

يـــتفق الفـــريقان المسلمان على تقسيم الأحاديث النبوية الشريفة إلى متواتر وصحيح وضعيف وموضوع.

وألف علماء من الفريقين كتباً في أحوال الرواة لتمييز الثقة من غير الثقة منهم، ويسمى هذا العلم علم الجرح والتعديل.

والجرح هو اثبات سلبيات أو عيوب في الراوي تستدعي عدم الأخذ بروايته.

والتعديل هو اثبات العدالة التامة للراوي مما يجعل روايته أهلاً لأن تُصدّق. وعند أهل السنة كُتبٌ في أحوال الرواة بعضها حواشي لأمهّات الكتب الإسلامية وبعضها مستقل.

ومن النوع الأول حاشية أبي الفضل العراقي لكتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي وعنوانها: المُغني عن حمل الأسفار في الأُسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار؟

ومن الكتب المستقلة في الجرح والتعديل: تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني والجرح والتعديل لعبد الرحمن الحنظلي الرازي، وميزان الاعتدال في نقد الرجال للحافظ الذهبي.

ومن الكتب ما اعتنى بالتعليق على الأحاديث النبوية، لبيان درجة كل حديث منها مثل: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني.

وعلم الجرح والتعديل موجود عند الشيعة أيضاً، وغير صحيح ما يتوهمه كثيرون من أن الشيعة لا يَشكّون في أي حديث وارد في كتب الصحاح عندهم وإنما يشكون في صحة الأحاديث الواردة في كتب السنة.

إنهم يشكون في كثير من رواياتهم، ويجرّحون كثيراً من رواتهم.

وأول من تكلم في الجرح والتعديل عندهم الكِشّي الذي ألّف كتاباً في أحوال الرواة سماه: اختيار معرفة الرجال، ويسمى (رجال الكشي) وذلك سنة ٤٠٠ هـ تقريبا.

ثم تكلم الغضائري والنجاشي وأبو جعفر الطوسي في الجرح والتعديل وألفوا فيها كتباً طوالاً[251] ومنها كتاب: ثقات الرواة لآغا حسين الموسوي.

ومن الكتب المطبوعة في نقد الحديث عند الشيعة كتاب: البداية في علم الدراية للشيخ زين العابدين بن علي العاملي، وكتاب: الوجيز للشيخ البهائي العاملي إلى غير ذلك من الكتب[252].

لقد دأب بعض كتاب السنة الذين كتبوا عن الشيعة بأسلوب غير ودود أن يصفوا كتاب الكافي للكليني، بأنه عند الشيعة كصحيح البخاري عندنا، كلما استشهدوا برواية من رواياته التي يرفضها أهل السنة.

والصحيح أنه لا الكافي ولا غيره ولا صحيح البخاري ولا غيره، من صحاح السنة، بمنأى عن النقد عند الشيعة، بالرغم مما للكافي من أهمية عظيمة عندهم، خاصة عند القدماء من علماء الشيعة.

إن أكثر من نصف أخبار الكافي يعده الشيعة، ضعيفاً كما سيرد عند الحديث عن الكتاب.

وقد نبه أئمة الشيعة وعلماؤهم إلى كذب كثير من رواتهم، كزرارة بن أعين وأخيه حمران بن أعين ومحمد بن مسلم وأبي بصير وغيرهم[253].

قال المحقق القمي في الجزء الثاني من كتاب القوانين، صفحة ٢٢٢ والمطبوع سنة ١٣١٩ هجرية: إن دعوى قطعيّة أخبارنا- أي: القطع بصحتها دون جدال، من أغرب الدعاوى، مع أن في الأخبار الموجودة في كتبنا ما يدل على أن الكذّابة والقالة قد لعبت أيديهم بكتب أصحابنا وأنهم كانوا يدُسّون فيها[254].

لقد اتهم الأئمة كثيراً من رواتهم بالكذب، وورد في كتاب الرسائل للشيخ الأنصاري الذي هو عمدة التدريس في النجف، أن الإمام الصادق قال:

نحـن أهـل البيت صدّيقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا، كأن الله افترضه عليهم لا يريد منهم غيره.

وفي نهج البلاغة: ذكر الإمام رواة الحديث وفي طليعتهم المنافق الذي لا يتأثم ولا يتحرج من الكذب على رسول الله متعمداً[٢٥٥].

وأفضـل الكتب عند الشيعة كتاب الكافي في الأصول والفروع للإمام الكليني، وكان قدماء الشيعة، قبل أن ينشأ عندهم علم الجرح والتعديل، يثقون بكـل ما ورد فيه، وهذه هي النظرة القدمائية إلى الكتاب، وبعد نشوء الجرح والـتعديل، الـذي جعلهم يتعرفون إلى رواة الحديث عندهم، فيميزن بين الثقة مـنهم والمطعون في عدالته، ضعّفوا ثلثي أحاديث الكافي، حتى أن الشيخ محمد جـواد مغنـية، مرجع الشيعة في لبنان، في مقالة لـه بعنوان: العمل بالحديث وشـروطه يقـول: رجعت إلى أصول الكافي، وعددت ثلاثين حديثاً من أوله فوجـدت منها ثلاثة عشر حديثاً ضعيفاً، وثمانية أحاديث مرسلة "سلسلة السند غير متصلة" وحديثين راويهما مجهول، والسبعة الباقية من الثلاثين، بين صحيح "رواتـه شيعة ثقات" وموثّق "رواته سنّة ثقات"، فلم تبلغ الأحاديث الصحيحة إذن، ثلـث أحاديث الكتاب، بل إنها حَسَبَ إحصائية الشيخ الشيعي أقل من ربـعُ الأحاديث التي أخضعها للبحث. ويضيف الشيخ محمد جواد مغنية: وعند الشـيعة أربعـة كتب للمحمدين الثلاثة: محمد الكليني ومحمد الصدوق ومحمد الطوسـي، وهذه الكتب هي: الاستبصار، وبعض ملا يحضره الفقيه، والكافي والتهذيب، وهذه أصح الكتب عند الشيعة، ومع ذلك قال فيها الشيخ كاشف الغطـاء في كـتابه (كشف الغطاء) صفحة ٤٠: المحمدون الثلاثة، رضوان الله علـيهم، كـيف يعَـوّل في تحصيل العلم عليهم وبعضهم يكذّب رواية بعض بتكذيب الرواة، وما استندوا إليه في أوائل الكتب الأربعة، من أنهم لا يروون إلاّ

ما هو حجة بينهم وبين الله، وما يكون في القسم المعلوم دون المظنون، فبناءً عليه لا يقتضي حصوله العلم بالنسبة إلينا، لأن علمهم لا يؤثر في علمنا.

ويعلق الشيخ محمد جواد مغنية قائلاً: إذا كان هذه الكتب الأربعة لا يعوّل عليها إلاّ بعد نقدها حديثاً حديثاً، وفحصها دلالة وسنداً، فكيف يُنْسب إلى الشيعة ما لم يؤمن به الكل أو الجُل[٢٥٦].

كتب الصحاح عند السنة والشيعة

عند السنة ستة كتب صحاح وهي مراجعهم في الحديث، إذ يثقون بالأحاديث الواردة فيها، لأن مؤلفيها رحمهم الله كانوا مؤمنين ثقات عدولاً ولقد بذلوا كل جهد ممكن في اختيارهم الأحاديث التي تضمنتها كتبهم.

وعند الشيعة ثمانية كتب صحاح يحترمونها ويجلون مؤلفيها.

صحاح أهل السنة:

١. صحيح الإمام محمد بن اسماعيل البخاري المولود سنة ١٩٤هـ والمتوفى سنة ٢٥٦هـ. حكي عنه أنه عمل في تصنيف الكتاب ستّ عشرة سنة وخرَجه من ستمائة ألف حديث.

يقول الإمام البخاري: وجعلته فيما بيني وبين الله، وما وضعت في كتابي حديثاً إلاّ اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.

وعدد أحاديث صحيح البخاري ٧٣٩٧ (سبعة وتسعون وثلاثمائة وسبعة آلاف). والخالص منها بلا تكرير ٢٦٠٠ (ألفان وستمائة حديث) وفيه من المتون المعلقة المرفوعة مائة وخمسون حديثاً[٢٥٧] ويعدها بعض العلماء ضعيفة. ويقول آخرون: هي صحيحة إن كان بقية السند فيها من الثقات.

٢. صحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ، وعدة أحاديثه بلا تكرار أربعة آلاف حديث، ومع المكرر: ٧٢٧٥ حديثاً (خمسة وسبعون ومائتنا وسبعة آلاف حديث) كما ورد في كشف الظنون لحاجي خليفة.

٣. صحيح أبي داود السجستاني، سليمان بن أشعث المولود سنة ٢٠٢هـ والمتوفى سنة ٢٧٥هـ، وهو المشهور بالسنن، وعدد أحاديثه كما قال هو نفسه: أربعة آلاف وثمانية أحاديث صحيحة. ونقل عنه ابن خلكان قوله: كتبت عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ستمائة ألف حديث انتخبت منها كتاب السنن.

٤. صحيح محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩هـ. وهو تلميذ البخاري قال عنه ابن خلكان: تصنيف متقن، به يضرب المثل.

٥. صحيح أحمد النسائي المتوفى سنة ٢٣٣ هـ.

٦. صحيح محمد بن يزيد بن ماجة الربعي القزويني المولود سنة ٢٠٩هـ والمتوفى سنة ٢٧٣. وقال ابن خلكان: كان ابن ماجة إماماً في الحديث، عارفاً بعلومه ارتحل إلى البصرة والكوفة وبغداد ومكة والشام ومصر والري ليكتب الحديث[٢٥٨].

الصحاح الثمانية عند الشيعة:

١- الكافي في الأصول والفروع والأخلاق وأحوال الأنبياء والأئمة والسماء والعالم، لمحمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٩هـ. قيل: إنه ألف كتابه في عشرين سنة.

تحدث الكافي عن أربعة آلاف مسألة من الأصول وأخذها من أربعمائة مصـنّف تبحث في الأصول، وكانت هذه المؤلفات كلها موجودة في عصر الكليني.

ومـرجع العـلم في هذه الأصول هو الإمام جعفر الصادق، رضي الله عـنه، صاحب العلم الغزير، الذي تلقاه عن آبائه الكرام، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

بلغ الثقات من رواته أربعة آلاف راوٍ، اعتنى العالم الشيعي الحافظ ابن عقدة[٢٥٩] بتدوينهم في كتاب.

أمـا عـدد أحاديثه فهي ستة عشر ألفاً ومائة وتسعون حديثاً، وكلها صـحيح باصـطلاح القدماء، أما في اصطلاح المتأخرين الذين اعتنوا بتنويع الحديث فقد قسموا أحاديثه على النحو التالي:

أ. الصـحيح: وهـو ما كان سلسلة سنده إماميين عدولاً كلهم، وعدده ٥٠٧٢ حديثاً.

ب. الموثّق، وهو ما كان سلسلة سنده كلهم أو بعضهم مسلماً غير شـيعي ولكـنه ثقة، وعدد أحاديثة ١١١٨ حديثاً (ثمانية عشر ومائة وألف حديث).

ج. القوي أو الحسن، وهو الحديث الذي رواه إمامي، لم ينص أحدٌ على ذمة أو عدالته، وعدد أحاديث الكافي من هذا النوع ٣٠٢ حديثاً (ثلاثمائة وحديثان).

أما بقية أحاديثه وعددها ٩٤٨٥ حديثاً (تسعة آلاف وأربعمائه وخمسة وثمـــانون) فصحيحة عند القدماء الذين لم يتبعوا طرق الجرح والتعديل وضعيفة عند العلماء المحدثين.

وممن تناول أحاديث الكافي العلاّمة الشيعي المجلسي في شرحه للكتاب، وبلغت الأحاديث التي وهّنها المجلسي الآلاف[٢٦٠].

٢- كتاب من لا يحضره الفقيه، للشيخ محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المشهور بالصدوق والمتوفى سنة ٣٨١هـــ.

٣،٤- كـــتابا التهذيب والاستبصار لمؤلفهما شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحســـن بن علي الطوسي المولود سنة ٣٨٥ والمتوفى بالنجف في المحّرم سنة ٤٦٠ هجرية.

٥- الـــوافي في الجمـــع بين هذه الكتب الأربعة لمحمد بن المرتضى المعروف بمحسن الكاشاني المتوفى سنة ١٠٩١هـــ.

٦- بحار الأنوار للعلامة محمد باقر المجلسي المتوفى سنة ١١١٠هـــ.

٧- الوسائل للمحدث محمد بن الحسن العاملي.

٨- مستدركات الوسائل في ثلاثة مجلدات كبرى مطبوعة للمحدث العلامة محمد الحسين النوري[٢٦١].

الرواة الشيعة في كتب أهل السنة

أجـــاز غالبية أهل السنة رواية الراوي الشيعي إذا كان ثقةً، كما أجاز غالبـــية الشيعة رواية السني إذا كان ثقةً، وقد تناول هذا الموضوع العالم الشيعي عـــبد الحسين شرف الدين الموسوي في كتابه: المراجعات، فذكر مائة من رواة الشـــيعة ممـــن روى عنهم أهل السنة في صحاحهم، ورأيت أن اختار بعضهم فأقدمه للقارئ كما ورد في نص المراجعات.

١- إبـــان بن تغلب. قال عنه الذهبي[٢٦٢]. شيعي جلد، وقال عنه السعدي زائـــغ مجاهـــر، ولكـــن عدّه الذهبي ممن احتج بهم مسلم في صحيحه وأصحاب السنن الأربعة، أبو داود والترمذي وابن ماجة والنسائي[٢٦٣].

٢- جابر بن يزيد: قال عنه الذهبي في ميزانه: انه أحد علماء الشيعة. روى لـــه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة و النسائي[٢٦٤].

٣- الحـــارث بـــن عـــبد الله الهمذاني، صاحب أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، قال عنه الذهبي في الميزان: كان الحارث من أوعية العلم[٢٦٥].

٤- الحسن بن حيّ، احتج به مسلم وأصحاب السنن[٢٦٦].

٥- خـــالد بـــن مخلد القطواني. ذكره أبو داود فقال: صدوق لكنه يتشيّع وقـــال عنه الجوزجاني: كان شتّاماً معلناً بسوء مذهبه. ولقد احتج به البخاري ومسلم في صحيحيهما[٢٦٧].

٦- ســـعيد بن أشوع، قال عند الذهبي: صدوق مشهور. وقال النسائي: ليس به بأس. وقال الجوزجاني: غالٍ، زائغ، زائد التشيع[٢٦٨].

٧- ســـليمان بـــن قرم الضبي الكوفي. ذكره الذهبي في الميزان وقال: كان رافضـــياً غالياً، ومع ذلك فقد وثقه أحمد بن حنبل، وقد أخرج حديثه كلٌّ من مسلم والنسائي والترمذي وأبو داود في صحاحهم[٢٦٩].

٨- سليمان بن مهران الأعمش. قال الجوزجاني: كان في أهل الكوفة قوم لا يحمد الناس مذاهبهم واحتملهم الناس لصدق ألسنتهم في الحديث ومنهم الأعمش. ورد حديثه في صحيحي البخاري ومسلم[٢٧٠].

٩- طاووس بن كيسان الخولاني الهمذاني اليماني. نص على تشيعه كل من الشهرستاني في الملل والنحل، وابن قتيبه في المعارف. احتج به أصحاب الصحاح الستة وغيرهم. توفي في الحج سنة ١٠٤ أو ١٠٦ هـ[٢٧١].

١٠- يزيد بن أبي زياد الكوفي. كان من كبار الشيعة، ذمه أهل الجرح والتعديل من السنة ذماً كثيراً، ومع ذلك روى له مسلم وأصحاب السنن الأربعة[٢٧٢].

الرواة السنة في كتب الشيعة

يروي أغلب الشيعة أحاديث أهل السنة، شريطة أن يكون الراوي ثقة عندهم.

وأهم دواعي الثقة فيه الاّ يكون من أنصار أهل الجور والطغيان، أعداء أمير المؤمنين عليّ، الذين حاربوه متمردين على سلطته، وكانوا يلعنونه على المنابر وفي أعاقيب الصلوات.

يقول الخطيب القزويني الشيعي: المهم أن تثق بصدق الراوي.

ويسمون الحديث الذي رواه الثقات من غير الشيعة، الموثّق.

وفي كتاب الكافي للكليني وهو أعظم كتب الأحاديث عندهم، ألف ومائة وثمانية عشر حديثاً من هذا النوع[٢٧٣]، ولقد أسلفت الحديث في هذا كله.

موقف الشيعة من بعض صحاح السنة ورواتهم

صحيح البخاري ومسلم عند أهل السنة من أوثق الكتب، بل هما أوثقها جميعاً بعد القرآن الكريم ويخطِّئون من شك في صحة حديث وارد في أحدهما، ولا يرون أية حجة لمن شك في حديث اتفق عليه الشيخان، وذلك لأن الشيخين مسلم والبخاري يتمتعان بثقة أهل السنة واحترامهما لما عرف عنها من صلاح وتقوى ومن تجرد في رواية الأحاديث، مع العناية الفائقة في اختيار ما أثبتاه من أحاديث في صحيحيهما، من بيت آلافٍ مؤلفة من الأحاديث، هذا مع ما عرف عنهما من الذكاء اللماع والحافظة العجيبة والضبط التام.

ولا يضعِّف أهل السنة شيئاً من أحاديث الصحيحين إلاّ ذلك العدد القليل من الأحاديث المعلّقة مع أن بعضهم لا يعد الحديث المعلّق ضعيفاً إذا كانت سلسلة السند ثقات كلهم.

أما الشيعة، فكل كتاب فيه مدح لأيٍّ من أعداء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كرّم الله وجهه، فالهم ينفرون منه، ويشكون فيه، فهم ويرفضون كل رواية فيها مدح لمعاوية أو يزيد أو مروان بن الحكم أو أبي سفيان أو عمرو بن العاص وأمثالهم، وهذا ما جعل موقفهم من الصحيحن ومن بعض كتب السنة، يتسم بالحذر وضعف الثقة.

فمما يثير حفيظه كل شيعي مثلاً ما ورد في صحيح البخاري أن المهلب كان يقول بثبوت خلافة يزيد وأنه من أهل الجنة.

ومما يثير حفيظتهم ما ورد في مقدمة ابن خلدون، أن القاضي أبا بكر بن العربي ذكر في كتابه: العواصم ما معناه أن الحسين، عليه السلام، قُتِل بشرع جده.

وقول ابن تيمية في رسائله الكبرى: إن يزيد كان مَن أولياء الله.

وقال الغزالي صاحب كتاب: إحياء علوم الدين، ما يناسب هذا القول في يزيد[274].

ويــرفض الشيعة الأخذ بروايات الرواة الذين كانوا على علاقة وثيقة برجال الدولة الأموية، لأنهم لا يثقون بأنصار حكام الجور.

يقــول الإمــام الخميني في الحكومة الإسلامية: لعل راوياً كَسَمُرَةَ بنِ جُنْدُب يفتري أحاديث تمس في كرامة أمير المؤمنين علي، ولعل راوياً لا يمتنع أن يروي آلاف الأحاديث في فضل الحكام الجائرين وحسن سلوكهم، مثل هؤلاء الرواة، لا عدالة لهم[275].

ويقــول العالم الشيعي محمد الحسين آل الكاشف الغطاء: أما ما يرويه مــثل أبي هريــرة وسَــمُرَة بن جندب ومروان بن الحكم، وعمران بن حطان الخــارجي، وعمــرو بــن العاص، فليس له عند الاماميين من الاعتبار مقدار بعوضه[276].

أضواء على هؤلاء الرواة المرفوضين عند الشيعة:

أبو هريرة

هــو عبد الرحمن بن صخر الدوسي وقد اختلف الرواة في حقيقة اسمه أشــد الاختلاف كّني بأبي هريرة لهرّةٍ صغيرة لازمته، قدم إلى المدينة وأسلم في السنة السابعة للهجرة بينما كان رسول الله بخيبر، ولازم رسول الله في الغزوات وفي الحج والعمرة.

هــو عند السنة ثقة ثبت عرف بالفضل والتقوى والورع. قال فيه عبد الله بن عمر: أبو هريرة ، خير مني وأعلمُ بما يُحَدِّث[277].

كان عاملاً على البحرين في عهد عُمر بن الخطاب ثم عزله عمر، يروى أن علياً أراد أن يوليه أثناء خلافته، فأبى عليه، ثم ولاه معاوية إمارة المدينة.

أنكــر عليه عمر، كثرة رواياته عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال لــه: لتتركنّ الحديث أو لألحقنك بأرض دوس، فروى لــه أبو هريرة قول رســول الله، صــلى الله عليه وسلم: من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من الــنار، فعــلم أن أبا هريرة لا يمكنه إلاّ أن يتحرى الصواب في رواياته ما دام يعرف مبلغ خطورة الكذب على رسول الله، فأقرّه على الرواية وقال لــه: أما إذن، فاذهب وحدّث.

أخرج لــه تقي بن مخلد في مسنده (٥٣٧٤) حديثاً[٢٧٨].

يقــول العــالم السني اللبناني الدكتور صبحي الصالح، رحمه الله: وقد لاحــظ شعبه بن الحجاج أن أبا هريرة يروي عن كعب الأحبار، ويروي عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم ولا يميز بين روايتيه فرماه بالتدليس، ودافع عنه بشــير بــن سعيد بقوله: إن الذين رووا عن أبي هريرة هم الذين كانوا يجعلون حديــث رسول الله عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله، فالتّبعة عليهم وليست على أبي هريرة[٢٧٩].

روى أبو هريرة عن النبي مباشرة، كما روى الأحاديث النبوية الشريفة عــن طــريق أبي بكــر وعمر وعثمان وأبي بن كعب وأسامة بن زيد وعائشة وسواهم من الصحابة، وروى عنه الحديث ثمانمائة رجل بين صحابي وتابعي[٢٨٠].

يــبدو أن أبا هريرة لم يكن على علاقة وثيقة بعلي بن أبي طالب منذ البداية، فلم يروِ عنه ولم يوافق على العمل لــه، وعمل لمعاوية، وكان كثيراً ما يذهب إلى الشام ويقيم فيها مقرَباً من معاوية.

توفي أبو هريرة سنة ٥٧ أو ٥٨ أو ٥٩، وصلّى عليه الوليد بن عقبة بن أبي سفيان: وكتب الوليد إلى معاوية يخبره بموته فكتب إليه: أنظر من ترك فادفع إلى ورثته عشرة آلاف درهم وأحسن جوارهم، فإنه كان ممن نصر عثمان يوم الدار[٢٨١].

أخذ عليه الشيعة مناوأته لأمير المؤمنين علي وممالأته لحكام بني أمية، وأخذوا عليه كثرة أحاديثه عن رسول الله مع قصر صحبته له والتي لم تبلغ ثلاث سنوات، مما يلقي شكوكاً حول أمانته.

وليس الشيعة وحدهم من شك في رواياته، فإننا نجد في كتب أهل السنّة أن بعض الصحابة كذّبه صراحة وبعضهم ساورته الشكوك حول صدقه.

جاء في كتاب (دفاع عن أبي هريرة لعبد المنعم العزي ص١١٧): عن عروة بن الزبير، قال لي أبي الزبير: أدنني من هذا اليماني ـ يعني أبا هريرة ـ فإنه يكثر الحديث عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأدنيته منه، فجعل أبو هريرة يحدِّث وجعل الزبير يقول: صَدَق، كَذَب، فقلت: يا أبتِ، ما قولك: صَدق، كَذب؟فقال: يا بني، أمّا أن يكون سمع هذه الأحاديث عن رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، فلا أشك فيه، ولكن، منها ما يضعه على مواضعه ومنها ما يضعه على غير مواضعه.

ودافع العزي عنه أمام تهمة التدليس التي وجهها البعض إليه وسببها أنه روى أحاديث لم يسمعها من رسول الله و لم يذكر ممن سمعها (وبعضها يرجع إلى ما قبل إسلام أبي هريرة)، ويروي العزي، مؤلف كتاب الدفاع عن أبي هريرة تعريفاً للتدليس أنه نسبة الرواية إلى غير راويها، أما أن يروي صحابي عن صحابي حديثا عن رسول الله دون أن يذكر اسم الصحابي الذي روى عنه

فليس تدليساً ؛ (لأن الصحابة رضي الله عنهم كلهم سادة قادة عدول ونـنـزه اقدارهم أن يلزق بهم الوهن).

ومهما يكن من دفاع المدافعين فالحقيقة أنه كثرت التساؤلات في حياة أبي هريـرة عن أمانته، ومثلما ساورت الشكوك أمير المؤمنين عمر، ساورت أم المؤمـنين عائشة، فقالت لـه: يا أبا هريرة، ما هذه الأحاديث التي تبلغنا أنك تحـدث بها عن رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، هل سمعت إلا ما سمعنا؟ وهل رأيت إلا ما رأينا؟ فأجابها أبو هريرة: يا أماه، إنه كان يشغلك عن رسول الله، صـلى الله عليه وسلم، المرآة والمكحلة والتصنع لرسول الله، وإني والله ما كان يشغلني عنه شيء.

وقـد وجد أبو هريرة نفسه- وفق مصادر أهل السنّة- مضطرا إلى الدفاع عن نفسه، لينفي عنها تهمة التدليس والكذب ولتبرير كثرة أحاديثه التي رواها عن رسول الله على الرغم من قِصَر مدّة الصُّحبة ؛ فيقول: إني لا أعرف أحـداً من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، أن يكون أحفظ لحديث رسول الله مني.

ويقول:(ما من أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، أحد أكثر حديثاً عنه مني، إلا أن يكون عبدالله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب).

ويقـول ـ في موقـف آخر: (يقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث، ويقولـون: مـا للمهاجرين والأنصار لا يحدّثون مثل أحاديثه؟ وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمـل أموالهم، وإني كنت امرأً مسكينا، ألزم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون وأعي حين ينسون).

وورد في صحيح مسلم، عن أبي رزين تلميذ أبي هريرة: (خرج علينا أبـــو هريرة، فضرب بيده على جبهته وقال: ألا إنكم تحدّثون أني أكذب على رســـول الله ن صـــلى الله عليه وسلم، لتهتدوا وأضل، ألا وإني أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول...شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه).

سَمُرَة بن جندب[282]

هو سَمُرة بن جندب بن هلال الفزاري ويكنّى أبا سليمان.

قدمت به أمه المدينة بعد موت أبيه، فتزوجها رجل من الأنصار، فنشأ سَمُرَةُ في المدينة، وكان على عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم صبياً.

روى عبد الله بن بريدة عن سَمُرة: كنت غلاماً على عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فكنت أحفظ عنه[283].

تقدم هو وصبي من الأنصار ليشاركا في بعض بعوث رسول الله، فاذن للصبي ولم يأذن لسمرة فقال له سمرة: أذنت له ومنعتني، ولو صارعته لصرعته. فقال له رسول الله: صارعه، فصارعه فصرع سَمُرة، فاذن له رسول الله.

مـــن جانـــب أهـــل السنّة: قال عنه ابن حجر العسقلاني: نزل سمرة بالبصـــرة، وكان زياد يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة، وكان شديداً على الخوارج، وكانوا يطعنون عليه، وكان الحسن وابن سيرين يثنيان عليه.

روى عنه أبو رجاء العطاردي والشعبي وابن أبي ليلى، وآخرون ومات سمرة قبل سنة ستين.

ورد في مصـــادر أهل السنة أن سَمُرة بن جندب سقط في قدر مملوءة مـــاءً حاراً فكان ذلك تصديقاً لقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، له ولأبي هريرة ولابن محذورة: آخركم موتاً في النار[284].

وسمرة بن جندب عند الشيعة ليس صحابياً، لأنه كان صغيراً على عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهذا المبرر يوافق عليه بعض أهل السنة "إذ يشترط بعض علماء السنة كي يُعَدّ الرجل صحابياً أن يكون قد بلغ الحُلُم في عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم[٢٨٥].

كان سمرة والياً لمعاوية على البصرة زمن زياد، وبعد وفاة زياد، أمّره معاوية ثمانية عشر شهراً وقيل ستة أشهر، ثم عزلَه، ويروي عنه ابن الأثير أنه قال عند عزله: لعن الله معاوية لو أطعت الله كما أطعته ما عذّبني أبداً[٢٨٦].

وجاء رجل إلى سمرة، فأدى زكاة ماله، ثم دخل المسجد فصلى، فأمر سمرة بقتله فقُتِل فمرّ به أبو بكرة فقال: يقول الله تعالى: قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى[٢٨٧].

قال ابن الأثير: وما مات سمرة حتى أخذته الرعدة فمات شر ميتة[٢٨٨].

ومما يستدل به الشيعة على سوء مسلك سمرة ما أورده الطبري "السني" في تاريخه الكبير عن أحداث سنة خمسين بالإسناد إلى محمد بن سليم قال: سألت ابن سيرين: هل كان سمرة قتل أحداً؟

فقال: وهل يحصى من قتلهم سمرة؟

وروى الطبري خبراً مسنداً إلى أبي سوار العدوي قال: قَتَل سمرة بن جندب من قومي سبعة وأربعين رجلاً كلهم قد حفظ القرآن[٢٨٩].

وورد في كتب الشيعة، كما أورد الطبري (السني) أن سمرة بن جندب قتَل من قبيلة همذان، ثمانية آلاف، ليس لهم ذنب الاّ التشيع، وسئل سمرة: الا تخشى أن يكون بين هؤلاء بريء؟ فقال: لو قتلت ضعف هذا العدد ما خشيت شيئاً[٢٩٠].

ويروي الشيعة أن سمرة بن جندب وقف على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد أن الله أنزل في عليّ بن أبي طالب قوله تعالى: (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد)[٢٩١]. صدق الله العظيم.

مع أن الآية الكريمة نزلت في المنافق الأخنس بن شُرَيْق

وشهد سمرة أن الله أنزل في عبد الرحمن بن ملجم المرادي، قاتل أمير المؤمنين، قوله تعالى: (ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله، والله رؤوف بالعباد)[٢٩٢].

مع أنها نزلت في صهيب بن سنان الرومي[٢٩٣]، لكن مصادر أهل السنة ترى أن الذي جاء بهذه الفرية العظيمة، انما هو عمران بن حطان الخارجي[٢٩٤].

مروان بن الحكم

هو من بني أمية، صار خليفة بعد اعتزال معاوية بن يزيد بن معاوية.

كان ملازماً لعثمان مدة خلافته، كان أمين سره اتهمه أهل مصر بأنه كان وراء مؤامرة الكتاب الذي كُتب على لسان أمير المؤمنين عثمان، وأُرسل إلى عبد الله ابن أبي السرح في مصر، وفيه أمرٌ لابن السرح أن يقتل محمداً بن أبي بكر والوفد المصري الذي ذهب إلى المدينة مطالباً بعزل ابن أبي السرح.

طلب الثوار من عثمان أن يسلمهم مروان بن الحكم فأبى، فدخلوا عليه الدار وقتلوه ونجا مروان.

كان مروان من عوامل الفتنة في زمن عثمان، ولم يكن محبباً إلى المسلمين ولا موضع ثقتهم.

بايعه بنو أمية بالخلافة عندما لم يجدوا خليفة في الشام بعد الاعتزال المفاجئ لمعاوية الثاني، واشترطوا أن تكون الخلافة من بعده لخالد بن يزيد ثم لعمرو بن سعيد بن العاص، فنكث مروان العهد وجعلها لولديه عبد الملك وعبد العزيز. وكان قد تزوج أم خالد بن يزيد، فشكى خالد لأمه أن مروان يهينه في المجلس دائماً ويسخر منه. كان يقول له: أنت لا في العير ولا في النفير، فيجيبه خالد: أيقال لي هذا وجدي أبو سفيان صاحب العير، وجدي عتبة صاحب النفير؟

ثم إن أم خالد أرادت أن تنتقم من مروان، فوضعت له مخدة على وجهه وهو نائم لم ترفعها عنه حتى مات[٢٩٥].

كان مروان في جيش عائشة في معركة الجمل، وهو المتهم الأول بقتل طلحة عندما رآه يهم بترك المعركة، على أثر ترك الزبير لها، رماه بسهم أصابه برجله، فظل طلحة ينزف دماً حتى مات[٢٩٦].

عمران بن حطان

- هو من الخوارج، وكان شاعراً مجيداً، ومن المعروف أن الخوارج ناصبوا أمير المؤمنين العداء، فلا يثق المسلمون شيعة وسنة، برواياتهم، ولاسيما عمران بن حطان الذي كان لسان حالهم.

قال عمران بن حطان، يمدح عدو الله بن عبد الرحمن بن ملجم المرادي قاتل أمير المؤمنين:

يا ضربةً من مُنيب ما أراد بها ... إلاّ ليَبلُغ من ذي العرش رِضوانا

إني لأذكره يوماً فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا[٢٩٧]

عمرو بن العاص

هو صديق معاوية وساعده الأيمن وواليه على مصر بقية حياته.أسلم عمرو بن العاص في السنة الثامنة للهجرة، بعد أن نَيفَ على الخمسين، وهو الذي فتح مصر زمن عمر بن الخطاب وظل والياً عليها مدة خلافة عمر وشطراً من خلافة عثمان، ثم عزله عثمان وولى مكانه عبد الله بن أبي السرح.

انضم عمرو إلى معاوية في الفتنة التي وقعت بينه وبين عليّ، وكان المحكّم من قبل معاوية على إثر معركة صفين.

تذهب رواية إلى أن عمراً خدع أبا موسى الأشعري وبعد أن أعلن أبو موسى أنه اتفق وعمراً على خلع علي ومعاوية كي يستقبل المسلمون أمرهم ويولوا عليهم من يشاؤون، وقف عمرو ابن العاص فأعلن أنه يخلع علياً من الأمر ويثبت معاوية، وشعر أبو موسى بالخديعة فقال لعمرو: إنما مثلك يا عمرو كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث. فقال له عمرو: إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا[٢٩٨].

إلا أن روايات أخرى تنفي أن يكون قد حصل في التحكيم أية خديعة، وتقول: إن عمراً عزل معاوية كما عزل أبو موسى علياً، وأنهما تركا أمر الخلافة لكبار الصحابة، يُبتّون فيه، وأقرا معاوية وعلياً، كلاً على ما تحت طاعته من البلاد[٢٩٩].

لكن الرواية الأولى أشهر، ويقويها سير الأحداث بعد التحكيم، فقد بذل معاوية كل جهد ممكن لتقوية أركان ملكه وتقوية جيشه وصار يشن الغارات على العراق حتى بلغت خيله الأنبار قرب الكوفة وقتلت حسان بن حسان البكري والي عليّ على الأنبار ونهبت وعادت إلى الشام، ثم أن التحالف بين عمرو ومعاوية ظل أكيداً وقوياً، وبرز في صورة ولاية عمرو بن العاص

على مصر تلك الولاية التي ظل يتشوق إليها منذ عزله عنها عثمان وولى مكانه عبد الله بن أبي السرح وهو أخو عثمان في الرضاعة. وتذهب كثير من الروايات إلى أن ولاية مصر كانت شرطاً لعمرو بن العاص على معاوية مقابل نصرته له.

حديث أصحابي كالنجوم

أيجوز لمسلم أن يرفض رواية صحابي؟

أيجوز للشيعة أن يشكّوا في روايات أبيّ هريرة أو سمرة بن جندب؟

أم أن كل مسلم ملزم بقبول كل رواية عن أي صحابي، ويأثم إذا رفضها؟

أما أهل السنة فيعتبرون إجلال كل صحابي فرضاً لازماً على كل مسلم لأن تعظيمهم هو تعظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

لا يجيز أهل السنة أن نفتش عن عيوب أو أخطاء عند الصحابة أو أن ندس أنوفنا فيما كان ينشأ بينهم من خلاف سواء ما اتخذ منه طابعاً جدلياً أو ما وصل إلى حد الاقتتال.

أما من هو الصحابي فبعض أهل السنة يعدون من الصحابة كل من لقي رسول الله مؤمناً به فمات على الإسلام، طالت مجالسته له أم قصرت[300].

ويشترط بعض أهل السنة شروطاً فيمن يستحق هذا اللقب، فيقولون: لا يعد صحابياً إلاّ من وصف بأحد أوصاف أربعة: من طالت مجالسته أو حفظت روايته أو ضبط أنه غزا معه أو استشهد بين يديه.

واشترط بعضهم بلوغ الحلم والمجالسة وإن قصرت.

اشـــتهر حديـــث منسوب إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، اتخذه بعضهم سلاحاً ضد الشيعة الذين يرفضون روايات بعض الصحابة كأبي هريرة وعمرو بن العاص وسمرة بن جندب معتبرين رفض رواية أي صحابي معصيةً لله تعالى.

ورد الحديث في صور مختلفة:

١- ينســب إلى رســول الله صلى الله عليه وسلم قوله: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم.

ذكر الألباني وهو سني ثقة في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة أن هذا الحديث موضوع ويقول: قال بذلك ابن عبد البر، وقال ابن حزم - الكــلام للألباني- هذه رواية ساقطة، لأن الحديث مروي عن طريق ســلاّم بــن سُلَيم قال: حدثنا الحارث بن غصين عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر.

فالحارث بن غصين مجهول

وأبو سفيان ضعيف (القول لابن حزم)

وسلاّم بن سُلَيم يروي الأحاديث الموضوعة، وهذا بلا شك منها[٣٠١]

١- ورد الحديث بصورة أخرى على النحو التالي:

عــن عمــر بن الخطاب قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ســألت ربي فــيما اختلف فيه أصحابي من بعدي، فأوحى الله إليّ: يا محمد، إن أصحابك عندي بمنــزلة النجوم في السماء، بعضها أضوأ من بعــض، فمــن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدىً.

يقول الألباني: رواه السيوطي في الجامع الصغير برواية ابن عساكر عن عمر، والراوي نعيم بن حماد، وعبد الرحيم بن زيد.

الحديث موضوع لأن نعيم بن حماد ضعيف وقيل فيه: يخطئ كثيراً، وعبد الرحمن بن زيد كذاب[٣٠٢].

٢- نُسب إلى رسول الله قوله: إن الله نظر في قلوب العباد، فلم يجد قلباً أتقى من أصحابي لذلك اختارهم فجعلهم أصحاباً، فما استحسنوا فهو عند الله حسن، وما استقبحوا فهو عند الله قبيح.

قال الألباني: هو موضوع، لأنه روي عن طريق سليمان بن عمرو النخعي، والنخعي كذاب[٣٠٣].

فالأحاديث التي تساوي بين الصحابة في العدلية لم تثبت صحتها. والشيعة يفضلون بعض الصحابة على بعض، ويقيسون الصحابة الذين عاصروا عهدي الخلفاء الراشدين وبني أمية، بمقياس علاقتهم بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي قال فيه رسول الله عليه السلام: من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله.

ومر بنا أن هذا الحديث صحيح عند السنة أيضاً.

ويعدُّ الشيعة كل مَن ناصبَ أمير المؤمنين العداء، وشن عليه الحرب، فقد حارب الله ورسوله، وخان عهد رسول الله وغيَّر وبَدَل ففقد دواعي الاحترام التي تلزم للصحابي الذي حافظ على العهد طيلة حياته.

وفي الخبر الصحيح: إن بعض من يعرفهم رسول الله، ويسميهم أصحاباً، سيُمنعون عن الحوض. فقد وردت فيه أحاديث صحيحة، وصحتها تؤكد بطلان الأحاديث المناقضة لها والتي تدور حول عبارة أصحابي كالنجوم.

روى البخاري في صحيحه: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد يقول: سمعت النبي، صلى الله عليه وسلم يقول: إني فَرُطكم[304] على الحوض، من مَرّ عليّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردنّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم، قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عيّاش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ قلت: نعم فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها: (فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدي)[305].

كما أورد البخاري الحديث باسناد آخر على النحو التالي: حدّثنا موسى بن اسماعيل، حدثنا أبو عوانة عن مغيرة عن أبي وائل قال: قال عبد الله: قال النبي، صلى الله عليه وسلم: أنا فَرُطكم على الحوض، ليُرفَعَنّ إليّ رجال منكم، حتى إذا أهويت لأناولهم اختُلِجوا[306] دوني، فأقول: أي ربّ: أصحابي فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك[307].

ويستشهد أهل السنّة بحديث نبوي، يقضي بتبجيل أصحاب رسول الله كلهم ومعرفة قدرهم وسابقتهم. قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهباً ما بلغ مُد أَحَدهم ولا نصيفه) قاله مخاطباً خالد بن الوليد حين سبَّ عبد الرحمن بن عوف. رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. (انظر: دفاع عن ابي هريرة صفحة ٢٩)

الاجتهاد والقياس عند الفريقين

الاجتهاد من مصادر التشريع عند السنة والشيعة.

ويسمي الشيعة الاجتهاد العقل.

ويعتبر بعض السنة الاجتهاد والقياس شيئاً واحداً.

ويـــرى بعضهم أن القياس نوع من أنواع الاجتهاد، ويعدون الاجتهاد ثلاثة أنواع: القياس والاستحسان والاستصلاح.

وقال الحنابلة: الاجتهاد هو القياس والاستصلاح.

وقال الشافعية: الاجتهاد هو القياس فحسب.

وفسّـــر بعـــض الأحناف الاستحسان بأنه العدول بالمسألة عن حكم أشباهها من المسائل، إلى حكم آخر يقتضيه هذا العدول.

وقال ابن العربي عن المالكية: الاستحسان هو العمل بأقوى الدليلين.

أمـــا الاستصلاح أو المصالح المرسلة، فهو عملٌ ما تقتضيه المصلحة مع عدم وجود نص، مثل: إنشاء الوزارات والدواوين والمحاكم وغير ذلك[٣٠٨].

في حـــين يـــنص فقهاء السنة على القياس باعتباره شكلاً من أشكال الاجـــتهاد أو باعتـــباره مصـــدراً مستقلاً من مصادر التشريع، يعارض الشيعة القياس.

يقـــول الشـــيعة: القياس مرفوض في العقيدة والعبادة، ويعارضون أبا حنيفة أشد المعارضة لقوله بالقياس وتضعيفه كثيراً من الأحاديث وتقديم القياس عليها.

إلاّ أن روايـــات في بعـــض كتب الشيعة تنبئ أن أبا حنيفة كان يقدم الحديث الضعيف على القياس.

ذكر العالم الشيعي بهاء العاملي في كتابه: الكشكول، نقلاً عن ابن جزم الأندلســـي الظاهـــري "السني" أن أبا حنيفة كان يقدم الحديث الضعيف على الاجتهاد والاجتهاد عنده هو القياس[٣٠٩].

حجة الشيعة في رفض القياس، أن القياس شكل من أشكال المنطق وأنه لا أمـــور العقيدة ولا أمور العبادة تؤخذ بالقياس المنطقي، ويقولون: لقد قاسَ إبلـــيس فكفر، فحين أمره الله بالسجود لآدم قال أنا خير منه، خلقتني من نار وخلقته من طين. لذلك كان علماء الإسلام يعارضون استخدام المنطق في الدين ويقولون: من تَمنَطقَ فقد تَزندَق.

يقول العالم الشيعي محمد الحسين آل كاشف الغطاء: واختص الإمامية بـــأنهم يرفضـــون القياس، وقد تواتر عن أئمتهم عليهم السلام أن الشريعة إذا قيست مُحق الدين[٣١٠].

ولكـــن، وبالرغم من معارضتهم للقياس وأن المشهور على ألسنتهم في كتـــبهم: (ليس من مذهبنا القياس) إلاّ أنهم استنبطوا شكلين من أشكال القياس وقالوا بجوازهما وهما:

١- العلـــة المنصوصة مثل: لا تشرب الخمر لأنه مُسكر، فصفة السّكُر علة لمنع كل شراب ولو لم يُسَمّ خمراً.

٢- مفهـــوم الأولويـــة مثل: لا تقل لهما أف، فمن مُنع من قول أف فهو ممـــنوع قطعـــاً مما هو أكبر منها كشتم الوالدين أو ضربهما أو ما إلى ذلك.

ويرى الشيخ محمد جواد مغنية أن هذين النوعين ليسا من القياس[٣١١].

أمـــا أهـــل السنة، فيجيزون القياس لما ورد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلى أبي موسى الأشعري: الفهمَ الفهمَ فيما يتلجلج في صدرك مما لم يـــبلّغك بـــه كتاب الله ولا سنة نبيه، صلى الله عليه وسلم، وأعرف الأمثال والأشـــباه وقس الأمور عند ذلك ثم أعمد إلى أحبها إلى الله ورسوله وأشبهها بالحق[٣١٢].

فالقــياس يأتي إذا أشكل حكم شرعي فلم نجد لــه بياناً في كتاب الله وسنة رسوله وهو في رسالة عمر إلى أبي موسى يتعلق بأمور القضاء.

أمــا العقــيدة وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضـــاء والقدر فليس فيها قياس وإنما دعي المؤمن إلى التفكير والتدّبر ليتوصل إلى حقيقة أن لهذا الكون خالقاً واحداً لا شريك لــه.

أمــا في أمــور العبادة، فهي تؤخذ تسليماً، لا تخضع للقياس، أما أمور الحلال والحرام، فيجوز عند السنة أن نقيس فيها مسألة على مسألة، إذا أعوزنا النص.

أمــا الشــكلان الآخــران من أشكال الاجتهاد عند أهل السنة وهما الاستحسان والاستصلاح وهو استحداث ما لم يكن مما فيه مصلحة المسلمين، فالشيعة يجيزونه [٣١٣].لأنه ليس فيه ما يتنافى

مع مواقفهم كما يجيزه أهل السنّة فلا خلاف بينهما بشأنه.

مفهوم العقل والاجتهاد عند الشيعة الإمامية

يلجأ الشيعة إلى الاجتهاد إذا عرض لهم أمر لم يجدوا حكمه في القرآن أو في السنة أو في الاجماع.

والاجــتهاد عــندهم أربعــة أنواع: الاستصحاب والبراءة والاحتياط والتخيير.

أما الاستصحاب فهو: إذا أردنا التمييز بين حالتين متضادتين، ولم نجد دليلاً في القرآن أو السنة أو الإجماع، رجحنا الحالة السابقة منهما.

أمـــا البراءة فالأشياء المخترعة كالأفلام السينمائية وتسجيل الأصوات وغـــير ذلك، نحكم بإباحتها لأن القاعدة الشرعية تقول: كل شيءٍ مطلق حتى يرد فيه نهي ولأن العقاب بلا بيان قبيح.

أمـــا الاحتياط: فإذا عرض علينا أمران لم تتضح منفعتهما أو ضررهما، أخذنـــا بكلا الأمرين في مجال المنفعة، ورفضنا كلا الأمرين إن كان الأمر يتعلق بضرر.

أمـــا التخـــيير فهو: إذا عرض أمران: أحدهما جائز والآخر حرام، ولم يعـــرف أيهما الجائز وأيهما الحرام، ولم نتوصل إلى دليل حول أيّ منهما، جاز لنا اختيار أحدهما[314].

وممـــا يـــأخذه الشيعة على أهل السنة في هذا المجال أنهم أغلقوا باب الاجتهاد منذ زمن بعيد، وأخذوا يشترطون في الفقيه كي يكون مجتهداً، شروطاً تعجيزية جعلت الفقهاء يستصغرون أنفسهم فيحجمون عن الاجتهاد، بينما ظل باب الاجتهاد عند الشيعة مفتوحاً.

يقول عالم النجف الشيخ آل كاشف الغطاء: إن رأي الفرد أو الأفراد لا يصـــح أن يُعَدّ مذهباً، ومعلوم أن باب الاجتهاد لم يزل مفتوحاً عند الشيعة، ولكل رأيه ما لم يخالف الإجماع أو نص الكتاب والسنة أو ضرورة العقول، فان خالف شيئاً من ذلك كان زائغاً عن الطريق[315].

الفصل الخامس

السنة والشيعة وكبار الصحابة

للشيعة مآخذ على عدد من كبار أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على حسب علاقة كل صحابي بأمير المؤمنين علي، وبحسب ما أبلغهم عن طريق رواهم، وهذه المآخذ مبسوطة في كتبهم التي تحدثت عن الخلافة والولاية والتاريخ.

ولقد كتبوا في ذلك الكتب وقالوا الأشعار واحتجوا بالحجج وردّ السنة عليهم حجة بحجة وطال في ذلك لجاج الفريقين على مرّ العصور السابقة.

يتخلص موقف السنّة في أن أصحاب رسول الله يستحقون كل الاحترام والتقدير، وعلينا أن نسكت عن أخطائهم أوعيوبهم وأن نُحسنَ الظن بهم ونلتمس لهم العذر في خلافاتهم وحروبهم، ونعتبرها اجتهادات ومن اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد.

أما الشيعة، فهم مع كل من وقف في صف أمير المؤمنين علي، وضد كل من بلغهم أنه لم يقف معه، لا يرون بأساً في تعداد الأخطاء وبيان المثالب لأن التاريخ عبرة وعظة، وإخفاء حقائق التاريخ تفويت لهذه العظة حتى بالنسبة للمبشّرين بالجنة من أصحاب رسول الله.

ومما تجدر الإشارة إليه أن أوساط أهل السنة، لا يفرِّق كثير منهم بين الانتقاد المشروع وبين السب الممنوع، لانهم يعدون قوله صلى الله عليه وسلّم، لا تسبوا أصحابي، نهياً عاماً عن تناول سيرة أي صحابي بالنقد مهما كان النقد، كما أن الحصانة عامة لكل من اصطلحوا على تسميته صحابي، مع العلم أن

حديث لا تسبوا أصحابي وجهه رسول الله إلى صحابي متأخر هو خالد بن الوليد عندما سب عبد الرحمن بن عوف، وهو صحابي متقدم، والسلفيون من أهل السنة الحقوا المتأخرين كأبي سفيان ومعاوية وعمرو بن العاص بالمتقدمين كأبي بكر وعمر وجعلوا مجرد الانتقاد سباً وعدوه ليس مجرد إثم يُسأل عنه صاحبه لكنه خروج من الملة، ولم يجعلوا الوزر على من ارتكبه بل عمموه على الشيعة كلهم، ولم يلتفتوا إلى الآثار العديدة في كتب الشيعة قديماً التي فيها تعظيم لأصحاب رسول الله وأبي بكر وعمر باسميهما، وعدّوا ذلك تقية لا قيمة لها، كما لم يأخذوا بالحسبان الخطوات المهمة التي خطاها قادة الجمهورية الإسلامية للتقريب بين السنة والشيعة، ومن المحتمل أن كثيرين منهم لا يعرفون شيئاً عن الجانب المشرق في العلاقة بين الفرقتين، ولم يقرأوا إلا الكتب التي تتحدث عن الجانب المظلم فقط مع التعميم والتضخيم، كما أنه ليس لديهم فكرة عن التحديات الهائلة التي تواجه الأمة الإسلامية وتفرض على أبنائها التلاحم، كما أنهم لا يعرفون أن ثمة انتقاداً مشروعاً لا حرج فيه ولا إثم، يختلف عن السباب الممنوع وسوف أتناول هذه الجوانب كلها من أجل إبراز الحقيقة كي لا تظل الصورة انتقائية سلبية تتحكم فيها الأهواء وتسخّر لخدمة أهداف أقل ما يقال فيها أنها تتعارض ومصلحة الأمة الإسلامية، والصورة السوداء غير الصحيحة ليست في أذهان التقليديين من أهل السنّة وبعض علمائهم وحدهم وتنعكس فهماً مغلوطاً وشعوراً بالغ السلبية تجاه الطرف الآخر، لكنها أيضاً عند التقليديين من عامة الشيعة وبعض علمائهم الذين هم أيضاً مبتلون بنصوص محددة تُقرأ عليهم ولا يعرفون ما يخالفها، فتكوّن لديهم الصورة المغلوطة والمشاعر السلبية تجاه أهل السنّة والخاسر الوحيد من تعصب هؤلاء وهؤلاء

وانغلاقهم هو الأمة الإسلامية والرابح هم أعداؤها الذين يريدونها مجزّأة ضعيفة كي تظل سيطرتهم عليها قائمة وتبقى خيراتها نهباً مقسّماً بينهم.

والذي ينظر في كتب الشيعة يجد انتقادات لعدد من كبار الصحابة خاصة أبا بكر وعمر، وكان الشيخان يتعرضان للسب والطعن من قبل شعراء وعلماء وعامة الشيعة وهذه كانت على الدوام أعظم نقطة خلاف بين الفريقين وأكبر أسباب إثارة خواطر أهل السنة على الشيعة لذا حرص دعاة الإصلاح والتوفيق من الفريقين على معالجة هذا الأمر.

أما من جانب الشيعة فقد ظن كثير منهم أن أهل السنّة يساوون بين أمير المؤمنين عليّ وبين خصومه الذين ناصبوه العداء، بل ذهب بعضهم إلى الاعتقاد بأن أهل السنة وقفوا ويقفون مع أعداء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأعداء عترته الأطهار، والمتنورون من الشيعة يعرفون أن هذه الصورة غير صحيحة على الإطلاق وأن الخلاف في هذه الناحية ينحصر في تفاوت الفريقين في تقدير جرم المناوئين لأمير المؤمنين، مع اتفاق الفريقين على أن أمير المؤمنين كان هو الذي كان على الصواب وأن خصومه كانوا الفئات الباغية، وأنه كان خليفة راشداً مهديا وكان إمام المسلمين بحق.

الصحابة مراتب منهم السابقون ومنهم المتاخرون، وليس السبق وحده مقياس التفاضل، بل الكفاءة والبلاء في المعارك، والإخلاص في العبادة والموقف السليم من الفتن الداخلية، وقبل ذلك إشارات رسول الله إلى بعض الصحابة منوهاً بميزاتهم، كل ذلك يعد عند أهل السنة مرتبة خاصة تقع في إطار المرتبة العامة التي هي مرتبة صحابي والتي هي الشرف الأسنى والكرامة التي تمنع من النيل ممن تشرّف بها، وتخطِّئ من انتقد، وتُجَرِّم من سبَّ أو شتم.

وأعظـــم أصـــحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مكانة في الجنّة، الذين توفي رسول الله وهو راضٍ عنهم.

وهم عشرة من السابقين إلى الإسلام الذين هاجروا مع رسول الله من مكـــة وصحبوه في كل المواطن وشاركوه السراء والضراء وهم أبو بكر وعمر وعـــثمان وعلي وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام بن خويلد وسعد بن أبي وقـــاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو ابن عم عمر بن الخطاب وأبو عبيدة عامر بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وكلهم من قريش.

الشيخان أبو بكر وعمر

١- مآخذ الشيعة على أبي بكر وردُّ السنّة عليها

نجد هذه المآخذ مبسوطة في كتبهم كموسوعة الغدير للأميني النجفي، وموسوعة الأعلمي ج ١٧ وكتاب: ما الفوارق بين السنة والشيعة، لمحمد أحمد مهدي، وبحار الأنوار للمجلسي وغيرها.

وأهم ما يأخذ الشيعة على أبي بكر ما يلي:

١- يقولون:

إن الخلافـــة من حق علي، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بهـــا لعـــلي بالتلميح في كثير من الأحاديث وبالتصريح في حديث غدير خم. وبينما كان علي والعباس وقُثم بن العباس مشغولين بغسل رسول الله وتكفينه، أســـرع أبـــو بكر وعمر وأبو عبيدة إلى سقيفة بني ساعدة حيث كان الأنصار مجـــتمعين، وبعد أخذ ورَدّ وجدال وخطب، بويع لأبي بكر، وكان حقاً عليهم أن يـــردوا الأمـــر إلى علي، فهو مولى كل مؤمن ومؤمنه، لما صح من حديث الغدير وهو وصيّ رسول الله.

ولقد بسطتُ أوجه الخلاف حول الخلافة في فصل ماض وأثبتّ حجج أهل السّنة التي تدور حول نفي أن يكون رسول الله قد وصى لعلي أو لأبي بكر، وأن رسول الله أراد أن تستقبل الأمة أمرها وتولي عليها من تراه قادراً على الاضطلاع بأمورها، وما كان أبو بكر ولا عمر، ليغتصبا أمراً من أمور الدنيا ولو كان الخلافة، فهما أعظم ورعاً وتقوى من أن يفعلا ذلك، وحجج الشيعة التي تؤكد أن علياً أحق بخلافة رسول الله.

٢- مسألة الميراث:

يقول الشيعة: إن أبا بكر حرم فاطمة حقها من ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويرد عليهم السنة بالنفي فما حجة كل من الفريقين؟

وماذا ترك رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟

ورد في الصحيحين، عن عمرو بن الحارث، رضي الله عنه قال: ما ترك رسول الله، صلى الله عليه وسلم،عند موته درهماً ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً إلاّ بغلته البيضاء وسلاحه وأرضاً جعلها صدقه. (رواه الثلاثة والنسائي)[٣١٦].

وروي أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أصاب قبل وفاته دنانير، فقسمّها الا ستة دفعها إلى بعض نسائه، ثم طلبها فقسمّ منها خمسة في بيوت الأنصار، ثم قال: استبقوا هذا الباقي وقال: الآن استرحت، فرقد[٣١٧].

أما الأرض التي جعلها صدقة فهي أرض فَدَك "بتحريك الدال وبالصرف وعدمه" قرية على بعد ميلين من المدينة المنورة، فيها نخل وعين فوّارة، كانت لليهود، ولما انهزم يهود خيبر خشي يهود فدك على أنفسهم،

فســلموا قريــتهم للنبي عليه السلام، فكانت ملكاً شخصياً له، ينفق منها على نفســه وعــلى بعض المحتاجين من بني هاشم وكان لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، سهمه من خيبر.

جاء العباس وفاطمة يطلبان حقهما من فدك ومن سهم خيبر مناصفةً، فاطمــة تطلــب النصف ميراثاً أما العباس فيطلب النصف الآخر تعصيباً (أي لقرابــته مــن رسول الله قرابة العصبية، فهو عمه)، فقال لهما أبو بكر: سمعت رســول الله، صــلى الله عليه وسلّم يقول: (لا نورَث، ما تركناه صدقة)، إنما يأكل آل محمد من هذا المال، والله لا أدع أمراً كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم يصنعه إلاّ صنعته. فهجرته فاطمة، فلم تكلمه حتى ماتت[318].

وروي عنه صلى الله عليه وسلم: لا يقتسم ورثتي مالاً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي صدقة. "رواه الخمسة"[319].

ويروى أن أبا بكر استرضى فاطمة، فرضيت وماتت وهي راضية عنه.

روى مؤلف التحفة الاثني عشرية العالم السني الدهلوي، نقلاً عن كتاب شيعي عــنوانه: محجاج السالكين وعن غيره من كتب الإمامية، أن أبا بكر لما رأى أن فاطمة انقبضت عنه وهجرته ولم تتكلم بعد ذلك في أمر فَدَك، كبر ذلك عنده، فــأراد استرضــاءها، فأتاها فقال لها: صدقت يا ابنة رسول الله فيما ادعيت، ولكــني رأيــت رســول الله، صلى الله عليه وسلم، يقسمها، فيعطي الفقراء والمســاكين وابن السبيل بعد أن يؤتي منها قوتكم والصانعين بها، فقالت: إفعلْ فــيها كما كان أبي يفعل فيها، فقال: ولك الله عليّ أن أفعل فيها ما كان يفعل أبــوك. فقالــت: والله لتفعلنّ؟ فقال: والله لأفعلنّ ذلك. فقالت: اللهم اشهد، فرضيت بذلك وأخذت العهد عليه، وكان أبو بكر يعطيهم منها قوتهم، ويقسم الباقي على من ذكره[320].

لكن مسألة الميراث ظلت من أكبر مآخذ الشيعة على أبي بكر، لسببين:

أولهما: أن لديهم أخباراً مفادها أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم كان قد وهب فَدَكاً لفاطمة، وأنها ذهبت إلى أبي بكر تطلب ما وهبها إياه رسول الله وأحضرت شاهدين يشهدان على الهبة وهما عليّ وأم أيمن، فرد أبو بكر الشهادة، لأن الهبة لا تعتبر نافذة إلاّ إذا خرجت من يد الواهب إلى يد الموهوب أما الشاهدان: فلا يجوز أن يكونا رجلاً وامرأة، وإنما ينبغي أن يكونا رجلين أو رجلاً وامرأتين.

والثاني: أن الحديث الشريف (لا نورث، ما تركناه صدقة) يتعارض في ظاهر نصه مع أكثر من آية محكمة، فآي الذكر الحكيم تدل على أن الأنبياء يورثون كما يورث غيرهم من سائر البشر.

فالحديث يتعارض مع ظاهر قوله تعالى (وورث سليمان داود)[٣٢١] وقوله تعالى على لسان زكريا: (فهب لي من لدنك ولياء يرثني ويرث من آل يعقوب)[٣٢٢].

والشيعة إذا تعارض ظاهر حديث مع ظاهر آية محكمة، أخذوا بالآية المحكمة لأنهم يشترطون للأخذ بنص الحديث ألاّ يكون مخالفاً لنص القرآن الكريم[٣٢٣]، ويعدون مخالفته لمحكم القرآن دليلاً على أنه موضوع.

فالشيعة لا يقتنعون بحجة أبي بكر في منع فاطمة ميراث رسول الله، ويروون أن فاطمة لم تقنع بحجة أبي بكر فقالت له: أيرث الناس آباءهم ولا أرث أبي؟

أما السنة فلا يعدون التعارض بين ظاهر الحديث وظاهر القرآن الكريم حجة في الحكم على الحديث بأنه موضوع، بل يلجأون إلى التأويل إما في

الحديث أو في القرآن، ولقد لجأوا إلى التأويل في القرآن وفي الحديث مناصرة منهم لموقف أبي بكر من هذه المسألة.

قال العالم السني الدهلوي: إن قوله تعالى: (وورث سليمان داود)، إنما هو ميراث النبوة، واستشهد بما ورد في كتاب الكافي للكليني الشيعي نقلاً عن الإمام جعفر الصادق، رضي الله عنه، أن سليمان ورث داود وأن محمداً ورث سليمان، يقول الدهلوي: من الواضح أن هذه الوراثة هي العلم والنبوة إذ لا يتصور شرع ولا عقل أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم ورث مال سليمان.

ويدعم الدهلوي رأيه هذا باستدلال في تأويله لقوله تعالى على لسان زكريا (يرثني ويرث من آل يعقوب) مفاده أن هذه الآية دليل على أن ميراث الأنبياء هو العلم والنبوة، فلا يتصور عاقل أن يحيى وارث آل يعقوب أو بعضهم كيف يرث مالهم؟ وبأي حق؟ إنما يرث الولد أباه ولا يرث قومه[٣٢٤].

ولجأ عالم سني آخر هو أبو بكر بن العربي في العواصم إلى تأويل الحديث الشريف فأورد ثلاثة تأويلات لقوله عليه السلام: لا نورث، ما تركنا صدقة: أولها أن "ما" في الحديث الشريف ليست اسماً موصولاً لكنها حرف نفي.

وأن المعنى: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ولم نترك شيئاً للصدقة، أي أن الأنبياء لم يتركوا شيئاً لا للميراث ولا للصدقة.

وواقع الحال يتعارض مع هذا التأويل، لأن رسول الله ترك شيئاً وإن كان قليلاً، أما أنبياء بني إسرائيل فقد تركوا الشيء الكثير.

أما التأويل الثاني: فما: اسم موصول، لكنها ليست مبتدأ بل هي مفعول به والتقدير: لا يجوز أن يتحول ما تركناه صدقة إلى ميراث، بل نورث ما تركناه ميراثاً وينبغي التصدق بما تركناه صدقة.

أما الرأي الثالث وهو الذي أخذ به أبو بكر، فهو أن مال الأنبياء ليس للميراث إنما هو صدقة كله[325].

وذكـر بهاء الدين العاملي "الشيعي رأياً للفخر الرازي يشبه هذا الرأي الأخير لابن العربي، ويوافق فهم أبي بكر للحديث الشريف[326].

وظل الشيعة على مر العصور ينظرون إلى أبي بكر على أنه غصب حق فاطمـة بنـت النبي وحجب عنها ميراثها دون وجه حق، وليس ميراث المال وحـده هـو المقصود، وإنما ميراث الخلافة أيضاً، إذ أنهم يعدون الخلافة كالمال ميراثاً للأقرب من آل رسول الله، صلى الله عليه وسلم. المال-عند الشيعة- من حق فاطمة، والخلافة من حق عليّ.

يقول الشيعة: إن الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان، وبعدهم خلفاء بني أمية ظلوا يرددون قوله، صلى الله عليه وسلم: الخلافة في قريش، فما دامت قريش أحق بالخلافة لقربها من رسول الله، فأولى الناس بها من قريش، آل رسول الله لأنهم أقرب قريش إليه.

أما أهل السنة، فيرون أن أبا بكر ما زاد على أن أطاع رسول الله صلى الله علـيه وسـلم، وأخـذ بحديث نبوي صح عنده، لأنه سمعه من رسول الله مباشـرة، وهـو حديـث محكم لا يحتمل التأويل، ثم إن فدك لم تكن لفاطمة وحدها، بل كانت أيضاً لأمهات المؤمنين-فلهن حق معلوم في الميراث لو كان ثمـة ميراث- ولئن حرم أبو بكر فاطمة من الميراث فقد حرم ايضاً ابنته عائشة وسائر أمهات المؤمنين.

ثم إن أبا بكر لم يأخذ ذلك الميراث لنفسه، بل نَفّذ وصية رسول الله صـلى الله علـيه وسـلم، وهـي أن يكون الناتج لآل محمد ؛ أزواجه وابنته وللقائمين على الأرض، ثم للفقراء والمساكين وابن السبيل.

ولا نعلم أحداً من الصحابة عارض أبا بكر في ذلك، أو قارعه بحجة مبطلة لحجته ولو كان لدى أحدٍ حجة مبطلة لموقف أبي بكر من الميراث لكانت عند علي بن أبي طالب الذي ضُربت بفصاحته وبلاغته الأمثال، ولو أدلى عليّ بحجة لتراجع أبو بكر عن موقفه وهو الذي وصفه الله تعالى بالأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلاّ ابتغاء وجه ربه الأعلى.

والشيعة يقولون إن علياً لم تعوزه الحجة بل كانت تعوزه القوة إنه تمثل بما ورد في القرآن الكريم على لسان هارون. إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني.

٣- يقول الشيعة:

إن الحسن والحسين ريحانتي رسول الله، عارضا صعود أبي بكر المنبر، وقالا له: انزل عن منبر جدّنا.

ويرد السنة بأنه ليس هنالك دليل على صحة هذه الرواية، وإذا سلّمنا بصحتها، فقد كانا صبيين في أول خلافة أبي بكر، لأن الحسن بن علي ولد في السنة الثالثة للهجرة فكان في السابعة من عمره عند وفاة رسول الله، أما الحسين فولد في السنة الرابعة للهجرة، فكان في السادسة من عمره في خلافة أبي بكر، فأي مغزىً يمكن أن نجده في كلام طفلين، إن صحّ ما روي عنهما؟[٣٢٧].

٤- درؤه الحد عن خالد:

وقد قتل مالكاً بن نويرة وتزوج امرأته في أرض المعركة وموجز القصة أن أبا بكر بعث خالداً إلى بعض المرتدين في نجد، وأمره أن ينزل بإزاء دورهم، ثم يراقب أحوالهم مدة خمس صلوات، وقال له: فان سمعت أذانهم، فهم إذن مسلمون، فاسألهم عن الزكاة، فإن أقروا بها فلا خلاف بيننا وبينهم، وأن أبوْ فقاتلهم عليها لأن من منَعَ الزكاة كمن جحد الصلاة فكلاهما ركن من أركان الإسلام.

سار خالد إلى نجد، ومن هناك عزم على المسير إلى مالك بن نويرة.

وتذهب روايات عند أهل السنة إلى أن خالداً قرر المسير إلى مالك و لم يأمـره أبو بكر بذلك فأحجم الأنصار عن المسير، إلاّ أن خالداً أقنعهم بالمسير فساروا، وجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر من بني ثعلبة بن يربوع، واختلف الفرسـان الذيـن جاءوا بمالك، فمنهم من شهد أن مالكاً وقومه أذّنوا وأقاموا الصـلاة وصـلوا، بينما شهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شيء. فلما اختلفوا فـيهم أمر خالد بحبسهم في ليلة باردة، وأرسل فيما قيل، منادياً ينادي: ادفئوا أسراكم، فظن القوم أنه أراد قتلهم ؛ لأن الإدفاء كناية عن القتل في لغتهم[٣٢٨] وتذهب روايات أخرى إلى أن خالداً جادل مالك بن نويرة في أمر الزكاة. فقال مـالك: قد كنا نؤدي الزكاة لصاحبكم (يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم) أمـا الآن فلمن نؤديها؟ فقال لـه خالد أو ما تراه لك بصاحب؟ فأمر بقتله، لأن عبارته تدل على أنه مرتد.

وتذهب روايات أخرى إلى أن مالكاً وقومه من بني ثعلبة بن يربوع من تمـيم أظهروا الفرح حين بلغتهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضربوا بالدفوف مما لا يدع مجالاً للشك أنهم مرتدون.

ومهما تكن الظروف التي قُتل فيها مالك فمن المعروف أن خالداً تزوج امـرأة مـالك في اليوم التالي لقتله، وفي أرض المعركة، وهذا أمر كانت العرب تـأنف منه حتى في الجاهلية "ولقد تزوجها خالد من غير عدة فاستحق أن يقام علـيه الحـد، وكانت من أجمل نساء عصرها، قيل: كانت أجمل نساء الدنيا سـاقين، مما دفع الكثيرين إلى اتهام خالد بأنه تسرع بقتل مالك ليفوز بامرأته، فعندما بلغ متمّم بن نويرة مقتل اخيه مالك قال: إنما قتلَه خالد لينـــزو.

إلاّ أن بعض أهل السنة يروون أن مالكاً كان قد طلّق زوجته قبل ذلك وأمسكها عنده إلى حين انتهاء العدة، وصادف مقتله يوم انتهاء عدتها، فتزوجها خالد على عدة[٣٢٩].

عـــاد خالد إلى المدينة بعد قتله مالكاً وكان من أشد الناقمين عليه عمر بـــن الخطاب ودخل خالد المسجد وقد غرز السهام في عمامته، فقام إليه عمر ونـــزع تلـــك العمامة ورماها على الأرض بشدة ونزع السهام منها فكسرها، وأسمع خالداً كلاماً شديداً[٣٣٠] وألحّ على أبي بكر أن يعزل خالداً، فأبى أبو بكر قائلاً: لا أغمد سيفاً سلّه رسول الله ودَفَعَ دِية مالك.

والسبب في تمسك أبي بكر بخالد أن أبا بكر رجل مقتدٍ برسول الله في كل أمر من أمور السياسة وغيرها فاعتمد في موقفه من خالد على سابقة لخالد في عهد رسول الله.

بعـــث رســـول الله خالداً إلى بني جذيمة في أرض تسمى الغميصاء، في سرية فيها عبد الرحمن ابن عوف، وكان بنو جذيمة قد دخلوا في الإسلام إلاّ أن أمرهم لم يكن واضحاً تمام الوضوح، ولقد بلغ رسول الله ردتُهم.

وأمر رسول الله خالداً إلاّ يقاتلهم، بل يستمع إليهم ويعرف أحوالهم.

لكن خالداً احتد في جداله معهم، ووضع فيهم السيف وهم يصيحون: نحن مسلمون، فيكف تقاتلوننا؟

وبلـــغ رسولَ الله ما فعل خالد، فرفع يديه إلى السماء قائلاً: اللهم أبرأ إلـــيك ممـــا فعل خالد، اللهم أبرأ إليك مما فعل خالد، وتحمل رسول الله ديات القتـــلى مـــن بني جذيمة، ودفع لهم تعويضات عن كل خسائرهم، حتى مَيْلَغَةَ الكلب، لكنه لم يعزل خالداً[٣٣١].

هذه السابقة اعتمد عليها أبو بكر فلم يعزل خالداً.

والحقيقة أن الدول على مر العصور، وفي عصرنا الحاضر، لا تلجأ إلى عقاب القائد على كل خطأ ارتكبه في تعامله مع العدو، أو لذنب اقترفه في مخالفة التعليمات الخاصة بالتصرف في أرض المعركة، خاصة إذا كانت الدول في حالة حرب، لأنها تكون في حاجة ماسة إلى جهود القادة الموهوبين وهي على غير استعداد لحرمان نفسها من هذه الكفاءات، فعزل قائد فذ كخالد بن الوليد، إنما هو عقاب للأمة أكثر منه عقاباً للقائد نفسه، وهذا ما نظر إليه أبو بكر الصديق، بنظره الثاقب وألْمعيته المعروفة.

٥- تخلفه عن جيش أسامة بن زيد، وقد أمر رسول الله ألاّ يتخلف أحد عن الجيش، وكان أبو بكر وعمر في جيش أسامة، ثم اشتد المرض برسول الله، وتوفي عليه السلام قبل أن يسير الجيش إلى تبوك، وبويع أبو بكر بالخلافة فأصرّ على انفاذ بعثة أسامة لكنه لم يذهب معها بطبيعة الحال واستأذن أبو بكر -وهو الخليفة- استأذن أسامة في أن يسمح له بعمر بن الخطاب، كي يساعده على الاضطلاع بأعباء الحكم فأذن له أسامة.

يروي العالم السني الدهلوي، أن الشيعة (بعضهم) يعدون تخلف أبي بكر عن المشاركة في بعثة أسامة وقد أمره رسول الله بالمشاركة، يعتبر ذنباً ومعصية لرسول الله[٣٣٢].

والتهمة الموجهة لأبي بكر في هذا الشأن غريبة وغير منطقية، إذ كيف يسير في بعثة أسامة وقد أصبح خليفة المسلمين فيترك العاصمة التي تحدق بها مخاطر المرتدين من كل الجهات ويسير إلى مكان غدوه شهر ورواحه شهر؟

ثم هل يخطر ببال عاقل أن يتحول رئيس الدولة إلى جندي عادي، ينضوي تحت لواء أحد مرؤوسيه؟

٦- أرسل رسول الله أبا بكر وعمر، جنديين عاديين في غزوة يقودها عمرو بن العاص.

ويقصدون بذلك سرية ذات السلاسل، إلى الشام، وكانت سنة سبع أو ثمان للهجرة، سارت الحملة إلى أرض فيها رمل ينعقد على بعض كالسلسلة فسميت ذات السلاسل، أو لأن المشركين ارتبط بعضهم ببعض كي لا يفروا.

كان قائد السرية عمرو بن العاص، وكان فيها أبو بكر وعمر وأبو عبيدة[٣٢٣].

ويرد أهل السنة بأن مثل هذا الأمر ليس فيه غضاضة على أبي بكر وعمر، لأن المؤمن لا يحفل أبداً بجاه الدنيا ولا يسعى إلى الرياسة فيها. وربما قدر رسول الله أن عمرو بن العاص ذو مواهب خاصة، تجعله أكثر أهلية لقيادة هذه الغزوة، وهذا لا يعني بحال من الأحوال، أن مكانة أبي بكر وعمر وأبي عبيدة قد هبطت إلى مكانة أي رجل عادي.

٧- يأخذ الشيعة على أبي بكر أنه استخلف عمر، فغصب حق علي مرتين: مرة عندما أخذ البيعة لنفسه والثانية حين وصّى بها لغير علي. والجواب عند السنة، أن رسول الله وإن لم يستخلف، فإنه لم يأمر بترك الاستخلاف، وقد رأى أبو بكر أن مصلحة المسلمين تقتضي أن يعيّن لهم خليفة من بعده قطعاً لدابر الفتنة، فاختار لهم من لا يشك أحد في فضله وقوته وصحبته وسابقته، أما عليّ، فكان لا يزال صغير السن، والفرصة لا تزال أمامه، وعندما يكتهل تكتمل عنده متطلبات الخلافة، لأن الكهول أولى بها من الشباب.

٨- يقول الشيعة: إن أبا بكر نفسه كان يعترف بفضل عليّ وأنه كان يقول: إني لست بخيركم وعليّ فيكم[٣٢٤].

ويـرد أهـل السنة أن أبا بكر كان يقول ذلك تواضعاً، وكان لفرط تواضـعه يشـعر أنه ليس خيراً من عامة المسلمين، وكان المسلمون يعلمون أنه خيرهـم بعد رسول الله، ومعلوم أن قول الرجل إن غيره أفضل منه، لا يُحمل عـلى غـير التواضع ولا يكون مقياساً حقيقياً لمكانته أو مكانة من فَضّل، وقد ورد في صحاح الشيعة قول الإمام زين العابدين، رضي الله عنه، أنا الذي أفنت الذنـوب عمـره، فإذا أردنا أن نأخذ المعنى الحرفي لكلامه، ونعتبره شهادة من الإمـام عـلى نفسه فإن زين العابدين وهو الإمام الرابع عند الشيعة، لا يصلح للإمامـة[٣٣٥] ولكن من عادة الرجل الصالح أن يصغّر محاسن نفسه وإن كانت عظـيمة ويعظم عيوبها وإن كانت صغيرة، والرجل التقي يفضل المؤمنين على نفسه خاصة إذا كانوا من أولي الفضل، فليس عجيباً أن يقول أبو بكر ذلك في حق علي بن أبي طالب.

٩- إن عمر بن الخطاب-يقول الشيعة- اعترف بأن بيعه أبي بكر كانت مغامرة وخروجاً عن الطريق السوي الذي كان يجب أن يتبع، فقد روي عن عمر أنه قال: كانت-بيعة أبي بكر- فلتة وقى الله المؤمنين شرها، فمن عاد بمثلها فاقتلوه[٣٣٦].

ويدعم الشيعة هذا القول برواية في صحيح البخاري دلت على أن بيعة أبي بكر وقعت بغتة من غير تأمّل ولا مشورة.

ويـرد العـالم السني الدهلوي في شرح التحفة الاثني عشرية بأن هذا الكـلام صـدر عن عمر في زجر رجل كان يقول: إن مات عمر، أبايع فلاناً وحدي أو مع آخر، كما كان في مبايعة أبي بكر، وقال له عمر: وأين تجد مثل أبي بكـر؟ فقد قصد عمر بالفلتة المخاطرة لا مخالفة الصواب، ومن المعلوم أن بـيعة أبي بكر رضي الله عنه، تمت في ظروف استعجال، وكان من الممكن أن

تؤدي إلى خلافات وصراعات وإلى ما يسمى أيامنا بالحرب الأهلية، فهنالك بنو هاشم الذين لم يكونوا ليُسَلّموا بخروج الأمر من أيديهم، وهنالك الأنصار ويرون أنفسهم أحق بالأمر لأنهم أهل الوطن، لكن بني هاشم، وأحقهم بها علي، آثروا دينهم على دنياهم، وكذلك الأنصار عرفوا للمهاجرين حقهم، وآثروا الآخرة على الدنيا، وتراجعوا عن ترشيح سعد بن عبادة للخلافة.

أما عليّ فشعر بالامتعاض إلاّ أنه سكت، وامتنع عن بيعة أبي بكر ستة أشهر مراعاة لخاطر فاطمة التي ساءها من أبي بكر ألاّ يعطيها حقها في الميراث، ثم بايع علي بعد وفاة فاطمة مباشرة.

أما سعد بن عبادة، فكان من المؤمنين الأوائل، وممن حضروا بيعة العقبة الثانية، وكان من النقباء الاثني عشر، وممن حضر مع رسول الله ﷺ.

خرج سعد بن عبادة من السقيفة ممتلئ القلب بالأسى، واعتكف في بيته مدةً لا يشارك المسلمين جمعة أو جماعة، لكنه لم يَدعُ إلى ثورة أو تمرد، ثم غادر المدينة إلى الشام ومات هناك في خلافة عمر.

صحيح أن بيعة أبي بكر كانت مخاطرة، لكن عمر لم يقل ولم يقصد أبداً أن بيعة أبي بكر كانت خروجاً عن الصواب، لأنه كان على قناعة تامة بأنه ليس في المسلمين أحد أحق بها من أبي بكر.

وينفي كثير من أهل السنة هذا القول عن عمر، أو على الأقل، هذا القصد الذي نسبه بعضٌ إلى عمر، حتى أن ابن زيدون الشاعر والأديب الأندلسي عد القول بأن بيعة أبي بكر كانت فلتة، من أعظم الذنوب التي يمكن أن يرتكبها المخلوق، فهو في رسالته التي بعث بها إلى ابن جهور والمعروفة بالرسالة الجدية، يعدد عظائم الذنوب، ويجعل القول بأن بيعة أبي بكر كانت فلتة، واحداً منها.

يقول ابن زيدون: وما أراني إلاّ لو أمرت بالسجود لآدم فأبيت واستكبرت، وقال لي نوح اركب معنا فقلت سآوي إلى جبل يعصمني من الماء، وأمَرت ببناء صرح لعلي أطلّع إلى إله موسى، وعكفت على العجل، واعتديت في السبت، وتعاطيت فعقرت...وزعمت أن خلافة أبي بكر كانت فلتة، لكان فيما جرى عليّ، ما يحتمل أن يكون نكالاً[٣٣٧].

١٠- يأخذ الشيعة على أبي بكر مآخذ أخرى:

فيقولون: أنه أمر بقطع اليد اليسرى لسارق، والمفروض أن يقطع اليمنى وأنه أحرق لوطياً "وعقوبة الحرق غير مستساغة" ولم يعلم مسألة حقوق الجدة في الميراث ولم يعلم حكم الكلالة في الميراث (الكلالة ميراث من لم يترك عقباً).

ويزد الدهلوي في التحفة على هذه المآخذ بأن قطع اليد اليسرى للسارق هي عقوبة السرقة إذا تكررت للمرة الثالثة.

روى الإمام البغوي في كتابه (شرح السّنة) عن أبي هريرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق السارق: (إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله ثم إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله)[٣٣٨].

فأبو بكر قطع اليد اليسرى لسارق كان قد سرق فقطعت يده اليمنى ثم سرق فقطعت رجله اليسرى، ثم سرق فقطعت يده اليسرى.

أما حرقه اللوطي: فإنما حرقه بعد أن قتله، أو أن الحرق عقوبة جائزة لعظائم الذنوب، وعلى الأخص اللواط، فقد روى المرتضى الشيعي الملقب بعَلَم الهدى في كتاب: (تنزيه الأنبياء والأئمة) أن علياً أحرق لوطياً[٣٣٩] ليكون نكالاً لغيره.

أما أن أبا بكر سأل بعض الصحابة حول مسائل فقهية، كميراث الجدة والكلالة فلا يعيب إمام المسلمين أن تغيب عنه مسألة صغيرة من مسائل الفقه، ثم إن أبا بكر ربما أراد الاحتياط، فسأل عن بعض المسائل الفقهية لا عن جهل

وإنما للتثبت واليقين، وقد روي أن علياً رجع في مسألة أمهات الأولاد إلى عمر، وهــذا لا يعني جهل علي في هذه المسألة وإنما يعني ضرورة التثبت منها. ولقد أجاب المغيرة في مسألة الجدة فسأله أبو بكر: هل معك غيرك؟[٢٤٠] ولا شك أن سـؤال أبي بكـر عن أمور في الفقه، دون أن يكتفي بما يعلم منها، هو فضيلة عظمية، وقليل من العلماء من يسأل غيره فهو يخاف أن ينسب إليه الجهل، مع العـلم أن سؤال العالم يرفعه ويعلي منـزلته، لأنه أدل دليل على تواضعه وعلى متانة أسس علمه.

٢- مآخذ الشيعة على عمر بن الخطاب ورد السنة عليها

يأخذ الشيعة على عمر أموراً منها:

١- قوله عن رسول الله مستفسرا: ماله؟ أهَجَر؟

والهَجْر هو الكلام الذي يقوله الإنسان وهو فاقد الوعي.

وسبب مقالة عمر هذه كما روى البخاري ومسلم عن ابن عباس، أنه صـلى الله عليه وسلم قال في مرض موته يوم الخميس، قبل وفاته بأربعة ايام: ائـتوني بكـتف اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا. فتنازعوا وقالوا: ماله؟ أهجـر؟ استفهموه. فقال: ذروني، فالذي انا فيه خير مما تدعونني إليه، فأمرهم بـثلاث، قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم، والثالثة إما أنه سكت عنها وإما أنه قالها فنسيتها[٢٤١]

وليس ثابتا أن عمر هو الذي قال هذه العبارة، وعلى فرض أنه القائل، فالعبارة مجرد استفهام مرده قلق عمر على صحة رسول الله، وخوفه أن رسول الله بـدأ بالخـروج من الدنيا والدخول في غيبوبة الموت، وفي هذه الحالة يقول الإنسان كلاما مختلطا قد لا يفهمه السامعون ولا يعرفون مغزاه.

يقـــول أهل السّنة: إن عمر أراد رّاحة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقـــد تحسنت حالة رسول الله بعد ذلك، وخرج إلى المسجد، فصلى عن يمين أبي بكر قاعدا، ولم يأمر بكتف يكتب فيه شيئا وهذا دليل على بُعد نظر عمر، الذي أراد أن يخفف العناء عن رسول الله وهو على فراش المرض الشديد، فقال للحاضرين، عندنا كتاب الله وهذا يكفي.

٢- المأخذ الثاني:

أن عمـــر قصـــد إحراق بيت فاطمة وضربها على جنبها الشريف حتى وضعت حملها عندما قصد بيت علي ليحمله على البيعة لأبي بكر.

يـــرد أهـــل السنة بأن هذه القصة غير صحيحة عند السنة وعند أكثر الإمامية [٣٤٢] ويمكن للمتأمل فيها أن يقطع بزيفها بأكثر من دليل منطقي:

فعـــلي بـــن أبي طالب هو من لا يجهل أحد شجاعته وفروسيته، وهو الذي قتل عمرو بن عبد وَدّ العامري في غزوة الخندق، وكان عمرو واحدا من أشـــهر خمســـة فرسان عند العرب في الجاهلية، فكيف يسكت عليّ وهو يرى مخلوقاً، كائنا من كان، يعتدي على حرمه بالضرب؟ هل يُعقل ما روي عنه من قوله: إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني؟ فأين بنو هاشم؟ ولو طلبوا العون لســـارع اليهم بنو أمية يعينوهم، وقد عرضوا خدماتهم هذه على بني هاشم منذ اليوم الأول لخلافة أبي بكر، اذ استكثروا أن تكون الخلافة في بني تيم الله، فقد امتـــنع أبو سفيان عن بيعة أبي بكر قائلاً: ما بالُ هذا الأمر صار في أقل قريش واذلها؟ وقال لعلي: إن شئت ملأتها عليه خيلاً ورَجِلاً.

ولـــو شعر علي أنه مظلوم ضعيف لوجد في الساخطين على خلافة أبي بكر من قريش وغيرها من يرجح كفته ويرد له حقه.

ثم إن عمر كان على علم بقول رسول الله صل الله عليه وسلم: إن فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويريبني ما رابها، فمن أغضبها أغضبني [٣٤٣]، لأن رسول الله قال ذلك في خطبة على ملأ من المسلمين، فهل يُعقل أن يعمل عمر على إغضاب رسول الله أو إيذائه؟

كما أن عمر بعد ذلك أصبح صهر علي، إذ تزوج أم كلثوم بنت علي وفاطمة فهل يُعقل أن يصاهره علي وهو الذي آذى سيدة نساء العالمين بالضرب؟

٣- المأخذ الثالث:

يأخذ الشيعة على عمر أنه درأ الحد عن المغيرة بن شعبة وقد زنى وشهد عليه أربعة، لكن عمر لقن الرابع كلمة تدرأ الحد، اذ قال له، أرى وجه رجل لا يفضح الله به رجلا من المسلين.

ويرد أهل السنة، بأن عمر لم يقصد ان يلقّن الشاهد شيئا، فهو معروف بحزمه وصرامته في إقامة الحدود، وهو مشهور بذلك لكن من القواعد الإسلامية المتبعة أن تُدرأ الحدود بالشبهات، إذ يبحث القاضي عن شبهة في الأدلة المقدمة ضد المتهم، فإذا وجدها عدل عن إقامة الحد وعلى الأخص الحدود الكبيرة كالجلد وقطع اليد والقتل.

والصحيح أن ثلاثة من الشهود الأربعة أدلوا بشهادات صريحة واضحة، أما الرابع وهو زياد ابن أبيه فلم يدلِ بشهادة كاملة بل أفاد، كما يروي الطبري وابن الأثير وغيرهما، أنه رأى منظرا مريبا ولكنه لم ير ما يقطع بالزنا، فجلد عمر الشهود الثلاثة، وذلك أن جريمة الزنا لا تثبت إلا بأربعة شهود، يشهد كل منهم شهادة واضحة لا لبس فيها، واذا كانوا أقل من أربعة، جلد كلٌّ منهم حد القذف.

فدرء الحدود بالشبهات واجب، واتبعه أمير المؤمنين علي أيضا.

روى ابـن بابويـه القمي المشهور بالصدوق في كتاب " مالا يحضره الفقيه " أن رجلا جاء الى أمير المؤمنين،عليه السلام، وأقر بالسرقة اقراراً موجباً لقطـع اليد، فلم يقطع يده [٣٤٤]، ذلك أنّ أمير المؤمنين وجد أن الظروف المحيطة بهذه القضية توجب درء الحد.

وقصة المغيرة بن شعبة كانت درسا للمسلمين، فلا يجوز إظهار فاحشة الـزنا من قبل الشهود، وفضح رجل وامرأة، إلا إذا كانوا أربعةً شهدوا الواقعة معـا ورأوا رؤية حقيقية كاملة توجب الشهادة، وإلا فعليهم أن يسكتوا، وألا يهمـس أي مـنهم بهمسة واحدة لأي إنسان حول ما رأى وإلا استحق حد القذف.

ويـأخذ الشيعة على عمر أنه لم يعط أهل البيت سهمهم من الخمس الثابـت بقوله تعالى: (وأعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسه، وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) [٣٤٥].

ويرد العالم السني الدهلوي على هذا المأخذ بقوله: إن عمر فعل ما كان يفعـل رسـول الله، صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، إذ كانا يُخرِجان الخمس وهـو حق رسول الله، فيُخرجان منه سهم ذوي القربى من بني هاشم، فيعطى لفقـرائهم ومساكينهم، واستمر الحال في عهد عمر، وهذا ما ذهب اليه الحنفية وجمع غفير من الإمامية، وذهب الشافعية إلى أن لآل رسول الله خُمس الخُمس، يسـتوي فيه غنيهم وفقيرهم، ويقسم بينهم، للذكر مثل حظ الأنثيين، ويكون بين بني هاشم والمطّلب دون غيرهـم.

ولقد عمل أمير المؤمنين علي، كما فعل أمير المؤمنين عمر.

روى الطحاوي والدار قطني عن محمد بن الحق انه قال: سألت إبا جعفر (محمد الباقر): إن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب لما ولي أمر الناس، فكيف كان يصنع في سهم ذوي القربى؟ فقال: سلك به مسلك أبي بكر وعمر.

يقول الدهلوي: فكيف يكون فعل عمر محلاً للطعن، وهو موافق لفعل أبي بكر وعلي؟[٣٤٦].

ويأخذ الشيعة على عمر، أنه أحدث في الدين ما لم يكن في عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إذ أحدث صلاة التراويح وإقامتها بالجماعة ومنع متعتي النساء والحج.

يرد العالم السني الدهلولي على موضوع التراويح بأن صلاة التراويح كانت في عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قد صلى رسول الله التراويح بالجماعة مع الصحابة ثلاث ليال من رمضان، ولم يخرج في الليلة الرابعة وقال: اني خشيت أن تُفرض عليكم، ولما زال هذا المحذور بعد وفاة رسول الله، أحيا عمر هذه السنَّة.

أما متعة الحج فلم يمنعها لكنه حض المسلمين على الأخذ بأفضل العبادات وهو عدم الجمع بين العمرة والحج في إحرام واحد (ومن فعل ذلك سمي القارن) أو في سفرة واحدة بحيث يعتمر المسلم ثم يخلع ملابس الإحرام الى أن تبدأ أيام الحج وأولها يوم عرفة فيخلع كل مخيط ويضع عليه ملابس الإحرام ويسمى من فعل ذلك متمتعاً.

ويرى عدد من الفقهاء كالشافعي وسفيان الثوري وإسحق بن راهويه أنه من الأفضل أن تؤدى العمرة في سفر آخر، غير سفر الحج لتكون نسكا كاملاً، ويستدلون بقوله تعالى: وأتموا الحج والعمرة لله... إلى قوله تعالى: فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي[٣٤٧].

فأوجب الله الهدي على المتمتع، لا على المفرد، لما فيه من النقصان. ثم إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حج في حجة الوداع مفردا واعتمر مرتين قبل ذلك ولم يحج، فإنما أراد عمر أن يبين فضيلة الإفراد ولا يعقل أبداً أن يكون قد حرم ما أحل الله[348].

أما متعة النساء، فسوف أفرد لها بابا مستقلاً باذن الله تعالى.

ويأخذون عليه أنه أراد أن يقيم الحد على امرأة حامل فعارضه علي، رضي الله عنه، لقوله تعالى: ألا تزر وازرة وزر أخرى[349]، فكف عمر عن ذلك وعرف فيها الفضل لعلي.

وأنَ عمر هَمَّ بأخذ حلي الكعبة وانفاقها على تجهيز الجيوش، فعارضه علي، فأخذ برأي علي، وأنه جعل الأمر شورى بين ستة نفر من أصحاب رسول الله، وهو يعلم أن عليا اكفأهم، وكان الأولى أن يجعل الأمر له[350].

والجواب على هذه الأمور أن من فضائل عمر أن يستمع إلى نصح الناصحين، فأخذه بفتوى علي في بعض المسائل، إنما ينبغي أن يُشكر عليه لا أن يُلام، إذ لم يكن عمر بالحاكم المستبد ولم يكن بالذي يجهل مكانة الإمام علي وفقهه.

أما مسألة الشورى، فأراد عمر ألا يكون مسؤولاً عن الخلافه حيا وميتا، ومن يدري، فلو كان يعلم أن الأمور ستؤول إلى ما آلت إليه، فأغلب الظن أنه سيوصي لعلي وقد لمح للمسلمين أن علياً أكفأ الستة بقوله: أما علي ففيه دعابة وهو أجدر أن يحملهم على طريق الحق.

ذكرى الشيخين عند الشيعة

لعل أبرز نقطة من نقاط الخلاف بين السنة والشيعة ما يعرفه أهل السنة من سب كثير من الشيعة الشيخين الجليلين أبي بكر وعمر وهما أقرب أصحاب

رسول الله اليه، وذوا صهره وخليفتاه على المسلمين اللذان أسسنا دولة الإسلام بعد مؤسسها الأول، رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولقد بلغا من الزهد والعبادة والفقه وقوة الشخصية وفوق ذلك العدل التام، ما لم يبلغه حاكم على وجه الأرض من قبلهم إلا أن يكون نبياً مرسلاً.

ومما لا شك فيه أن عوامل كثيرة ساهمت في رسم صورة مشوهة للشيخين عند الشيعة، أولها ما تعرض له آل البيت الكريم وشيعتهم من ظلم واضطهاد في زمن الدولتين الأموية والعباسية، فكان الشيعة يواجهون ذلك بكيل الاتهامات والسباب لكل من ساهم في هذا الاضطهاد، ويبدأون بمن يعتقدون أنه حال بين آل البيت وبين السلطة التي هي من حقهم، وهم يعتقدون أن أبا بكر وعمر هما المسؤولان الأولان عن ذلك كله.

وثانيها محاولة الكثيرين التقرب من وجهاء الشيعة على مر العصور لأغراض وأهداف شخصية، يتظاهر أحدهم بالتشيع ليكون له حظوة عند حاكم أو غني أو سري من سراة الشيعة، فلا يجد وسيلة لنيل هذه الحظوة أقرب وأيسر منالاً من السب والتشنيع على أبي بكر وعمر، وكثر ذلك كثرة بالغة في زمن الدولة الصفوية التي نشأت في إيران، موازية للدولة العثمانية السنية، وكان سلاطين الدولة الصفوية شديدي التعصب للمذهب الشيعي، فتزلف إليهم العلماء وخاصة إلى أولهم وأشدهم تعصباً وهو إسماعيل الصفوي. ويقال ان الشيخ بهاء الدين العاملي كان يتظاهر بالتشيع الزائد، ارضاء لهذا السلطان، وكان يعبر عن تطرفه بالغمز في جانب الشيخين العظيمين أحياناً.

أما العامل الثالث فالكذابون والوضاعون من رواة وناسخين: اذ رووا لكل فريق ما يرضيه وسيأتي بيان ذلك بإذن الله.

أمـــا كـــيف يجـــري ذكر الشيخين الجليلين على ألسِنَة الشيعة، فمن المعــروف جيداً عند أهل السنة، أن عددا كبيراً من الشيعة، خاصة عوامهم، لم يكونـــوا يتورعون عن السب والشتم واللعن، وأن الأمر لم يقتصر على العوام والجهـــال، بـــل تعـــداه إلى كثير من الفقهاء والعلماء والشعراء من الشيعة، مما تسبب في تعميق الفرقة والتباغض بين الشيعة وإخوانهم أهل السنة، ولكن الأمر لم يكـــن كذلك عند أئمة البيت الكريم وعند عدد من علماء الشيعة المنصفين، فقـــد وردت في كتبهم روايات فيها مدح وتعظيم وتبجيل للشيخين وللصحابة عموماً.

ومما يســاهم في التقريب بين السنة والشيعة مساهمة كبيرة أن نوقر أصحاب رسول الله الذين اتبعوه في ساعة العسرة وقاسموه السراء والضراء.

وأود أن اشـــير الى نماذج من أقوال المتعصبين ونماذج أخرى من أقوال المنصـــفين بحـــق الشـــيخين أبي بكر وعمر لاعطي الصورة بجانبيها ولا بد من الإشـــارة إلى الخطـــوات الواسعة للتقريب التي اتخذتها حكومة إيران الإسلامية وعـــلى الأخـــص فـــيما يتعلق يالصحابة، والغريب أن الحملة الشرسة للتبعيد والـــتفريق الـــتي أطلقـــتها جماعات الانغلاق في الجانب السني بتحريض من أصـــحاب المصالح والتي تركزت على جوانب الخلاف بين السنة والشيعة، هذه الحملـــة انطلقت بعد أن تم صياغة المناهج المدرسية في إيران لتكون عامل توفيق بـــين الفرقتين، وبعد أن منعت الحكومة الإيرانية سبّ الصحابة جميعاً، وركّز أولـــئك الانغلاقيون حملتهم على مقولة أن الشيعة يسبون أصحاب رسول الله، وكـــان هؤلاء ساكتين أيام حكم الشاه الذي كان يشجع المنغلقين من الشيعة عـــلى عمل كل ما من شأنه أن يغيظ أهل السنة وعلى الأخص فيما يتعلق بأم المؤمـــنين عائشـــة وبكـــبار أصحاب رسول الله، وليس في الأمر أحجية ولا

غمـــوض، فالسياســـة هي التي أسكتتهم يوم كان الطاغية الإيراني مرضياً من إخوانه طغاة العرب، والسياسة هي التي اطلقتهم عندما نشأت في إيران حكومة إســـلامية تشكل خطراً عليهم وعلى عروشهم، ولهذا السبب وإنصافاً للحقيقة بعد الحديث عن أقوال قدماء الشيعة من متعصبين ومنصفين، سأثبت نماذج من نصـــوص المناهج المدرسية في إيران وقد أخذتها من مصدر سنّي لا من مصدر شيعي

المتعصبون وأقوالهم في الشيخين

روي عـــن الشـــيعة قديماً أقوال في الشيخين، بعضها نسب إلى الأئمة الكـــرام زوراً وبهـــتاناً وبعضها قاله الشعراء وبعضها ورد على السنة علماء أو فقهاء.

وللإنصـــاف، لقـــد حاولت العثور على نص في كتب الشيعة فيه لعن صـــريح للشـــيخين، فلم اجد، إلا أن الكاتب السني الهندي الدهلوي يقول في كتابه ؛ التحفة الاثني عشرية: الشيعة يرون أن الابتداء بلعن أبي بكر وعمر بدل التسمية في كل أمر ذي بال أحب وأولى.

ويقولـــون- على ذمة الدهلوي- كل طعام لعن عليه الشيخان سبعين مرة كان فيه زيادة بركة[٣٥١].

ولا يمكـــن الأخـــذ بهذه الرواية لسببين: أولهما ان الكاتب لم يرد هذا المعـــتقد الذي يقول انه عند الشيعة، الى أي كتاب من كتبهم او عالم معين من علمائهم ومن عادته في غير هذه المسألة أن يرد كل قول للشيعة الى مصدره.

امـــا الســـبب الثاني، فلجوؤه الى التعميم "الشيعة يقولون" مع انه من المستحيل ان يتفق الشيعة كلهم على هذا الامر وهم يعلمون ان اللعن ليس من

شيمه المؤمن، ولو قال الدهلوي: في الشيعة من يقول، لحملت روايته على محمل الجد.

وحاول كثيرون الصاق اللعن والسباب للشيخين بالامام الخميني.

ومنهم صاحب كتاب: سراب في ايران الذي أورد صورة فوتوغرافية لدعاء أُطلق عليه: دعاء صنمي قريش- كناية عن ابي بكر وعمر- ويبدأ على النحو التالي: اللهم صلي على محمد وآل محمد، والعن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وإفكيهما وابنتيهما......الخ.

حاول مؤلف سراب في إيران أن يلصق الدعاء بالإمام الخميني[٣٥٢] فلم يفلح، لكن محب الدين الخطيب في حاشية التحفة الاثني عشرية، يقول إن هذا الدعاء مأخوذ من كتاب للشيعة عنوانه (مفتاح الجنان) وهو كتاب فيه أدعية كثيرة، ومنها هذا الدعاء الذي ينسب إلى أمير المؤمنين علي.[٣٥٣] (لا شك انها نسبة كاذبة).

والحقيقة أنه كان في الشيعة جهال- خاصة في عصور الظلام القديمة- يشتمون أو يلعنون إذا ذُكر أبو بكر وعمر، لكن الشتم واللعن ليس من مبادئ الشيعة ولا من ضرورات مذهبهم.

ومما ورد في أشعار المعتصبين منهم، قول السيد الحميري مخاطباً الخليفة العباسي المهدي يطلب منه ان يحرم آل ابي بكر وآل عمر من حقهم في بيت المال:

قل لابن عباس سمي محمد ... لا تعطين بني عدي درهما[٣٥٤]

احرم بني تيم بن مرة انهم[٣٥٥] ... شر البرية أولاً ومقدما

ومن أمثلة التلميح في غمز الشيخين طُرفة أوردها العاملي في كتابه (الكشكول):

قيل: أرسل رجل سني إلى رجل شيعي وقراً (حملاً)من الحنطة، وكأنت عتيقة فردها عليه، ثم أرسل له عوضاً عنها حنطة جديدة ولكن فيها تراب، فكتب إليه بعد قبولها:

بعثت لنا بديل البر براً رجاء للجزيل من الثواب

رفضناه عتيقاً وارتضينا به إذ قيل جاء أبا تراب[356]

وما دام الشعر مرآة تعكس مشاعر المتطرفين والمعتدلين فأود أن أثبت أبياتاً لشاعر معتدل والرد عليها لشاعر متطرف وكلاهما من الشيعة القدماء مما يثبت أن في الشيعة منذ القديم معتدلين مع وجود متطرفين في موقفهم من أبي بكر وعمر ولا صحة للقول بأن جميع الشيعة وقفوا موقفاً سلبياً من الشيخين.

قال أحد الشعراء وتنسب إلى الكميت بن زيد (في العصر الأموي):

أهوى علياً أمير المؤمنين ولا أرضى بسب أبي بكر ولا عمرا

ولا أقول إذا لم يعطيا فدكا بنت النبي رسول الله قد كفرا

الله يعلم ماذا يأتيان به يوم القيامة من عذر إذا اعتذرا

ورد عليه بهاء الدين العاملي (شيعي متطرف من شعراء الدولة الصفوية):

يا أيها المدعي حب الوصيِّ ولم يسمح بسب أبي بكر ولا عمرا

كذبت والله في دعوى محبته تبت يداك ستصلى في غد سقرا

وكيف تهوى أمير المؤمنين وقد أصبحت في سب من عاداه مفتكرا

فإن تكن صادقاً فيما نطقت به فابرأ إلى الله ممن خان أو غدرا

وأنكـر الـنص في خـم وبيعـته وقـال إن رسـول الله قـد هجرا

أتيـت تـبغي قـيام العذر في فدَكٍ أتحسـب الأمـر بالـتمويه مستترا

إن كان في غصب حق الطهر فاطمة سـيقبل العـذر ممـن جاء معتذرا

فكـل ذنـب لـه عذر غداة غد وكـل ظـلم يرى في الحشر مغتفرا

فـلا تقولـوا لمـن أيامـه صُرِفت في سب شيختكم قد ضل أو كفرا

بـل سـامحوه وقولـوا لا نؤاخذه عسـى يكون لـه عذر إذا اعتذرا

فكـيف والعذر مثل الشمس متضح والأمـر منكشف كالصبح إذ ظهرا

لكـن إبلـيس أغواكـم وصيركم عمـيا وصماً فلا سمعاً ولا بصرا[٣٥٧]

أقوال المنصفين بحق الشيخين:

كمـا نجد في كتب الشيعة انتقادات حادة للشيخين وأقوالاً غير ودية بحقهما فإننا نجد في كتبهم مقالات تشبه مقالات أهل السنة تدور حول تبجيل الشـيخين وتنوه بصحبتهما وسابقتهما وفضلهما، فهل من الإنصاف أن نذكر مـن أقوالهم جانبا ونغفل جانبا، وهل من مصلحة الأمة الإسلامية ما دأب عليه بعض العلماء، من استخراج كل كلمة فيها نقد للشيخين وتحميلها لكل شيعي وكأنها دستور أو قرآن عندهم ونغفل كل رواية منصفه؟

فكـثير من الشيعة كانوا يكفّرون من يسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أورد العالم الشيعي (المتشدد) بهاء الدين العاملي هذه الطرفة:

قال: كان مهيار الديلمي مجوسياً، فأسلم على يد الشريف الرضي وصار شيعياً غالياً، فقيل له: ما زدت على أن انتقلت بإسلامك من زاوية في جهنم إلى زاوية أخرى، كنت مجوسياً ثم صرت تَسُبَّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الشيعة يعترفون بالخلفاء

يقول الشيعي الشيخ محمد حسين الأعلمي في موسوعته (مقتبس الأثر): أجمع المسلمون على أن الخلفاء الراشدين أربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.

وروى الأعلمي في موسوعته الرواية التالية: كان عليٌّ يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقيهما رجل طويل اللحية لم يعرفه علي، فقال الرجل لعلي: السلام عليك يا رابع الخلفاء الراشدين، وعندما انصرف قال علي لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أهو كذلك يا رسول الله؟ فقال عليه السلام: هو كذلك[٣٥٨].

مدح الصحابة في كتب الشيعة:

ورد في كتاب نهج البلاغة: قال علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه: لقد رأيت أصحاب محمد، صلى الله عليه وسلم، فلم أرَ أحداً يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غُبراً، وقد باتوا سُجّداً قياماً، يراوحون بين جباههم، ويقفون على مثل الجمر مِن ذِكرْ مَعادهم، وكأن بين أعينهم رُكَبُ المِعزى[٣٥٩] من طول سجودهم، إذا ذُكر الله هَمَلت أعينهم حتى ابتل جُيوبُهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصفِ خوفاً من العقاب ورجاء الثواب[٣٦٠].

فهذا مدح للصحابة كلهم في كتاب من أعزّ الكتب على قلوب الشيعة، لأنه عبارة عن ديوان خطب الإمام عليّ، كرّم الله وجهه، ونجد مثله عند كثيرين من علماء الشيعة، ومنهم على سبيل المثال الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، الذي يقول في أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم: هم خيرة مَنْ على وجهِ الأرض يومئذٍ، وصحابة النبي الكرام أسمى مِنْ أن تُحلّق إلى مقاماتهم بُغاثُ الأوهام[٣٦١].

ويؤكد الشيخ آل كاشف الغطاء أن الإسلام كان على منهجه القويم في عصر الخلفاء الراشدين يقول: ولم يكن للتشيع يومئذٍ مجال للظهور (في عهد الخلفاء الثلاثة) لأن الإسلام كان يجري على مناهجه القويمة[٣٦٢].

الإمام جعفر الصادق يأمر بتولي أبي بكر وعمر:

روى الإمام الكليني في الروضة، عن أبي بصير قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله (جعفر الصادق) إذ دخلت علينا أم خالد تستأذن عليه، فقال أبو عبد الله: أيَسُرك أن تسمع كلامها؟ قال: قلت: نعم، فأذن لها. قال: فأجلسني معه على الطنفسة. قال: ثم دخلت فتكلمت، فإذا امرأةٌ بليغة، فسألته عنهما (عن أبي بكر وعمر) فقال لها: تَوَلّيْهما. قالت: فأقول لربي إذا لقيته: إنك أمرتني بولايتهما؟ قال: نعم[٣٦٣].

وكانوا يحتجون بأبي بكر في الفقه:

ورد في كتاب كشف الغمة لعلي بن عيسى الأردبيلي: سئل الإمام أبو جعفر (محمد الباقر) عن حِلية السيف هل تجوز؟ قال: نعم، قد حلى أبو بكر الصديق سيفه بالفضة. فقال (السائل) أتقول هذا؟ فوثب الإمام على مكانه

وقـــال: نعم، الصديق، نعم، الصديق، فمن لم يقل لــه الصديق فلا صدق الله لـــه قولاً في الدنيا والآخرة[٣٦٤].

أمير المؤمنين يرثي عمر:

روى الشـــريف الرضي عن الإمام علي في نهج البلاغة قوله في أبي بكر أو عمـــر: فلقد قوّمَ الأوَد، وداوى العَمَد، وأقام السنّة، وخَلّف الفتنه، وذهب نقـــيّ الـــثوب، قلـــيل العيب، أصابَ من الدنيا خيرها، وسبق شرّها، أدّى لله طاعته، واتقاه بحقه[٣٦٥].

رسول الله يخبر بخلافة أبي بكر وعمر:

ذكر مفسر الشيعة وكبيرهم علي بن إبراهيم القُميّ في قوله تعالى: {يا أيها النبي لِمَ تُحرّم ما أحَلّ الله لك}، أن رسول الله قال لحفصة يوماً: أنا أفضي إليكِ سراً.

قالت: نعم، ما هو؟ فقال: إن أبا بكر يلي الخلافة بعدي، وبعده أبوك.

فقالت: من أخبرك بهذا؟ فقال: الله أخبرني[٣٦٦].

كان عمر عزيزاً على أمير المؤمنين:

كان عمر عزيزاً على أمير المؤمنين علي، فهو صهره، إذ كان عمر زوج أم كلـــثوم ابنة علي وفاطمة. وعندما طُعن عمر، قام علي وقال: وددنا أنا زدنا في عمره من أعمارنا[٣٦٧].

يمدحون أبا بكر لاستخلافه عمر:

ورد في كتاب الكشكول: يقال: أصدق الناس فراسةً ثلاثة: العزيز في قولـــــه لامرأته عن يوسف عليه السلام: أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا، وابنة

شُعيب الـتي قالت لأبيها في موسى: يا أبتِ استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين، وأبو بكر في الوصية بخلافة عمر[٣٦٨].

الأئمة يوبخون من حاولوا الطعن في الصحابة:

روى العـالم الشيعي محمد جواد مغنية: عن أبي نعيم الحافظ، عن محمد بـن حاطب عن علي بن الحسين أنه أتاه وفد من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمـر وعـثمان، فـلما فرغوا قال لهم علي بن الحسين: (زين العابدين): ألا تخـبروني: أنـتم المهاجرون الأولون الذي أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورِضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون؟

قالوا: لا .

قال: فأنتم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجـدون في صدورهم حاجةً مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون؟

قالوا: لا.

قـال: أمـا أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، فأشهَد أنكـم لستم ممن قال الله عزوجل فيهم: والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفـر لنا ولإخواننا الذي سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.

اخرجوا فعل الله بكم[٣٦٩].

ثناء على عمر من شيعي متطرف:

العـالم الشيعي المتشدد محمود أحمد مهدي يورد قول عمر، رضي الله عنه: لقد أعطي علي ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من أن

أعطى حُمْرَ النّعَم: تزوّجه ابنة النبي فاطمة، وسُكناه في المسجد لا يحل لي فيْه ما يحل له، وإعطاؤه الراية يوم خيبر.

ثم يقول مهدي: وليس عمر، رضي الله عنه، الا الصادق فيما قال، وما قاله سواه فهو متهافت[٣٧٠].

جعفر الصادق يفتخر بانتسابه إلى أبي بكر:

يقـول العـالم الشيعي محمد أحمد الحائري: من مفاخر أهل السنة التي غفلـوا عنها وأنا أوّل من يذكّرهم بها، أن الصادق وأولاده المعصومين من نسل إمامهم الأعظم أبي بكر الصديق رضي الله عنه، من قبل أمه، فأم جعفر الصادق هـي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وكان الصادق يقول: ولـدني الصـديق مرتين، يعني بهما محمداً والقاسم، وأولاد الإمام جعفر حتى المهدي المنتظر هم أولاد أبي بكر الصديق، فانظر إلى المفرقين، كيف حاولوا أن يفرقوا بين الصديق وولده[٣٧١].

وأخـيراً أود في خاتمـة هذا الفصل أن ألفت نظر القارئ الشيعي إلى حقـيقة تاريخية هامة، فالعلاقات بين علي من ناحية، وأبي بكر وعمر من ناحية أخرى، لم تكن إلا علاقة الود والاحترام والتبجيل.

صـحيح أن موضـوع الخلافة، كما تذكر بعض كتب السنة، ظل في نفـوس بني هاشم عامة نفس علي خاصة، في زمن الخلفاء الراشدين الثلاثة، إلا أنـه لم يؤد إلى عداوة أن تنابذ، ومن الأدلة على ذلك أن علياً صاهرَ عمر، إذ زوجـه أم كلثوم بنت علي، وأن علياً سمى أولاده بعد الحسن والحسين أبا بكر وعمـر وعثمان، تيمناً بالخلفاء الكرام، وقد كثرت هذه الأسماء في أولاد علي وأولاد إخوتـه كثرة لها مغزى، فمنها أن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب سمى أحد أولاده أبا بكر.

وأن الحسن بن علي بن أبي طالب سمى أحد أولاده أبا بكر والآخر عمر، وسمى ثالثاً طلحة، وسمى زين العابدين أحمد أولاده عمر، تيمناً وتبركاً[٣٧٢] والأمثلة من هذا النوع كثيرة جداً. ولو أردنا تعداد حالات المصاهرة بين الأئمة الكرام وأبناء الصحابة الأبرار لضاق بنا المقام.

عثمان بن عفان عند السنة والشيعة

عثمان بن عفان بن أبي مُعيط بن العاص بن أمية، أحد السابقين الأولين الذين أتبعوا رسول الله في ساعة العسرة، وصاحب المواقف المشهورة في نصرة الإسلام بنفسه وماله، وهو الذي جهز غزوة العسرة ولقد زوّجه رسول الله ابنته رقية، وبعد وفاتها، يوم معركة بدر، زوَّجه أم كلثوم فلقب بذي النورين، ثم توفيت في عهد رسول الله، فقال عليه السلام: لو كان عندي ثالثة لزوجتك إياها.

كان عثمان شديد الحياء، عظيم الورع، كريماً إلى حد لا يكاد يُصَدق.

تولى الخلافة بعد عمر، فواجه مشاكل كثيرة جداً، ولم يكن يملك شخصية أبي بكر أو عمر، فلم يستطع مواجهة المشاكل بالحزم الذي كان عليه الشيخان من قبله.

أخذت عليه في خلافته مآخذ منها استئثار بني أمية بالمناصب أي: بالولايات، والتفافهم حوله في المدينة، فكانوا في نظر الكثيرين مراكز قوى غير مرضي عنها.

ولقد أثروا على الخليفة، فنالوا من مال المسلمين ما ليس لهم بحق فقد أعطى عبد الله بن أبي السرح خمس خراج إفريقيا. وقيل خمس الخمس على الرغم من ماضيه غير المشرق، ونزول القرآن بردته وكفره قبل الفتح، وتوسع في

المـــأكل والمشرب، فانتقده كثيرون على الرغم من أن مأكله ومشربه كان من ماله الخاص.

وكان عثمان من أغنى أصحاب رسول الله عندما تولى الخلافة، وأصبح في آخر عهده لا يملك إلا القليل.

وأخذوا عليه عفوه عن عبيد الله بن عمر الذي قتل الهرمزان وابنته على أثر مقتل أبيه.

وأنـــه وقـــف على درجة رسول الله في المنبر، وكان أبو بكر وعمر لا يقفان عليها وأنه آوى طريد رسول الله الحكم بن أبي العاص وجعل مروان بن الحكيم أمين سره.

وهـــذه انتقادات كانت قبل انقسام المسلمين إلى سنة وشيعة وهي التي اشعلت نار الفتنه مما أدى إلى مقتل عثمان، فليس من الحكمة ولا من الإنصاف أن نجعلها من مسائل الخلاف بين السنة والشيعة.

الخلفاء الراشدون في المناهج المدرسية في إيران

إن المعنيين بوحدة الأمة الإسلامية والتقريب بين المذاهب المختلفة فيها يعـــرفون أن الخـــلاف حول الصحابة هو السلاح الأول الذي يتذرع به دعاة الـــتفريق، مـــن هذا المنطلق فإن أهم خطوة يمكن أن تفوت على دعاة التفريق حججهم،هو أن يتفق السنة والشيعة على احترام ذكرى الصحابة وترك الخوض فيما شجر بينهم من خلاف.

والإقـــلاع عن اتخاذ موقف عدائي من بعضهم نصرة للبعض، ويكفي دراســـة تـــاريخهم وما شجر بينهم بموضوعية وتجرد بحيث لا يثير أحد خواطر أحـــد، وهـــذا ما نجده في مناهج المدارس في إيران، وقد تحدث عنها الكاتب

السنّي المصري، الأستاذ فهمي هويدي في كتابه (إيران من الداخل) وأورد نماذج عديدة منها مما يجري تدريسه في مدارس الشيعة ومدارس السنّة في مختلف المراحل التعليمية، وأورد نماذج منها لما تمثّل من ردٍّ قوي على المدعين دعاوى تصب في صالح التفريق والتبغيض الذي لا ينفع إلا أعداء الإسلام:

- **كتاب: (فرهَنك إسلامي وتعليمات ديني) (المرجع: إيران من الداخل، صفحة ٣٤٠)**

خلفاء الرسول الاكرم، صلى الله عليه وسلم: بعد وفاة الرسول، صلى الله عليه وسلم، أصبح المسلمون بحاجة إلى من يتحمل مسؤولية القيادة وإدارة أمورهم، وقد تولى الخلافة خمسة أشخاص هم:

١- حضرة أبي بكر الصديق، رضي الله عنه.

٢- حضرة عمر الفاروق رضي الله عنه.

٣- حضرة عثمان ذي النورين، رضي الله عنه.

٤- حضرة علي كرار، رضي الله عنه.

٥- حضرة حسن مجتبى، رضي الله عنه.

* **من كتاب (الثقافة الإسلامية) للسنة الثالثة صفحة ٣٤٢**

كان أبو بكر جاراً للرسول ولصيقاً به، وعندما نزل الوحي على سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلّم، وكلّف بالنبوة، وكان أبو بكر مسافراً، وعندما عاد من سفره زاره، ولما حدّثه النبي عن بعثته ونبوته صدّقه أبو بكر بلا تردد، وعندئذ سأله النبي: كيف وافقت على كلامي من غير دليل؟ فردّ عليه أبو بكر: لم اسمع منك شيئاً كذَبتني فيه، ولذا فأنا أثق أن كل ما قلته لي

صــحيح. ولهذا أطلق الرسول عليه لقب الصدّيق؛ وصار أبو بكر الصدّيق فيما بعد من أعظم اصحاب النبي، وتولى الخلافة من بعده.

* عمر الفاروق في كتب الشيعة صفحة ٣٤٣

ثــاني خلفاء المسلمين هو عمر الفاروق، وكان رجل الدولة والسياسة والفتوح، ومن صنف الرجال الذين يتمتعون بفهم عميق لدورهم ومسؤولياتهم، وكـــان شديداً في الحق، وفي تنفيذ أحكام الإسلام. وهو أول خليفة أُطلق عليه لقـــب أمير المؤمنين. على زمانه اتسعت رقعة العالم الإسلامي، وشملت الفتوح بلداناً كثيرة مثل مصر وإيران. عاش ٦٣ عاماً. وبعد عشر سنوات وعدة أشهر من توليه الخلافة مات ودفن إلى جانب أبي بكر.

الفاروق ؛ هو الذي يفرق بين الحق والباطل، وقد أطلق المسلمون عليه هذا اللقب لعدالته. وكان والداً لزوجة رسول الله السيدة حفصة.

* تعريف أهل السنّة والجماعة صفحة ٣٤٤ من كتاب (جهاد دبستان صفحة ٨٢)

السـني هــو الشخص الذي يتبع تعاليم الرسول وطريقته في الحياة، ويفعــل ما كان يفعله الصحابة وآل البيت، السنّة أصدقاء لأهل بيت الرسول، إنـــنا مطالَبون بأن نتبع القرآن المجيد ونقدّر الصحابة، ونشير إليهم بكل احترام. إنّ أهل البيت وصحابة الرسول بذلوا كل جهدهم لنشر تعاليم الإسلام. السنّة والشيعة يجب أن ينتبهوا إلى مؤامرات الآخرين ومخططاتهم ممن لا يريدون بنا إلا كل شر، إننا بالتعاون نستطيع أن نحمي ثورتنا وبلدنا الإسلامي.

* **من كتاب السنة الرابعة الابتدائية صفحة ٣٤٥**

يقول الدرس عن أهل السنّة، بعد الحديث عن الشيعة:

هنالك فريق آخر من المسلمين يسمّون السنّة، وهم يعرّفون الإمام علياً بأنــه الخليفة الرابع ويحبونه. وكل المسلمين، سنّة وشيعة، يعبدون الله ويؤمنون برسوله ويؤمنون بالقرآن ككتاب سماوي.

* **النظرة إلى المذاهب الفقهية السنّية صفحة ٣٤٧**

في كــتاب الاجتماع (**تعليمات اجتماعي**) الذي يدرّس لطلاب السنة الأولى الإعدادية:

في أمــة الإســلام هناك عدة مذاهب أشهرها هي: المذهب الجعفري الاثناعشري والمذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي والزيدي

عائشة وطلحة والزبير بين السنة والشيعة

عائشــة، أم المؤمــنين، وأحب أزواج رسول الله إليه بعد خديجة، نزل القرآن ببراءتها وعفافها وهي في منظار أهل السنة: الصدِّيقة بنت الصديق.

لكــن: مــا موقف السنة من خروجها على أمير المؤمنين ومسيرها إلى الشــام عــلى رأس جيش فيه طلحة والزبير، هذا المسير الذي أسفر عن معركة طاحنة بين جيشها وجيش علي، تلك المعركة التي عرفت بمعركة الجمل؟

لا يختــلف اثنان من أهل السنة في أن عائشة وطلحة والزبير أخطأوا في الخروج على أمير المؤمنين.

إلا أنهــم يجمعون على أن خطأ هؤلاء الصحابة إنما كان في الاجتهاد، ويبرئونهم من سوء المقصد، فلا يشك السنة في أن ثلاثتهم، لم يخرجوا إلى الشام

بدافع الشعور بالبغضاء والكراهية لأمير المؤمنين أو طلباً لمنفعة من منافع الدنيا، أو ليأخذوا منه الخلافة، فمن الواضح لكل من قرأ تاريخ طلحة والزبيرعرف أن الخلافة لم تكن من مطامحهما، ولم يحرصا عليها عندما جلسا للشورى بعد وفاة عمر.

وأن طـلحة والزبير وعائشة، ما كانوا ليرضوا بسفك قطرة دم واحدة مـن دماء المسلمين أو غير المسلمين، في معصية الله، الا أن أصحاب رسول الله تعـلموا منه عليه السلام ألا يسكتوا أبداً على ما يرونه غير الحق، وقد اجتهدوا فاعـتقدوا أن قـرار أمـير المؤمنين، بعدم ملاحقة قتلة عثمان، قرار غير الحق، فخـرجوا إلى العراق في جيش كثيف، لا لقتال أمير المؤمنين، بل لمطاردة قتلة عثمان وكان جل الثوار من أهل العراق، وقد لحقوا بعد مقتله ببلادهم وامتنعوا بقبائلهم.

كيف وقعت معركة الجمل:

بلغت الفتنة أشدها وحاصر الثوار دار أمير المؤمنين عثمان، يريدون منه أن يُسَـلّم لهـم مروان بن الحكم، ليحاكموه على الكتاب الذي أرسل باسم الخلـيفة إلى عبد الله بن أبي السرح وإلي مصر وفيه أمر بقتل محمد بن أبي بكر والوفد المصري.

ورفـض عـثمان تسـليم مروان، وأصَرَ كل من الفريقين على موقفه وهرب مروان سراً إلى مكة، وبلغ الحصار حد أن منعوا وصول الماء إلى دار أمير المؤمـنين، وأخذ يستسقي الناس، فجاءته بالماء أم حبيبة بنت أبي سفيان، وهي من أمهات المؤمنين، فأهانوها وضربوا وجه بغلتها، وقطعوا حبل البغلة بالسيف.

عندها أدركت أمهات المؤمنين أن المدينة لم تعد دار أمان لهن، فرحلن إلى مكة المكرمة.

وتفاقمت الأزمة في المدينة، ودخل الثوار الدار فقتلوا أمير المؤمنين عثمان، وأخذوا يبحثون عن خليفة، فلا يتقدم إلى هذا المنصب أحد، واستمروا على هذه الحالة بضعة أيام، وكانوا خلالها يراجعون علياً وهو يرفض الاستجابة إلى طلبهم، وأخيراً شعر أن الواجب يحتم عليه قبول هذا المنصب رأفة بحال المسلمين ومنعاً لانقسامهم، فقبله، وبايعه كبار الصحابة، ومعظم من في المدينة من مقيمين ومن وافدين، ثم بدأ الثوار يعودون إلى بلادهم فيتفرقون في الأمصار ويلحقون بقبائلهم التي كانت تناصرهم وتحميهم.

وكان أول ما واجه الخليفة الجديد من مشاكل، مسألة الثوار الذي قتلوا عثمان إذ أصر فريق من المسلمين على ضرورة قتل القتلة مهما كان عددهم، أما أمير المؤمنين فكان يرى أنه من المستحيل إلقاء القبض على القتلة فقد التحقوا بأمصارهم وامتنعوا بقبائلهم، وأن ملاحقتهم ستشعل حرباً أهلية من الأفضل تجنبها.

امتنع عن بيعة علي نَفَر من الصحابة منهم أبو سعيد الخدري وسعد بن أبي وقاص وحسان بن ثابت، وانحاز حسان إلى صف الأمويين الذي بدأوا يوجهون أصابع الاتهام إلى علي وإلى أهل المدينة بأنهم لم يبذلوا كل جهد مستطاع لمنع قتل عثمان، ويروجون أنهم لو بذلوا كل ما عندهم من إمكانيات ولو استخدم علي نفوذه الأدبي والمعنوي لربما استطاع منع الفتنة.

ومن سمع رثاء حسان بن ثابت لعثمان أدرك أن حساناً يحمّل عليّ بن أبي طالب بعض المسؤولية وذلك في قوله:

يا ليت شعري وليت الطير تخبرني ما كان شأن علي وابن عفانا

وكان ممن بايعوا علياً، طلحة والزبير، وكلاهما من العشرة المبشرين بالجنة ثم بدأ عليّ يوضح معالم سياسته الإقتصادية، فإذا هي من نوع سياسة

عمـــر بـــن الخطاب المتشددة، والقاضية بعدم السماح لكبار الصحابة بمغادرة المديـــنة إلاّ لضـــرورة، ومنعهم من الإقامة في الأمصار والقيام بالتجارة والتمتع بالغنى غير المحدود، بعد أن نعموا بسياسة الانفتاح التي اتبعها عثمان بن عفان.

استأذن طلحة والزبير أمير المؤمنين في العمرة، فتوجها إلى مكة واجتمعا هـــناك بأمهات المؤمنين ولقيا فيها كثيراً من رجال بني أمية كمروان بن الحكم الـــذي فـــرّ من المدينة بعد أن اشتد طلبُ الثوار له، ويَعْلى بن منبه الذي كان عـــاملاً عـــلى الـــيمن وهو الذي اشترى الجمل لعائشة وأنفق على الحملة التي سارت من مكة إلى الشام.

اقتـــنع طلحة والزبير وبعض أمهات المؤمنين أن الثوار ينبغي ألا يُتْرَكوا بعـــد أن ارتكـــبوا فعلـــتهم الشـــنيعة، وأن أمير المؤمنين ليس لديه قدرة على ملاحقتهم ولا ينوي ذلك، واقتنعوا أنهم يستطيعون إحقاق الحق ومعاقبة الجناة وســـوف يلتف حولهم أهل العراق، لمكانتهم في الإسلام وخاصة عائشة زوج رســـول الله وللعلاقـــات الوطـــيدة لطلحة والزبير مع الكثرين من وجوه أهل العراق.

وهكذا قرر طلحة والزبير المسير وسارت معهم عائشة أم المؤمنين لأنها كانـــت عـــلى مثل رأيهم، بل وبدرجة أشد، وأرادت حفصة أن تسير فمنعها أخوها عبد الله.

وصـــل جيش عائشة وطلحة والزبير إلى العراق قبل وصول جيش أمير المؤمـــنين، إذ عندما علم أمير المؤمنين بمسيرهم شكل جيشاً وسار به إلى العراق معتبراً خروج طلحة والزبير وعائشة خروجاً عن طاعته، حاول جيش عائشة أن يحقـــق الهـــدف الذي جاء من أجله، فبدأ يلقي القبض على الذين شاركوا في الثورة على عثمان ويقتلهم، فصارت عشائرهم تثور على الجيش القادم.

روى أنهم قتلوا ستمائة رجل قبل قدوم جيش علي، فثار لهم ستة آلاف ممن كان في جيش عائشة واعتزلوا الجيش.

ولقـد طلـب طلحة والزبير أحد قتلة عثمان وهو حرقوص بن زهير السعدي الذي أفلت من القتل، فامتنع بستة آلاف من أهل البصرة وهذا أوضح دلـيل عـلى صواب رأي أمير المؤمنين عندما قرر عدم ملاحقة القتلة، حتى لا تتسع الفتنة[٢٧٣].

يروي المؤرخون الثقات من سنة وشيعة أبرز وقائع المعركة على النحو التالي:

وصـل جيش علي إلى مشارف البصرة، وكان قد سبقه جيش عائشة إلى هناك ونصب الجيشان المواقع خارج البصرة، غير بعيدين بعضهما عن بعض وقـد بعث علي عبد الله بن عباس سفيراً إلى طلحة والزبير واتفق الفريقان على الصلح.

والـتقى عـلي والزبير حتى اختلف عنقا فرسيهما، فقال علي للزبير: ناشـدتك الله، ألم تسمع رسول الله يقول لك: تقاتل ابن عمك وأنت ظالم له؟ وذكره علي بالمناسبة التي قال فيها رسول الله هذه الكلمة، فذكرها الزبير وقال: اللهم نعم، ولو ذكرتها قبل اليوم ما قاتلتك أبداً، فقرر الزبير اعتزال القتال.

فمن الذي أشعل نار الحرب بين الفريقين؟

لنسمع القصة من المؤرخ الكبير ابن الأثير

يقول ابن الأثير في كتابه (الكامل):

عـندما ذكـر ابـن الزبير قول رسول الله، قرر اعتزال الحرب واتفق الفـريقان على الصلح، ثم نزلت ربيعة وهم لا يُشكّون في الصلح، ونزلت مُضَر

وهم لا يشكون في الصلح ونـزلت اليمن وهم لا يشكون في الصلح ولم يكن بـين الـناس من حديث إلا الحديث الصلح، وكان بعضهم يخرج إلى بعض لا يذكرون إلاّ الصلح، وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية التي أشرفوا عليها.

وبات الذين ثاروا على عثمان بِشرّ ليلة وقد أشرفوا على الهلكة، وباتوا يتشـاورون وقـد أجمعوا على إنشاب الحرب، وقعدوا مع الغلس لا يشعر بهم أحد، وسار كل فريق منهم إلى قومه ووضَع فيهم السلاح.

فانتـبه الناس وقال أصحاب طلحة والزبير: قد علمنا أن علياً غير منتهٍ حتى يسفك الدماء.

وقـال أصـحاب علي: قد علمنا أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء ووقع القتال بين المسلمين[٣٧٤].

وانسحب الزبير من المعركة وتخلى عن سلاحة إلاّ رمحه وفرسه، ثم سار وحيداً يريد أن يخرج من أرض الخلاف. فلحقه عمرو بن جرموز التميمي وظل يتربص به حتى غلب النعاس الزبير وهوعلى ظهر فرسه، فقتله وحمل رأسه لعلي ظناً منه أنه سيسر علياً برأس الزبير، فغضب علي وقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بَشّر قاتل ابن صفية بالنار[٣٧٥].

أما طلحة بن عبيد الله فعندما ظهر لـه الحق. وتبين لـه أن الزبير ترك أرض المعـركة، أراد أن يـترك المعـركة فرُميَ بسهم أرداه، أصابه في رجله، ونـزل عن فرسه ومال إلى سقيفة خربة وظل دمه ينـزف حتى مات.

ولقـد عُقِر الجمل، بعد أن سقط حوله عدد كبير من المدافعين، وتقدم علي من عائشة وقال لها: يغفر الله لك يا أمّاه.

فقالت: ولَك يا بُنَي.

وزارهـــا في البيت الذي نـــزلت فيه، فسلم عليها وقعد عندها، ثم أمر بأن تُجهّزَ إلى المدينة، فجُهزت خير جهاز، ولما جاء يوم رحيلها ودّعها بنفسه، فقالـــت وسط مُشيّعيها: إنه الله ما كان بيني وبين علي إلاّ ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي على معتبيّ من الأخيار.

وقال علي: أيها الناس، صدقت وبرّت، وما كان بيني وبينها إلاّ ذاك، وإنها لزوجة نبيكم، صلى الله عليه وسلم، في الدنيا والآخرة.

وخرجت من البصرة، فشيّعَها أميالاً، وسرّح بنيه معها يوماً[٣٧٦].

قـــال المؤرخ المسعودي في مروج الذهب: خرجت عائشة من البصرة وقـــد بعـــث معها علي أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر وثلاثين رجلاً وعشرين امـــرأة مـــن ذوات الديـــن من عبد القيس وهمذان وغيرهما، وألبَسَهنّ العمائم وقلّدهَـــن الســـيوف، وقال لهن: لا تُعلِمن عائشة أنكن نسوة، وتلثمنَ كأنكن رجالَ وكنّ اللاتي تلين خدمتها وحملها، فلما أتت المدينة قيل لها: كيف رأيتِ مسيرك؟ قالت: كنت بخير الله. لقد أعطى علي بن أبي طالب فأكثر، لكنه بعث معـــي رجـــالاً (أنكرتهم)، فعرّفها النسوة أمرهن، فسجدت وقالت: ما ازددت والله في ابـــن أبي طالـــب إلاّ كـــرما، ووددت أني لم أخرج وقد أصابني كيت وكيت من أمور ذكرتها (شاقة)[٣٧٧].

لقـــد شهدت عائشة لرجال من كلا الفريقين بالصلاح، وهذه شهادة عـــليّ أيضـــاً، روى المؤرخ ابن الأثير أن عائشة كانت كلما نُعي عندها رجل مُســـن كـــان معهـــا أو عليها تقول: يرحمه الله. فقيل لها: كيف ذلك؟ قالت: كذلـــك قـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلان في الجنة وفلان في الجنة وفـــلان في الجنة. وقال علي: إني لأرجو ألاّ يكون أحد نقّى قلبه من هؤلاء إلاّ أدخله الله الجنة[٣٧٨].

إن خـــروج عائشة على أمير المؤمنين، وإن كان اجتهاداً خاطئاً، إلا أنه لم يُلْغِ مكانتها المميزة عند المسلمين من أهل السنّة.

روى ابــن الأثـــير في كـــتابه الكامل في التاريخ، أن أعين بن ضبيعة المجاشـــعي نظر في هودج عائشة بعد انتهاء المعركة وعقر الجمَلَ فقالت: إليك، لعـــنك الله، فقال: والله ما أرى إلى حميراء. فقالت لـــه: هتك الله سترك وقطع يدك وأبدى عورتك. فَقُتِلَ بالبصرة وسُلِبَ وقُطِعت يده، ورُمِيَ عُرياناً في خربة من خربات الأزد[٣٧٩].

وظلت عائشة نادمة على خروجها، وكلما ذكرت خروجها وما وقع في معـــركة الجمـــل بكـــت أشد البكاء، وتمنت ما ورد على لسان مريم عليها السلام: يا ليتني مِت قبل هذا وكنت نسياً منسيا.

وكثيراً ما كانت تقول: ليتني كنت حيضة ملقاة[٣٨٠] قبل أن أخرج.

وقـــد غضبت أشد الغضب لمقتل حجر بن عدي الكندي، الذي قتله معاويـــة وقالـــت: لولا أننا لم نغير شيئاً إلاّ صارت الأمور إلى ما هو أشد منه، لغيرنا قتل حجر، أما والله إن كان ما علمت لمسلماً حجّاجاً معتمراً[٣٨١].

ولقد أثنى أمير المؤمنين على طلحة، وأظهر الحزن والتوجع على مقتله.

روى محب الدين الخطيب في حاشية العواصم من القواصم، عن الحافظ بن عساكر في كتاب تهذيب تاريخ دمشق قول الشعبي: رأى علي بن أبي طالب طلحة ملقىً في بعض الأودية، فنـــزل، فمسح التراب عن وجهه ثم قال: عزيز عـــلي أبـــا محمد أن أراك مجدّلاً في الأودية وتحت نجوم السماء، إلى الله أشكو عُجَـــري وبُجَري (قال الأصمعي: أي: سرائري وأحزاني التي تجول في صدري) وقال: ليتني مِتّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

وقال أبو حبيبة مولى طلحة: دخلت أنا وعمران بن طلحة على عليّ بعد الجمل، فرحّب بعمران وأدناه وقال: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله فيهم: (ونـزعنا ما في قلوبهم من غِلّ إخواناً على سرر متقابلين).

وكان الحارث الهمذاني (أحد أصحاب علي) جالساً في ناحية فقال: الله أعدل من أن نقتلهم، ويكونوا إخواننا في الجنة.

فقال له علي: قم إلى أبعد أرض الله واسحقها: فمن هذا إن لم أكن أنا وطلحة؟ ويقال: إن علياً حذفه بدواة فأخطأه[٣٨٢].

ماذا يقول الشيعة في هذا الأمر:

الشيعة يخطّئون عائشة وطلحة والزبير لخروجهم على أمير المؤمنين ولا يلتمسون لهم الأعذار.

وأكبر اللوم يقع على عائشة أم المؤمنين لأنها بخروجها خالفت أمر ربها ونهي نبيها. أما أمر الله تعالى لأزواج النبي فهو: وقَرْن في بيوتكن[٣٨٣].

أما نهي النبي وتحذيره لعائشة فقصته كما يلي: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أزواجه ذات يوم فوجد بينهن خصاماً وكلاماً، فقال لهن: كأني بإحداكن وقد نبحتها كلاب الحوأب وإياكِ أن تكوني أنت يا حميراء يوجه الكلام إلى عائشة، ولم تفهم أي من أزواج رسول الله مقصده. وتهيبن سؤاله عن هذا الأمر ولما كان عَزْمُ عائشة على الخروج من مكة لمحاربة قَتَلَة عثمان، خرجت هي وطلحة والزبير في ستمائة راكب، وانتهوا في الليل إلى ماءٍ لبني كلاب يُعرف بالحوأب، عليه أناس من بني كلاب، فعوت كلابهم على الركب فسألت عائشة عن الموضع، فقال سائق جملها: الحوأب، فذكرت

حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وطلبت أن تعود إلى المدينة فشهد طلحة والزبير ومعهما خمسون رجلاً أن ذلك ليس بالحوأب[٣٨٤].

ويسود الشيعة موقف الكراهية لعائشة واتهامها بسوء المقصد، وأنها خرجت لحرب علي بدافع البغض الذي كانت تكنه له.

ومنذ قديم الزمان والشيعة، أغلبهم لا يحبون عائشة وكثير منهم لا يتورع عن شتمها، ولا يلتمسون لها أي عذر، ولا يعدون ما أبدته من ندم عذراً، ويقولون ما قيمة هذا الندم -إن صحت الروايات حوله- بعد أن أصرت على الخروج وحاربت أمير المؤمنين عن ثبات رأي وإصرار عجيب، ولقد حرضت على قتل عليّ في أرض المعركة.

إلاّ أن من فقهاء الشيعة من حرّم سبها وشتمها إكراماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنهم على سبيل المثال العالم الشيعي مهدي الطباطبائي وهو من علماء القرن الثاني عشر، وله أرجوزة فقهية يقول فيها مخاطباً السيدة عائشة:

أيا حميراء سبّك مُحرّم | لأجل عين ألفُ عينِ تُكْرَمُ[٣٨٥]

موقف السنة:

أما موقف السنة فهو أن عائشة وطلحة والزبير اجتهدوا، فأخطأوا وكان علي وجيشه هم على الحق، إلا أن من اجتهد فأخطأ فله أجر، والذين قتلوا من الفريقين، هم شهداء، يدخلون الجنة جميعاً بإذن الله تعالى، لأن كلا الفريقين خرج لنصرة ما يعتقد أنه الحق، فيحاسب يوم القيامة على نيته.

ويقولون: إن عائشة صالحت علياً وصالحها علي، وسيرها إلى المدينة معززة مكرمة، ومدحته بما يستحق، ولم يكن بينها وبينه، ولا بينها وبين أولاده

بعد ذلك أي خلاف، كيف وأخواها عبد الرحمن ابن أبي بكر ومحمد بن أبي بكر كانا من أخلص المخلصين لأمير المؤمنين.

أما حديث الحوأب والذي يقول فيه الشيعة: لو كانت عائشة حسنة المقصد لأصرت على العودة إلى المدينة بعد أن نبحت عليها كلاب الحوأب، ولما صدّقت شهادة الزور التي هيأها طلحة والزبير.

فأهل السنة، بعضهم شكك في صحة الحديث وبعضهم رفض العبارة الأخيرة في الحديث

(وإياك أن تكوني انت يا حميراء)، وبعضهم رفض رفضاً باتاً تهمة شهادة الزور التي قيل إن طلحة والزبير ساقا لها جمعاً من الأعراب، شهدوا أن هذه الأرض ليست أرض الحوأب.

شكك في صحة الحديث أبو بكر بن العربي في كتابه العواصم من القواصم فقال: إن هذا الحديث غير موجود في الصحاح الستة عند السنة، وهو واردعند الطبري في سلسلة سند فيها الشيعي الغالي وفيها الضعيف والمجهول[٣٨٦].

والحقيقة إن الحديث موجودة في مسند أحمد بن حنبل، لذلك لم يرفضه العالم السني الهندي عبد العزيز الدهلوي، لكنه قال: إن العبارة الأخيرة (وإياك أن تكوني أنت يا حميراء) غير موجودة في الكتب المعتبرة عند السنة، ثم إن عائشة أرادت الرجوع عندما علمت أن الماء ماء الحوأب، فجاءها مروان بن الحكم بثمانين رجلاً من أهل تلك المنطقة يشهدون أن هذه الأرض ليست أرض الحوأب[٣٨٧].

فالذي ساق الأعراب إلى شهادة الزور هو مروان بن الحكم وليس طلحة والزبير.

يشكل موقف الشيعة من أم المؤمنين، نقطة خلاف بين الفريقين ويحتج بعـــض أهل السنة فيقولون: إن الشيعة ينسبون الفجور إلى عائشة بعد أن شهد القرآن ببراءتها، فهذا كفر منهم وتكذيب للقرآن.

ويرد الشيعة، بأن هذا غير صحيح، وأن أي كلام بذيء قد يصدر من الجهـــال أو السفهاء ليس ملزماً للشيعة كلهم، ولا يجوز أن تُحَمل من لم يقل كلمة السوء و لم يرض بها مسؤولية من قالها.

قال الله تعالى: "وإبراهيم الذي وفى، ألا تزو وازرة وزر أخرى".

وقـــال تعـــالى في شـــأن يوم القيامة: "يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها".

فلـــن يُســـأل المسلم عما قاله غيره أو فعله، بل سيُسأل عن قوله هو وفعله.

الفصل السادس

معاوية ويزيد بين السنة والشيعة

إذا أردنا تسمية أبغض البُغضاء عند الشيعة فهم: عبد الرحمن بن ملجم المـرادي قـاتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والشمَّر بن ذي الجَوْشَن قاتل الإمـام الحسين عليه السلام وسَمُرَة بن جندب الذي كان شديد البغضاء لعلي وأصـحابه وقتل من أنصاره الكثيرين، ومعاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية فهؤلاء مبغوضون بإجماع الشيعة.

ولعـل معاوية أبغضهم، فهو الذي شق عصا الطاعة على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وحاربه في جموع الشام، واتبع في حربه سُبُل الدهاء، على حـين أبى أمير المؤمنين أن يتبع شيئاً من ذلك، وأن يحيد عن السبيل المستقيم في حربه وسلمه.

وهـو الـذي جعـل الخلافـة ملكاً وراثياً، تلقفها بنو أمية من بعده فاضطهدوا بني هاشم وشيعتهم، وقتلوهم وشردوهم وجوعوهم وروعوهم.

ويمكن تلخيص المآخذ الكبيرة التي يأخذها الشيعة على معاوية بما يلي:

١- حارب معاوية أمير المؤمنين عاصياً متمرداً طالباً ثأر عثمان، وكان علي صحيح الخلافة، وخروج معاوية عليه إنما هو شق لعصا الطاعة ومفارقة لـلجماعة عصيان لله تعالى في قوله: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"[٣٨٨].

وكان على معاوية أن يرضى بموقف أمير المؤمنين القاضي بعدم ملاحقة قـتلة عـثمان لأنهم كانوا ضمن فتنة شارك فيها الآلاف، ولو سلمنا بتعلـيل معاوية وهو أن ترك قتلهم تعطيل لأحكام الله وظلم لبني أمية

لأنه إضاعة لدم شيخهم، لو سلمنا بهذا القول فالواجب على المسلم أن يقبل بحكم ولي الأمر، ويصبر عليه ولا يجوز له أن يخلع طاعته ويثور عليه.

وكان على معاوية أن ينصاع لأمر العزل الذي أرسله إليه أمير المؤمنين لأن ولي أمر المسلمين من حقه أن يولي وأن يعزل.

٢- اتبع معاوية سبل الدهاء والمكر في حربه لعلي مستعيناً بعمرو بن العاص الذي دبر له مكيدة التحكيم، ذلك التحكيم الذي أدى إلى انقسام أصحاب عليّ على أنفسهم، ونشوء فرقة الخوارج من بينهم، تلك الفرقة التي خاضت أول حروبها مع أمير المؤمنين، فهزمهم في معركة النهروان، فكان تفتيت الجهد وانقسام الصف وغلبة الباطل، ومعاوية هو المسؤول الأول عن ذلك كله.

٣- قتله حجر بن عدي الأدبر وأصحابه، وكان حجر من أصحاب أمير المؤمنين علي، وقد اشتهر بالعبادة، حتى أخلقت العبادة وجهه[٣٨٩] أما لماذا قتله، فكتب التاريخ تروي القصة على النحو التالي:

كان المغيرة بن شعبه عاملاً على الكوفة، وكان أحسن شيء سيرة إلا أنه لا يدع شتم علي والوقوع فيه وكان حجر بن عدي يرد عليه بقوله: بل إياكم ذم الله ولعن.

وصاح حجر بالمغيرة ذات يوم أن دع عنك الشتم وأعطنا أرزاقنا التي حبستها عنا، وصاح أصحاب حجر: صدق حجر، فأخذ أصحاب المغيرة يحرضونه على حجر وأصحابه.

ثم مات المغيرة وولي الأمر زياد، وطلب زياد حجراً فامتنع عليه، وهرب من وجهه، وتخفى في البيوت، ثم إنه طلب الأمان من زياد على

أن يسـيره إلى معاوية، فأمنه زياد ووضعه في السجن، وجَدَّ في طلب أصحابه وقد هربوا من وجهه، وجمع زياد من أصحاب حجر اثني عشر رجلاً فأودعهم السجن، ثم دعا عدداً من رؤساء الكوفة فأشهدهم على ذنب حجر وأصحابه وبعث بالشهادة وتواقيع الشهود إلى معاوية وجاء في الشهادة أن حجراً جمع الجموع وأظهر شتم الخليفة (معاوية) ودعا إلى حـرب أمـير المؤمنين، زعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل أبي طالـب ووثـب بالمصر، وأخرج عامل أمير المؤمنين، وأظهر عذر أبي تـراب والترحم عليه والبراءة من عدوه وأهل حربه، وأن هؤلاء النفر الذين معه هم رؤوس أصحابه على مثل رأيه وأمره.

وألحق زياد بالمتهمين اثنين آخرين، فصاروا جميعاً أربعة عشر رجلاً.

وأُرسل المتهمون إلى الشام، وأنـزلوا مرج عذراء بدمشق، فأمر معاوية بقتلهم هنالك، فقُتِلوا وكان مقتلهم سنة إحدى وخمسين[٣٩٠].

٤- تولـيه يزيد ابنه ولاية العهد، وقد أخذ لـه البيعة بكافة الوسائل وقد اشتهر يزيد بالفسق، وإذا أخذنا بعين الاعتبار وجهة نظر المدافعين عن يزيد والذين ينفون أن يكون أحد قد اطلع منه على فسق أو فجور أو شرب خمر، فأقل ما يقال في بيعته أنه ليس خير الناس ولا أنسبهم لهذا المنصـب الخطير، ولا يمكن الادعاء أن معاوية قصد من بيعته مصلحة المسلمين وقد تبين لمعاوية منذ أن دبر المؤتمر الأول لبيعة يزيد، أنه مقبل عـلى أمـر فيه شقاق المسلمين وخلافهم وفتنتهم، لقد اطلت الفتنة برأسها منذ بدأ معاوية يسعى في البيعة لابنه متنقلاً بين دمشق والمدينة ومكة يلاحق أبناء الصحابة، الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وعبد الله بـن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وغيرهم، ليجبرهم على المبايعة

وبكافة الوسائل ونجح بقوة السلطان وجبروته في أخذ البيعة ليزيد من عامة المسلمين وبمجرد أن مات معاوية، انطلقت الفتنة في كل مكان فقامت ثورة ابن الزبير في مكة وثورة أهل المدينة والحسين بن علي في العراق، وثورات كثيرة بعد ذلك.

٥- لَعْنُه علياً على المنابر، وكان أصحابه يلعنون علياً عقب صلواتهم، وكان المتزلقون والمنافقون يتقربون إليه بذلك.

ويحاول بعض المدافعين عن معاوية أن ينفوا صحة هذه الأنباء وينسبوها إلى الرواة الكذابين وحجتهم أن معاوية لا يمكن أن يأمر بلعن علي، أو يرضى عن هذا اللعن، وأن ما ورد في كتب أهل السنة كالعقد الفريد وأمثاله، انما هو مجرد نوادر ملفقة.

لكن الروايات بهذا الخصوص كثيرة، ومن كافة المصادر ذكر صاحب الغدير أخباراً صحاحاً عن مسلم والترمذي أن معاوية أَمَرَ سعداً بسب أبي تراب (علي)، فأبى سعد، وروايات السب واردة عند الطبري والمسعودي وابن كثير وغيرهم[٣٩١].

قال الكاتب السني عبد الكريم الخطيب في كتابه (علي بن أبي طالب): لقد أقام معاوية وخلفاؤه من بعده من بني أمية منابر يتناوب عليها الخطباء في سب علي، وافتراء الأباطيل للنيل منه والزراية عليه، فما نالوا من ذلك منالاً، ولا حولوا أحداً عن حُبه والولاء له ولال بيته على تعاقب الأزمان ومر العصور[٣٩٢].

ويضيف: يقول أبو جعفر الإسكافي في كتابه(نقض رسالة العثمانية للجاحظ): وقد علمت أن معاوية ويزيد ومن جاء بعدهما من بني

مـروان أيـام ملكهم، لم يَدَعوا جهداً في جمل الناس على شتمه ولعنه وإخفاء فضائله وستر مناقبه وسوابقه[393].

روي عـن عـبد الله بن ظالم أنه قال: لما بويع لمعاوية، أقام المغيرة بن شـعبة خطباء يلعنون علياً، فقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل (هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو ابن عم عمر بن الخطاب): ألا ترون إلى هذا الظالم يلعن رجلاً من أهل الجنة[394]؟

وعـن أبي بكر بن عبد الله الأصبهاني قال: كان لبني أمية دعيٌّ يقال له خـالد بن عبد الله القسري، لا يزال يشتم علياً، فلما كان يوم الجمعة وهـو يخطب الناس قال: والله إن كان رسول الله ليستعمله وهو يعلم مـن هو، ولكنه كان ختنه أي: صهره فنعس سعيد بن المسيب ثم فتح عينـيه ثم قـال: ويحكـم! ما قال هذا الخطيب؟ رأيت القبر انصدع، ورسول الله، صلى الله عليه وسلم يقول: كذبت يا عدو الله[395].

وقـال ابن لعامر بن عبد الله بن الزبير لولده: يا بني، لا تذكر علياً الا بخير، فان بني أمية لعنوه على منابرهم ثمانين سنة فلم يزده الله بذلك إلا رفعة[396].

وأخـبار اللعـن كثيرة وهي واردة في كتب من لا يتهمون بالتشيع، فـنجدها عـند ابن عبد ربه في العقد الفريد، وابن عبد ربه لا يذكر معاوية إلا مع عبارة: رضي الله عنه، أو: رحمه الله.

قال ابن عبد ربه: كان الأحنف بن قيس التميمي عند معاوية ذات يوم في المسجد فدخل أعرابي المسجد فخطب فأثنى على معاوية ولعن علياً، فقـال الأحنف: يا أمير المؤمنين، إن هذا الأعرابي لو علم أن رضاك في لعـن الأنبياء والمرسلين لعنهم فاتق الله ودع عنك علياً، فقد لقي ربه

وأفرد في قبره وخلا بعمله، وكان والله ما علمنا، المبرز بسيفه، الظاهر خلقه، الميمون نقيبته، العظيم مصيبته.

فقال معاوية: لتصعدن المنبر ولتلعننه.

فقال الأحنف: لا أفعل.

فقال معاوية: والله لتلعنَنّه راضياً أو كارهاً.

فقال الأحنف: والله لأنصفنك في القول والعمل.

قال له معاوية: ما أنت فاعل؟

فقال: أصعد المنبر، فأحمد الله تعالى، وأُصلي على نبيه، صلى الله عليه وسلم ثم أقول: أيها الناس، إن علياً ومعاوية اقتتلا، وادعى كل منهما أنه مَبْغي عليه، وإني قائل فأمِّنوا: اللهم أسألك أنت وملائكتك ورسلك والناس أجمعين أن تلعن الفئة الباغة. يا معاوية، لا أقول غير هذا ولو قطعتني إرباً.

فقال له معاوية: نكفيك الكلام يا أبا بحر[٣٩٧].

وشبيه بهذه الحادثة، ما وقع بين معاوية وعقيل بن أبي طالب، شقيق علي بن أبي طالب، وكان قد خاصم علياً لتضييقه عليه مثل تضييقه على نفسه في النفقة، ولحق بمعاوية في الشام، فأعطاه معاوية مالاً وداراً وبالغ في إكرامه، ثم قال له يوماً: أنا خير لك من علي، أنا أعطيتك، وعلي حرمك.

فقال له عقيل: صدقت، علي آثر دينه على دنياه، وأنت آثرت دنياك على دينك، فأنت خيرٌ لي من علي، وعلي خير لنفسه منك لنفسك.

وقال له يوماً: إن علياً قطعك ووصلتك، ولا يرضيني منك إلا أن تلعنه على المنبر.

فـــارتقى عقـــيل المنبر وقال: أيها الناس، إن معاوية أمرني أن ألعن علياً فالعنوه، عليه لعنه الله والملائكة والناس أجمعين.

ثم نـــــزل، فقال لـــه معاوية: لا ندري أينا لعنت، قال لا أزيد كلمة واحدة[398].

والـــذي الغى هذه العادة هو الخليفة العادل، عمر بن عبد العزيز، فقال كثيرة عزة بمدحه:

وُليت فلم تشتم علياً و لم تُخِف بريأً ولم تقبل إشارة مجرم[399]

وصدَّقت بالفعل المقال مع الذي أتيت فأمسى راضياً كل مسلم[400]

٦- تصـــرفه بأموال المسلمين على غير الأسلوب الذي كان متبعاً في زمن الخلفاء الراشدين، فقد تصرف معاوية ببيت المال وكأنه ماله ومال أبيه، يهـــب الأموال الجزيلة لمن يشاء، ويحرم من يشاء وينفق منه ما يريد في أي وجـــه يريد، لا يقبل اعتراض المعترض، بل لم يعد يجرؤ أحد على اعتراضـــه بل إن الوصول إليه ومناقشته كانت أمراً بالغ الصعوبة لغير أعوانه والمقربين، ومثل هؤلاء لا يعارضونه بل يثنون عليه في كل عمل عملـــه، في حـــين كان الخلفاء الراشدون، يختلطون بالمسلمين اختلاطاً يجعل وصول المسلم إلى أحدهم ومناقشته ومعارضته أسهل من الوصول إلى الجـــار بالجنـــب، فالخلافة الراشدة التي سارت على نمط لم تعرفه البشـــرية مـــن قبل، هبطت على يد معاوية إلى مُلك متسلط، وهبط المسلمون من شركاء في الحكم، زمن الخلفاء الراشدين، إلى رعية عليها السمع والطاعة وليس لها أن تتدخل في شؤون الحكم.

٧- يـنظر الشيعة إلى معاوية وأبيه، أبي سفيان، على أنهما انتهازيان حاربا الاسـلام بكـل ما أوتيا من قوة، حتى أشرفت جيوش المسلمين على مكـة، فأيقـنا أنـه لابد لهما من الدخول في هذا الدين، فدخلا فيه مضـطرين وأرادا أن يكـون لهما قدم في الإسلام، فهاجرا إلى المدينة، لـيكونا بالقرب من موقع اتخاذ القرار، وتقربا إلى رسول الله صلى الله علـيه وسـلم، ومن المعلوم أن آل أبي سفيان، كانوا من النوع الذي يسـتطيع أن يكسـب ود الـناس، فما لبثا أن صارا جزءاً من مجتمع العاصـمة الإسلامية وأراد معاوية أن يحتل مكاناً مرموقاً في هذه الدولة الـتي أصبح من رعاياها، فتقدم إلى رسول الله، وتبرع بأن يكون كاتباً لـه. فاتخذه رسول الله كاتباً، يكتب ما بينه وبين القبائل.

لكـن معاويـة لم يصحب رسول الله أكثر من سنتين، فهو من الذين أسـلموا يـوم الفـتح وكان كتبة الوحي كثيرين، والصحيح أن دور معاويـة كان كتابة الاتفاقيات التي يبرمها رسول الله مع القبائل. ذكر العالم السني ابن حجر العسقلاني في الإصابة، عن المدائني: كان زيد بن ثابـت يكتب الوحي، وكان معاوية يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فيما بينه وبين العرب[٤٠١].

مواطن اتفاق الفريقين حول معاوية

يتفق السنة والشيعة في مسألة معاوية، في أمور أهمها:

١- أن أمـير المؤمنين، علياً بن أبي طالب، كرم الله وجهه، هو رابع الخلفاء الراشدين، أما معاوية فليس منهم، ولم تكن سيرته كسيرتهم.

٢- ليس لمعاوية ما لعلي من الفضل والسابقة في الإسلام والقرابة.

٣- كان علي على حق، وكان معاوية وعمرو بن العاص وأصحابهما على باطل في حربهم لعلي، شاقين عصا الطاعة، ولو شذ عن هذا القول أحد من السنة لشذ أبو بكر بن العربي صاحب: العواصم من القواصم وكان من أشد الناس تحمساً للدفاع عن معاوية، إلا أنه كان يعتقد كما يعتقد سائر أهل السنة في هذا المجال[٤٠٢].

٤- السنة كالشيعة، هواهم مع علي وأبنائه الكرام، وخالص محبتهم لآل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

فعلي وأبناؤه ملء قلوب أهل السنّة وأسماعهم، وحبهم لهم مشتق من حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، تشهد بذلك ألسنتهم وتفيض به كتبهم وأشعارهم وهذا أمر أشهر من أن يحتاج إلى دليل.

فباسم أمير المؤمنين واسم الحسن والحسين، يسمي أهل السنة، مدارسهم وشوراعهم ومساجدهم ومرافقهم العامة، لا أعلم أن لمعاوية شيء من ذلك، إلا أن يكون شيئاً يسيراً غير مشهور، وكذلك الحال بالنسبة لبقية حكام الدولة الأموية، فهم باستثناء عمر بن عبد العزيز، ليسوا أصحاب الشعبية عند أهل السنة، ولا يكادون يطلقون اسم أي منهم على شيء، إنما الشعبية كلها للخلفاء الراشدين ولآل البيت الكريم، ولكبار الصحابة الذين صحبوا رسول الله في ساعة العسرة وعند البأس.

بم يخالف أهلُ السنة الشيعة حول معاوية؟

لعلماء من أهل السنة مواقف مخالفة للشيعة في موضوع معاوية بن أبي سفيان وأوجزها بما يلي:

إن لمعاوية حسنات، كما له سيئات، فلا يجوز تعداد سيئاته ثم السكوت عن حسناته والله تعالى يقول: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره).

لقد ولي معاوية الشام لعمر بن الخطاب ثم لعثمان من بعده، وبكفاءة منقطعة النظير واكتسب حب أهل الشام بحسن معاملته لهم وعدله بينهم، ولم يجد عمر مأخذاً ذا بال، يأخذه عليه فيعزله عن الولاية.

ولم يحتج عليه أحد من أهل ولايته زمن عثمان كما احتجوا على غيره من الولاة.

احتج أهل مصر على عبد الله بن أبي السرح، واليهم من قبل عثمان وشكلوا وفداً منهم، توجه إلى المدينة المنورة وحصل من الخليفة على كتاب فيه عزل ابن ابي السرح وتولية محمد بن أبي بكر، وقفلوا هم ومحمد عائدين إلى مصر فإذا رجل مسرع على جمل، يحاول أن يسبقهم، فارتابوا في أمره، ثم أوقفوه وفتشوه، فإذا هو يحمل كتاباً بتوقيع أمير المؤمنين ومختوم بخاتمه، إلى ابن أبي السرح، يأمر فيه بقتل محمد والوفد المصري، وعادوا جميعاً إلى المدينة وراجعوا عثمان في أمر الكتاب، فأقسم لهم بالله أنه ما كتب ولا أمر به، فقالوا: انت صادق وتعلم أنه ما كتبه غير مروان بن الحكم، أمين سرك وحامل ختمك، وطالبوه بتسليم مروان، فأبى، فدخلوا عليه الدار وقتلوه.

كان ابن أبي السرح ومروان بن الحكم إذن سبباً في الفتنه، ولم يكن لمعاوية دخل في الفتنة وهذه حقيقة لا يجوز إنكارها.

وكان الوليد بن عقبة سبباً في الفتنة إذ احتج عليه أهل العراق وذهبوا إلى المدينة فشهدوا عليه بشرب الخمر وسوء السيرة. (وتنفي بعض مصادر السنة عنه ذلك)

ولم يشهد أحد على معاوية بشيء من هذا أبداً.

واشتهر معاوية بالحلم، وكان من كتبة الوحي أو من كتبة عهود رسول الله للقبائل.

ومعاوية بحسب مقاييس أهل السنة من الصحابة، لأن كل من جالس رسول الله معتقداً بصحة نبوته صحابي، ومن حق الصحابي علينا أن نذكر حسناته ونسكت عن أخطائه.

ولقد أثنى عليه رجال من السنة ورجال من الشيعة.

فمن أهل السنة قال عنه ابن تيمية: إنه خير ملك، وزمانه خير زمان قياساً للزمن الذي جاء بعده.

أما من الشيعة، فقد مدحه الأعمش (وكان يميل إلى التشيع)، فعندما ذُكر عنده عمر بن عبد العزيز بعدله قال لمن حوله: فكيف لو أدركتم معاوية؟ قالوا: في حلمه؟ قال: لا والله بل في عدله[٤٠٣].

وكان معاوية فقيهاً راوية، روى الحديث عن أبي بكر وعمر وعثمان وروى عنه جماعة كابن عباس وجرير بن عبد الله البجلي وغيرهم.

ورد في مناقب الصحابة من صحيح البخاري حديث ابن أبي مليكة أن ابن عباس قيل له: هل لك في أمير المؤمنين معاوية، فانه ما أوتر إلا بواحدة فقال: إنه فقيه[٤٠٤].

يقول علماء من أهل السنة: صحيح أن معاوية كان يجود بالعطايا من أموال المسلمين على أنصاره ووجوه الدولة وأن هذا ليس من حقه، إلا أنه كان يجود على من يعتقد أن المال سيصل منه إلى من حوله.

كان يبعث بالأموال إلى الحسين بن علي، فيفرق معظمها على أبناء من قاتل في جيش أبيه في صفين، ويفرق الباقي على أقاربه وعلى المحتاجين ويستعين بقسم منه للانفاق على نفسه وأسرته، وكان معاوية يعرف ذلك ويشجعه.

وكان ابن عباس يفرق ما يأتيه من معاوية، فلا يبقي منه لنفسه شيئاً.

وكان عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ينفقون الأموال التي تأتيهم من معاوية فيعطون ذوي القربى والسائلين ويرسلون إلى المحتاجين فيعم الخير من جهة ويكسب معاوية وُدَّ هؤلاء من جهة أخرى.

ولم تكن أموال المسلمين كلها تنفق بهذا الشكل، بل لم ينفق معاوية بهذه الطريقة إلا أقل القليل، لقد كانت وجوه الانفاق كثيرة، كان معاوية ينفق على الجند في الثغور وعلى دواوين الدولة المختلفة، وكان يجهز الجيوش ويدافع عن حدود الدولة في وجه الروم.

يزيد بين السنة والشيعة

أما توليته يزيد، فقليل من أهل السنة من يجد له فيها عذراً، وهم يعتقدون كما يعتقد كل مؤرخ أن معاوية فعل ما فعل مدفوعاً برغبته الجامحة في بقاء ملكه في نسله من بعده.

لقد تصدى للدفاع عن معاوية في هذه المسألة نفر قليل من أهل السنة لم تشتهر مقالتهم وقلَّ بين السنة من يلتفت إليها أو يأخذ بها.

فمنهم على سبيل المثال: أبو بكر بن العربي في كتابه: العواصم من القواصم ومحب الدين الخطيب في حاشية العواصم وهو يرى أن الرجل إن لم يكن ثمة ما يطعن في عدالته أو علمه، فلا مانع شرعاً من توليته أمور المسلمين حتى ولو كان في المسلمين من هو أفضل منه، إذا كان في توليته توحيد الأمة ومنع اختلافها وتناحرها.

ويرى محب الدين الخطيب أن هذه الشروط كانت متوفرة في يزيد فغير صحيح- في رأيه- ما رمي به يزيد من شرب الخمر ولبس الحرير، ولقد شهد بعدالته كثيرون -والقول لمحب الدين الخطيب- منهم محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية، حين دعي إلى الخروج عليه لأنه يشرب الخمر ويلبس الحرير، فقال ابن الحنفية: ما رأيت ما تذكرون، وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظباً على الصلاة، متحرياً للخير، يسأل عن الفقه[٤٠٥].

ويروي ابن كثير في البداية والنهاية أن عبد الله بن عباس شهد ليزيد بالعلم.

فقد وفد عليه يزيد معزياً بوفاة الحسن بن علي رضي الله عنهما، ولما خرج يزيد من عنده قال ابن عباس: إذا ذهب بنو حرب ذهب علماء الناس[٤٠٦].

فمعاوية وإن لم يضع مصلحة المسلمين في المقام الأول، إلا أنه في رأي عدد محدود من أهل السنة لم يول عليهم فاجراً فاسقاً كما تروي كثير من الروايات، ولم يكن معاوية يعلم كيف ستكون سيرة يزيد في الناس بعد توليه الخلافة، والمآخذ الضخمة التي يأخذها الشيعة وأكثر أهل السنة على يزيد، إنما كانت أثناء خلافته مع اختلاف الروايات حول سيرته قبل الخلافة فإذا صح أنّ يزيد لم يكن على تلك الدرجة من السوء في حياة والده فلا تبعة على معاوية فيما فعل يزيد بعد أن صار خليفة.

رد الشيعة على الدفاع عن يزيد

يرد الشيعة على من دافع عن معاوية ويزيد فيقولون:

أما من زعم أن معاوية من الصحابة، فالأمور بعواقبها، وإنما يستحق لقب صحابي، وهو شرف ما بعده شرف من ظل على عهده لرسول الله صلى

الله عليه وسلم ولم يبدل، وقد اشترط الله تعالى هذا لشرط على المؤمنين بقوله: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا)[٤٠٧].

ولقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن قوماً سيفارقهم وهم صحابة، ثم يلتقي بهم يوم القيامة، فيحال بينه وبينهم ويُطرَدون عن الحوض.

روى البخاري في صحيحه أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال: أنا فرطكم[٤٠٨] على الحوض ليرفعن إلي رجال، حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا[٤٠٩] دوني فأقول: أي رب، أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك[٤١٠].

ووردت أحاديث عديدة تشبه هذا الحديث في المعنى مع اختلاف يسير في الألفاظ وكلها تنبئ أن فضل الصحابي ممن عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهون بثباته على العهد.

أما القول إن معاوية من كتبة الوحي، فالأخبار تنبئ أن معاوية كان يكتب ما بين رسول الله والقبائل، وكان رسول الله يدعو زيد بن ثابت لكتابة الوحي.

ذكر ابن عماد الحنبلي في شذرات الذهب أن أبا سفيان طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يجعل معاوية كاتبه، وأن يؤمِّره فيقاتل الكفار كما قاتل المسلمين، ويروى عن ابن عباس قوله: لولا أن أبا سفيان طلب ذلك من رسول الله، صلى الله عليه وسلم لم يعطه، لأنه لم يكن يُسأل شيئاً إلا قال نعم[٤١١].

ثم إن كتابة الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، على ما فيها من عظيم الشرف إلا أنها لا تهب الكاتب عصمة، فقد عُلم أن عبد الله بن أبي

السرح كتب الوحي لرسول الله مدة ثم ارتد وقال: كنت أكتب من عندي، فكان يوم الفتح واحداً من الذين أمر رسول الله بقتلهم، ولو وجدوا عائذين بأستار الكعبة[٤١٢]، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم)[٤١٣].

أما من قال إن معاوية فقيه فالله تعالى يقول: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ولم يقل أفقهكم، فالفقه إنما يكون دعامة للتقوى وليس أساساً لها.

أما تولية يزيد، فهي إحدى الموبقات، إذ كان عليه أن يضع مصلحة المسلمين فوق مصلحته الشخصية وأن يختار للمسلمين أفضلهم.

إن بيعة يزيد باطلة لأنها أخذت بالقوة ولأنه لا تجوز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، وقد رأى معاوية الفتنة تطل برأسها منذ أن شرع في أخذ البيعة ليزيد.

وهو يعلم عن يزيد أكثر من أي إنسان آخر، ويعرف أنه ليس الإنسان الودود الذي يحبه المسلمون ويعقدون عليه الخناصر، بل إنه يعرف فسقه وزندقته-في رأي الشيعة وكثير من أهل السنة- وهو الذي حرَّض الأخطل على هجاء الأنصار وخاصة حسان بن ثابت فقال الأخطل.

ذهبت قريش بالمكارم والعلا واللؤم تحت عمائم الأنصار

خلوا المكارم لستم من أهلها وخذوا مساحيكم بني النجار

أما زندقته، فقد وردت فيها آثار، وروي عنه أشعار تدل عليها، ومنها على سبيل المثال ما وصفه به أبو العلاء المعري في رسالة الغفران، على شكل حوار بين بطل الرسالة والأخطل:

يقول بطل الرسالة (ابن القارح) للأخطل: أما علمت أن ذلك الرجل- يعني يزيد بن معاوية- عاند (جائر) وفي حبال المعصية سائد (موثق، صاعد) فعلام أطلعت من مذهبه، أكان موحداً أم وجدته في النسك ملحداً؟.

فيقول الأخطل: كانت تعجبه هذه الأبيات (قد تكون ليزيد وكان شاعراً مجيداً أو للأخطل)

أخالد هاتي خبريني وأعلني ... حديثك إني لا أسر التناجيا

حديث أبي سفيان لما سما بها ... إلى أُحُد حتى أقام البواكيا

وكيف بغى أمراً علي ففاته ... وأورثه الجد السعيد معاويا

وقومي فعليني على ذاك قهوةً ... تحلبها العيسي كرماً شآميا

إذا ما نظرنا في أمور قديمة ... وجدنا حلالاً شربها المتواليا

فلا خلف بين الناس أن محمداً ... تبوأ رمساً في المدينة ثاوياً[٤١٤]

وعندما بلغت يزيد أخبار الحرة استشهد بقول عبد الله بن الزبعرى يتشفى من المسلمين في معركة أحد:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً ... ولقالوا ليزيد لا فشل

والبيت الأول لابن الزبعرى أما الثاني فهو ليزيد.

فقال له رجل من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ارتددت عن الإسلام يا أمير المؤمنين فقال: بلى، نستغفر الله فقال: والله لا ساكنتك أرضاً أبداً وخرج من عنده[٤١٥].

وأما شربه الخمر، فمشهور أيضاً ووردت فيه النوادر والطرف ومن ذلك ما رواه ابن عبد ربه في العقد الفريد، وهو سني لا يتعاطف مع الشيعة أبداً، يقول في العقد الفريد: كان يزيد بن معاوية يشرب الخمر، وكان يقال له يزيد المخمور، وبلغه أن مِسْوَراً بن مخرمة يرميه بشرب الخمر، فكتب إلى عامله بالمدينة أن يجلد مسواراً حد الخمر، ففعل، فقال مِسور.

أَيَشربها صِرفاً بِطينِ دِنانِها أبو خالد ويُجلَدُ الحدَّ مِسْوَر[416]

ويروي ثقات المؤرخين أن يزيد بن معاوية كان صاحب طرب وجوارح وكلاب وفهود، ومنادمة على الشراب[417].

ولعل كون يزيد الولد النجيب لمعاوية، مقارنة بأخيه عبد الله، وكان عبد الله أحمق، دفع معاوية إلى تدليله، فكان لا يغضبه ولا يمتنع عليه بشيء مما يطلب والأخبار بهذا الخصوص كثيرة.

ولا شك أن الرغبة الجامحة عند معاوية في بقاء الملك في نسله من بعده كانت هي الدافع الأول في توليته يزيد ولاية العهد، ومن قرأ سيرة معاوية وتعمق في فهمه، اقتنع بأنه كان مستعداً للتغاضي عن أية عيوب ليزيد مقابل بقاء الملك في بني أمية.

ودع عنك قول ابن تيمية في زيد: إنه كان من أولياء الله[418].

فابن تيمية لم يخالطه ولم يجالسه فيبلو أخلاقه ويطلع على إيمانه، ولم يكن ابن تيمية من أهل مصره، ولا من أهل عصره، لكنه كان شديد البغضاء للشيعة، وما أراد بكلمته هذه إلا إغاظتهم.

ودع عنك شهادة ابن الحنفية، فإنه رجل كان يؤثر العافية والسلامة ودع عنك قول ابن عباس "إذا ذهب بنو حرب ذهب علماء الناس" فعبد الله

ابـن عباس كان قد تخلى عن أمير المؤمنين ولحق بمعاوية هرباً من حياة التقشف الصـعبة التي كان يعيشها أمير المؤمنين، ثم سكن مكة يتلقى هدايا معاوية بين الحين والحين، فلا عجب أن يمدحهم وهو ينعم بعطاياهم.

ودع عنك يزيد وما قيل عن شربه الخمر ولبسه الحرير وزندقته قبل أن يرث ملك أبيه وانظر إلى يزيد وقد تولى مقاليد الحكم.

في السـنة الأولى قتل الحسين بن علي وإخوته، وحمل بنات رسول الله سبايا على قتب البعير من العراق إلى الشام.

وفي السـنة الثانية أرسل حملة إلى المدينة عقاباً لأهلها على إثر نـزاع بينهم وبين بني أمية الذين كانوا في المدينة، وأمّر على الحملة واحداً من شياطين العـرب، مسـلم بن عقبة المري، واحتل الجيش الأموي المدينة على إثر معركة خاضـها مع أبناء المهاجرين والأنصار عُرفت بوقعة الحرة وحكّم الجيش سيوفه في رقـاب المسـلمين واسـتباحوا الأموال والأعراض ونهبوا وخربوا، وربطوا خيولهم في الروضة المشرفة، التي قال عنها رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ما بين قبري ومحرابي روضةً من رياض الجنة.

وقُـتل في الحملة أكثر من ثلاثمائة من أبناء المهاجرين والأنصار وأكثر من ضعف هذا العدد من مواليهم[٤١٩].

واعـتدى المهاجمون على أعراض نساء الأنصار والمهاجرين، إذ استباح الجـند الأموي مدينة رسول الله ثلاثة أيام يفعلون فيها ما يشاءون، وكان من نتائج الحملة أن كثيراً من أبكار المدينة وضعن أولاداً لا يُعرف لهم أب[٤٢٠].

وفي السنة الثالثة أرسل جيشاً لاحتلال مكة من أجل القضاء على ثورة عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما، وكانت الحملة بقيادة مسلم بن عقبة ذاته، ثم هلك مسلم وهو في الطريق إلى مكة، فتولى القيادة الحصَين بن نُمَير، وضرب

ابن نمير الحصار على مكة وأحرق الكعبة حتى بلغه هلاك يزيد بن معاوية، ففك الحصار وقفل عائداً إلى الشام[421].

هل قصد معاوية من استخلاف يزيد ما قصد أبو بكر من استخلاف عمر؟

ألم يكن معاوية يعلم أن الذين أيدوه في جعل ولاية العهد ليزيد كانوا منافقين يريدون أن تكون لهم الزلفى عند معاوية ويزيد من بعده؟

لماذا لم يستمع إلى أقوال الناصحين من أمثال الأحنف بن قيس التميمي؟

حضر الأحنف بن قيس مجلساً من مجالس البيعة ليزيد، فقام الخطباء بين يدي معاوية وتكلموا وأطنبوا في وصف مآثر يزيد، فالتفت معاوية إلى الأحنف وقال له: قل يا أبا بحر، فإن العيون إليك أشرع منها إلى غيرك.

فقال: يا أمير المؤمنين، أنت أعلم بيزيد في ليله ونهاره، وسره وإعلانه فإذا علمته لله رضاً فلا تشاور فيه، وإذا علمته خلاف ذلك فلا تزوده من الدنيا وأنت راحل عنها، فانك صائر إلى يوم يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وفصيلته التي تؤويه.

فقال معاوية: قد جربنا يزيد، فما وجدنا فتى في قريش أحق بها منه.

ترى، هل كان معاوية مقتنعاً بصحة ما يقول؟

ماذا كانت نتيجة هذه التضحية بمصالح الأمة ومستقبلها؟

لم يدم الملك لآل أبي سفيان ولم يجعل الله فيه بركة، إذ مكث يزيد في الخلافة مدة تقل عن ثلاث سنوات ثم هلك شاباً، فخلفه ابنه معاوية ولقب معاوية الثاني، وكان شاباً ضعيفاً مريضاً فيه صلاح وتقوى، ولم يتقلد الخلافة إلا أياماً قليلة، ثم خرج على المسلمين في المسجد وخطب فيهم خطبة اعترف

فـيها أن أباه وجدّه كانا قد اغتصبا هذا الأمر اغتصاباً، فلم يدم لهما، بل لقيا ربهمـا ليحاسـبا على ما فعلا وإنه لا يريد أن يقع فيما وقعا فيه، فهو يردُّ إلى المسـلمين خلافتهم، ليختاروا من يرونه الأنسب، ودخل معاوية بن يزيد داره ولم يلبث أن مات[٤٢٢].

وعند اعتزال معاوية الثاني، انتشرت الفوضى في ربوع العالم الإسلامي كلـه وكثرت الفتن، ومال كثير من المسلمين إلى عبد الله بن الزبير فبايعوه، ثم جاء مروان بن الحكم من مصر إلى الشام وطلب البيعة لنفسه، فبايعه بنو أمية في الجابية قرب الشام، ثم بايعه أهل الشام وأصبح خليفة المسلمين فانتقل الملك من آل أبي سـفيان إلى آل الحكم بن أبي العاص الذي كان طريد رسول الله، صلى الله علـيه وسلم إذ كان جاراً لرسول الله في المدينة، وانتبه إليه النبي ذات يوم، فوجـده ينظر إليه من طاقة في البيت فقال لـه: لا تجاورني في بلد أبداً، فرحل إلى مصر، طيلة حياة رسول الله ومدة خلافة أبي بكر وعمر، حتى أعاده عثمان إلى المدينة بضغط من أقاربه، وكان هذا واحداً من أقوى أسباب الفتنة.

إن معاويـة هـو الذي هبط بدولة الإسلام من خلافة راشدة وحكم يؤخـذ بالشورى، ومشاركة للمسلمين فيه، وحقهم في محاسبة الخليفة وولاته، إلى ملـك وراثي استبدادي فردي، فعليه وزر ذلك ووزر من عمل به من بعده دون أن ينقص من أوزارهم شيء، فالمسلمون أعز على الله من أن يكونوا تراثاً يرثهم رجل عن رجل دون أن يكون لهم من أمر أنفسهم شيْ.

كان الخليفة يطلب من أهل بيته خاصة واتباعه عامة أن يباعوا لابنه أو لأبـنائه، فيسـرعون إلى ذلـك فتصبح البيعة منعقدة لأنه رضي بها جماعة من المسـلمين، ثم يدعـى الـناس إلى البيعة العامة، ويأخذ الولاة في الأمصار بيعة

رعاياهم لولي العهد الذي بايعه أهل العاصمة، فيبايعون ويعاهدون على الطاعة وقد حلفوا بالطلاق والعتاق واستحلال المال والدم لمن نقض البيعة.

إن الله تعالى فرض على نبيه اتباع الشورى فقال جل من قائل: (وشاورهم في الأمر) وقال تعالى: (وأمرهم شورى بينهم).

وليس المقصود بالشورى أن يستمع الحاكم إلى آراء المستشارين ثم يحكّم في النهاية رأيه ومصلحته، إذ لا معنى للشورى إن كانت على هذه الشاكلة.

بل المقصود بها أن يستشير الحاكم أولي الرأي والنصيحة، ثم يلتزم بما اتفق عليه إجماعهم أو أغلبيتهم وله أن يميل إلى الرأي الذي يراه أنسب، إذا اختلفت الآراء وانقسمت قسمين أو اقساماً متساوية أو متقاربة.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو القدوة في ذلك كله إذ كان يستشير أصحابه ويلتزم برأي الأغلبية.

سمع رسول الله والمسلمون أن قريشاً خرجت لقتالهم ثأراً لمعركة بدر فاجتمع بأصحابه وأهل الرأي والمشورة، وكان رأيه ورأي شيوخ المسلمين أن يتحصنوا بالمدينة، فيقاتلوا العدو في أزقتها وتعينهم النساء من ظهور المنازل، فيقذفن العدو بالحجارة، وبذلك تسهل هزيمته، وكان رسول الله قد رأى في منامه أن سيفه يثلم، وأن بقرة له تذبح، وأنه أدخل يده في درع حصينه، وكان تأويل الرؤيا أن هزيمة ستحل بجيشه، أما البقرة التي تذبح، فرجل من أقرب الناس إليه يقتل وهو حمزة بن عبد المطلب وأما الدرع الحصينة، فهي المدينة المنورة.

كان رأي رسول الله واضحاً، مشفوعاً بالرؤيا، ورؤيا الأنبياء حق، إلا أن الشباب أصروا على الخروج لملاقاة العدو.

ونظر رسول الله فوجد الشباب أكثرية وهو والشيوخ أقلية، فألزم نفسه بـرأي الأكثرية وهو متأكد أنه ليس الأصوب وخرج إلى أحد، وكان ما يعرفه الجميع من أمر أحد.

فالشـورى الصورية، لملوك الإسلام لم تكن هي ما أمر الله به لكن الله أمـر بالشـراكة الملزمة في اتخاذ القرار، شراكة بين الحاكم وأولي النهى والتقى والصـواب مـن المسلمين، مع حق المسلمين في خلع الحاكم إذا تبين لهم عدم صلاحه.

ولو استمر نهج الحكم، بهذه الطريقة التي التزم بها الخلفاء الراشدون لما وقف عددهم على أربعة أو خمسة، بل لكان جل خلفاء الإسلام راشدين ولتغير وجه التاريخ إلى الأحسن، بالنسبة لأمتنا وللبشرية جمعاء.

إن تولـية معاوية ليزيد، ليست بأعظم من قتله حجر بن عدي الكندي الذي أخلقت[٤٢٣] العبادة وجهه.

ويعتذر عنه بعض مؤرخي السنة، بأن المسؤولية في قتل حجر وأصحابه إنمـا تقـع على عاتق زياد بن أبيه، فهو الذي لفق التُّهَم ضد حجر وأصحابه وأشـهد عليها كثيراً من وجوه الكوفة، وبعث بالشهادة والشهود في كتاب إلى معاوية، وينحصر ذنب معاوية في أنه سارع إلى قتلهم قبل أن يتحقق من صحة الـتهم، لكن الحقيقة أن حجراً كان واحداً من أشد أنصار علي إخلاصاً لـه، فقـد صـادف كـتاب زياد هوى في نفس معاوية، فسارع إلى تنفيذ العقوبة للتخلص من شفاعة الشافعين.

أرسـلت عائشة أم المؤمنين عبد الرحمن بن الحارث إلى معاوية ليكلمه في حجـر وأصحابه، فقدم عليه وقد قتلهم، فقال عبد الرحمن: أين غاب عنك حلم أبي سفيان؟

فقال: حين غاب عني مثلك من حلماء قومي، وحملني ابن سمية فاحتملت، ولما بلغ الحسن البصري قتل حجر وأصحابه قال: أصلوا عليهم وكفنوهم ودفنوهم واستقبلوا بهم القبلة؟

قالوا: نعم.

قال: حجوهم ورب الكعبة[٤٢٤].

وعندما علمت عائشة بقتل حجر، قالت: لولا أننا لم نغير شيئاً الا صارت بنا الأمور إلى ما هو أشد منه، لغيرنا قتل حجر، أما والله إن كان ما علمت لمسلما حجاجاً معتمراً[٤٢٥].

قال الحسن البصري-وهو من أئمة أهل السنة في العصر الأموي-:

أربع خصال كن في مغاوية، لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة:

انتزاؤه على هذه الأمة بالسيف، واستخلافه بعده ابنه سكيراً خميراً، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: الولد للفراش وللعاهر الحجر[٤٢٦]، وقتله حجراً وأصحاب حُجر، فيا ويلاً له من حُجر وأصحاب حجر ويا ويلاً له من حجر وأصحاب حجر[٤٢٧].

معاوية وزياد ابن أبيه

مما أخذ على معاوية أنه نسب زياداً إلى أبي سفيان، وهذا غير جائز شرعاً، لأن الولد لا ينسب إلى العاهر إذا ادّعاه، وإنما ينسب إلى الذي ولده، وإذا كان ثمة شك في صحة الأبوة، فينسب إلى الذي هو زوج أمه إن كانت زوجة أو سيدها إن كانت أَمَة فإن لم يُعْلم صاحب الفراش دعي باسمه أو نسب إلى أمه.

موجـــز القصـــة: كـــان للحارث بن كلدة الثقفي –الطبيب المشهور– جاريـــة تســمى سُــمية، أهداه إياها دهقان من دهاقين الفُرس بعد أن عالجه الحـــارث من وجع شديد في بطنه فولدت من الحارث نُفَيعاً ونافِعاً، وكان نُفيْع يدعـــى أبا بكرة وهو من الصحابة فأبى الحارث أن يعترف بهما، ثم اعترف بأبي بكرة عندما نـــزل على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأبى الاعتراف بأخيه نافع.

وبعـــد أن ولدت لـــه الولدين أهداها الحارث لغلام لـــه يسمى عُبَيْداً وكـــان أبـــو سفيان قد سار إلى الطائف فنـــزل على رجل يقال لـــه أبو مريم الســلولي، فأتاه أبو مريم بسمية فحملت منه بزياد، وولد زياد على فراش عبيد وكـــان كثيرون ينسبونه إليه فيقولون: زياد بن عبيد أو زياد ابن أبيه، ولم ينبئ أبـــو ســـفيان بذلك أحداً ولم يهتم بالمولود ولم يطالب به حتى رأى عليه مخايل الذكاء.

أرســله عمر إلى اليمن لإصلاح فساد، وعند رجوعه إلى المدينة ألقى خطـــبة لم يُسْـــمَع بمثلها، فقال عمرو بن العاص: أما والله لو كان هذا الغلام قرشـــياً لساق الناس بعصاه. فقال لـــه أبو سفيان: والله إني لأعرف أباه، فقال لـــه علي: ومن هو؟ قال: أنا، ثم أنشد في ذلك أبياتاً من الشعر.

وفي خلافة أمير المؤمنين علي، أرسله علي والياً إلى فارس ونواحيها فقام بالولايـــة خير قيام وصار معاوية يكاتبه، ليعقد معه صفقة يضمه إلى نسب أبي ســـفيان، على أن يتحول زياد من الولاء لعلي، إلى الولاء لمعاوية، فكتب زياد بذلـــك إلى عليّ، فكتب إليه علي: إنما كانت من أبي سفيان فلتةٌ زَمَن عمر، لا تستحق بها نسباً ولا ميراثاً، وإنما معاوية يأتي المؤمن من بين يديه ومن خلفه.

فـأيقن زياد أن أبا سفيان ادعاه لنفسه فعلاً وقال: شهد لي أبو الحسن وربّ الكعبة.

لكـن زياداً ظل على ولائه لعلي، طيلة حياة أميرالمؤمنين وظل معتصماً بفارس أربع سنوات بعد وفاته، ثم أجاب معاوية إلى ما طلب، فقبل بالانتساب إلى أبي سفيان وأعطى ولاءه لمعاوية، فولاه معاوية العراق. وكثر حديث الناس في هذه المسألة.

غضـب عليه أبو بكرة- أخوه لأمه- وآلى إلاّ يكلمه أبداً وقال: هذا زنّـى أمّه، وانتفى من أبيه، والله ما رأت سمية أبا سفيان قط، وكيف تعامله أم حبيبة بنت أبي سفيان، أم المؤمنين.

أيَـراها فيهـتك حرمة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وإن حجبته فضحته.

وعـارض هذه النسبة سعيد بن المسيّب وروي عنه أنه قال: أول قضاء كان في الإسلام بالباطل استلحاق زياد[٤٢٨].

ورفضـت أم المؤمـنين، أم حبيـبة بنـت أبي سفيان، الاعتراف بهذا الانتساب و لم ترفع الحجاب عن زياد.

وتكلم الشعراء فأكثروا، وسخروا من هذه النسبة التي يعلم الجميع أنها كانـت صـفقة بين زياد ومعاوية كالصفقة التي كانت بين معاوية وعمرو بن العاص، ومن أطراف ما ورد فيها، أبيات يزيد بن مفرغ الحِمْيَري:

ألا بلّـغ معاويـة بـن حـرب	مغلغلـةً مـن الرجُل اليماني
اتغضـب أن يقـال أبـوك عَـفٌ	وترضـى أن يقـال أبوك زانِ
وأقسـم إن قـربك مـن زيـادٍ	كقُـربِ الفيل من وَلَد الأتانِ

كـــان زياد ذا كفاءة نادرة، فحكم العراق وأخضعها لسلطان معاوية وهـــو الذي أرسل إلى معاوية حجراً الكندي وأصحابه وأرسل إليه بكتاب فيه تُهم كثيرة لهؤلاء وعليها أكثر من خمس عشرة شهادة من وجوه أهل الكوفة.

يروى أن زياداً في آخر حياته كتب إلى معاوية: يا أمير المؤمنين أخذت العراق بشمالي وبقيت يمني فارغة، يريد ولاية الحجاز.

وسمع بذلك عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، فرفع يديه إلى السماء وقـــال: الله أكفنا يمين زياد، فأصاب يمينه الطاعون، وأشار عليه الأطباء بقطعها فجزع من ذلك، وما زال فيها الطاعون حتى قتله[٤٢٩].

خاتمة هذا الفصل

يتلخص موقف السنة من معاوية في أنه صحابي، وإن كان من الطلقاء وأن لـــه مع السيئات حسنات.

أمـــا الشيعة فيرون أنه ليس لمعاوية أية ايجابيات تُذكر فقد عادى علياً فأصـــابه دعـــاء رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الذي دعاه لعلي في حديث غديـــر خـــم (اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه)، وإذا كان لـــه شيء من ذلـــك، فقتل مسلم بريء أكبر كبيرة بعد الشرك كيف وهم أربعة عشر مسلماً بريئاً، كيف ثم إن قتل حجر ما هو إلاّ واحد من ذنوبه وليس بأعظمها.

ويـــتفق الســـنة والشيعة على إيثار علي بمحبتهم وتقديرهم وإعجابهم وخالص ثنائهم.

الفصل السابع

السنة والشيعة والدولتان الأموية والعباسية

الدولتان في منظار أهل السنة

يرى أهل السنة أن ملوك الدولتين الأموية والعباسية، مسلمون لم يبلغوا مرتبة الخلفاء الراشدين في العدل والتقوى، لهم حسنات كما لهم سيئات لم ينالوا السلطة برضى المسلمين وإنما كانوا يُفرضون على الأمة فرضاً، إلاّ أنهم كانوا يصلّون ويصومون ويحجون ويغزون لنشر الإسلام وللدفاع عن الثغور.

وكانوا يعيِّنون قضاة يحكمون بالقرآن والسنة على تفاوت بينهم في العدل وكان بعض الخلفاء في الدولتين خيراً من بعض، ذلك أن الخليفة كان يورث ابنه الملك، مهما كن مستوى استعداد ابنه وكفاءته فالنتيجة أن يحكم المسلمين خليفة أعطاه الله مواهب الحكم، ثم يحكمهم آخر، لا يستحق هذا المنصب وكان خير خلفاء الدولتين عمر بن عبد العزيز.

ولكن عمر لم ينل الخلافة بالوراثة وإنما أعطاه إياها ابن عمه سليمان بن عبد الملك، وكان يحبه لأن عمر نهى الوليد بن عبد الملك عن إقصاء سليمان من ولاية العهد، وليجعلها في أكبر أولاده.

سار عمر بن عبد العزيز في الملك سيرة الخلفاء الراشدين حتى عدّوه خامسهم ولم يطل به العهد إذ توفي شاباً ولم يمض على خلافته أكثر من سنتين، وعادت الخلافة من بعده إلى يزيد بن عبد الملك، ثم إلى هشام بن عبد الملك آخر خلفاء الدولة الأموية.

وزالت الدولة الأموية، ولم تعمر إلا اثنتين وتسعين سنة وقامت الدولة العباسية التي خاضت حروباً مع الأمويين ثم مع العلويين بقيادة محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم.

وتوارث خلفاؤها الملك مثلما توارثه الأمويون، وساروا سيرة الأمويين في البطش بالخصوم وعدم التحفظ من القتل وإراقة الدماء، مع أنهم كانوا يقيمون أركان الإسلام هم ورجال دولتهم جميعاً.

وصار كل خليفة يوصي لابنه أو لبنيه، وكثر النزاع بين الأبناء حتى ضعفت الدولة العباسية وظل الخلفاء العباسيون صوريين، محكومين لأمرائهم مدة أربعمائة سنة إذ لم تستمر فترة قوة الخليفة العباسي أكثر من مائة سنة.

والحقيقة أن الخلافات بين السنة والشيعة بالنسبة إلى الدولتين ليس لها تلك الأهمية التي حظيت بها الخلافات بينهما في المسائل الأخرى.

السنة والشيعة وهارون الرشيد خصوصاً

يعتبر الخليفة العباسي هارون الرشيد أكثر خلفاء الدولتين مثاراً للجدل بين السنة والشيعة-يبدي أهل السنة اعجاباً بهارون الرشيد، أشهر خلفاء العباسيين، والذي بلغت الدولة الإسلامية في عهده أوج ازدهارها وقوتها وسعتها، وتروي كتبهم أنه كان شخصية فذة، متعددة المواهب، وأنه كان مقبلاً على الآخرة، إقباله على الدنيا ومجدها.أكثر ما يعجبهم في هارون الرشيد، أنه كان يحج عاماً ويغزو عاماً. وأنه كان عالماً، يحب العلماء ويحترمهم ويقرّبهم. وأنه كان شجاعاً في الحق، ذا هيبة عظيمة لا تزال مضرب المثل.

ولقد عدد المؤرخ الشيعي اليعقوبي سنوات حجه وغزوه، فذكر أن الرشيد حجّ في خلافته سنة ١٧٠، ١٧٣،١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٩، ١٨١، ١٨٨هـ، فكانت تسعَ حجات وهو خليفة.

وغزا سنة ١٨٠هـ وفتح حصن صُفصاف، وغزا سنة ١٩٠هـ هرقلة والمطامير وخرج سنة ١٩١هـ وهو يريد الغزو، ولما صار بالحدث بين سوريا وبلاد الروم، أقام بالثغر، وأرسل هرثَمة بن أعين بدلاً منه وظل بالثغر حتى عاد هرثمة[٤٣٠].

وكان يُقَرّبُ العلماء ويُعَظّم أهل الزهد والورع، وكثيراً ما قَصَد الفُضيل بن عياض في بيته، واستمع إلى مواعظه، وبذل الخليفة جهده في أن يَقْبَل الفُضَيل بِرّه، وكان الفُضَيْل يأبى قبول شيء من ذلك[٤٣١].

أما الشيعة فينظرون إلى الجانب السلبي منه، فيعدون هارون الرشيد من الحكام الجبابرة، بل ومن الجاهلين الظالمين، لما روي عنه من شدّته على آل البيت الكريم تلك الشدة والقسوة اللتين ورثهما عن أبيه المهدي وجده المنصور، فقبْل هارون الرشيد، اضطهد المنصور جعفر الصادق وسائر أفراد البيت العَلَوي الكريم، وقَتَل محمد النفس الزكية، وأخاه إبراهيم، وضيّق على أبيهم عبد الله بن الحسن.

أما هارون الرشيد، فحَبَسَ موسى الكاظم في بغداد، ثم دبّر له القتل في الحبس، وأدخل عليه جماعة من الشهود، فشهدوا أنه مات حتف أنفه[٤٣٢].

ولم يكن الكاظم ضحيته الوحيدة من آل أبي طالب، ويروى أنه قتل منهم الكثيرين.

روى حميد بن قحطبة الطائي وكان من قادة الرشيد، أنه قتل بأمر الرشيد ستين رجلاً بين شاب وكهل وشيخ، كلهم من آل علي بن أبي طالب، وآل جعفر بن أبي طالب، ورمى بهم في بئر[٤٣٣].

وليســت هذه الأخبار في كتب الشيعة وحدهم، بل هي في كتب أهْل السنة أيضاً. نقل الأستاذ عبد المنعم خفاجي ما أثبته ابن عبد ربه في الجزء الثاني من العقد الفريد وهو قوله: كان الرشيد يقتل أولاد فاطمة وشيعتهم[٤٣٤].

والصحيح أن هارون الرشيد كان جريئاً على القتل، كان يقتل كل من يشـك في ولائـه، بل إنه قَتَل البرامكة وهم يدينون لـه بالولاء والطاعة، ولم يظهر منهم خلاف ذلك، وتشهد أخبار السنة وأشعارهم وحكاياتهم، ونوادرهم أن آل بـرمك، كانوا خير وزراء أنجبتهم العصور بفضلهم وكرمهم الذي وسع البعيد والقريب، وتعطفّهم على المسكين وابن السبيل.

أمـر الرشيد بقتل جعفر دون أن يوجّه إليه أية تهمة محددة، فيمَكنه من الدفاع عن نفسه، أو يعرضه على قاض ينظر في ذنبه، فيحكم عليه بما يتناسب والذنب ولم يلتفت الرشيد إلى ما جاء في كتاب الله من الوعيد الشديد لمن يقتل نفساً بغير نفس أو فسادٍ في الأرض.

اتهام الشيعة للرشيد بالجهل

بعـض المعجبين بالرشيد من أهل السنة، ويرفضون ما يلصق الشيعة به مـن صفة الجهل، ويقولون: كيف يكون الرشيد جاهلاً؟ لقد كان ملكاً رشيداً صائب الرأي، غزير العلم، كثير العبادة.

ويـرد الشيعة عليهم بالوقائع التي يعرفها كل سني وشيعي، وهي توليته الأمـين والمأمون لولاية العهد وكلاهما ابن ثلاث عشرة سنة، فقد ولد كلاهما سـنة ١٧٠هـ، كان الأمين ابن زبيدة بنت جعفر بن المنصور أما المأمون فهو ابن جارية فارسية تسمى مراجل.

وكتب لهما بولاية العهد سنة ١٨٣هـ وجعل الولاية الأولى للأمين إرضاءً لزبيدة، مع أنه أصغر من أخيه بستة أشهر.

وارتكب الرشيد في هذه التولية ثلاثة أخطاء كبيرة كلّفت المسلمين شططاً، أولهما أنه ولاهما العهد الواحد تِلو الآخر، وجعل في يد المأمون من القوة مثل ما في يد الأمين، ونسي أو تناسي ما تجر ولاية العهد لأكثر من واحد، من خصام واقتتال بين الإخوة، خاصة إذا كانا متعادلين في الإمكانات.

تجاهل الرشيد ما وقع بين أبناءِ عبد الملك من تباغض وشقاق بسبب تعدد ولاية العهد، وما كان له من أثر بالغ السوء على الدولة الإسلامية.

ولم يعتبر الرشيد بما جرّت ولاية العهد على عيسى بن موسى من هوان وما أحدثت من شقاق في صفوف المسلمين، بين مؤيد له ومؤيد للمهدي بن المنصور ولم يخطر بباله أن الأمين قد يحاول ما حاول موسى الهادي أخو الرشيد الذي أراد أن يخلع أخاه هارون من ولاية العهد لولا أن فاجأه الموت فأراح المسلمين من فتنة عظيمة.

أما الخطأ الأكبر، فهو جَعْله ولاية العهد الأولى للأصغر، الأقل نجابة وَجَعَل للمأمون، ذا المواهب والاماكانات، والأكبر سناً، ولاية العهد الثانية فوضع الرجل غير المناسب في المكان الذي يستحقه الرجل المناسب، فيكاد المؤرخون يُجمعون على أن الأمين كان محباً للهو والغناء، غير معني بالخلافة وشؤونها.

ويستحسن الدكتور حسن إبراهيم حسن كلمة ابن الأثير في وصف الأمين، وهي قوله: لم نجد للأمين في سيرته ما نستحسنه فَنَذْكُرَه[٤٣٥].

صحيح أن الرشيد حاول أن يحتاط لمثل هذا الأمر فأخذ على كلا الأخوين أغلظ الايمان وأوثق العهود، وكتب عليهما صكاً أشهد عليه المسلمين

وجعله في الكعبة كي لا يغدر أحدهما بأخيه، ولكن كان عليه أن يعلم أن حبراً على ورق لا يحول دون وقوع الفتنة إذا اختلفت المصالح السياسية.

أمـا الخطأ الثالث الكبير فهو أن الأمين والمأمون كانا عندما بويع لهما بولاية العهد غلامين في الثالثة عشرة من عمريهما، لم يُعْرَف خيرهما مِن شرِّهما مـع أن المفروض أن تكون ولاية العهد لبالغ راشد قد عُرِف بالصلاح والتقوى والكفاءة.

إن الـدول المتحضـرة الـيوم تشترط في نائب الرئيس ما تشترط في الرئـيس. والسن المعقولة من الشروط التي لا يمكن التلاعب بها، وأغلب الدول لا ترضى بحاكم أو نائب حاكم لم يبلغ الأربعين من عمره.

تـولى الأمين الخلافة وهو ابن ثلاثٍ وعشرين سنة، فأحاطت به بطانة السوء، فزينت لـه خلع أخيه فخلعه، ورفض أخوه الإذعان، وكان والياً على فارس، فجمّع أعوانه هناك، وكان معظم الفُرس من أعوانه، فهم أخواله، ثم إنه كـان قـادراً عـلى كسب تأييد الناس، كما أن الجميع كان يعلم أنه مظلوم موضوع في غير موضعه.

أمـا العرب فانقسموا على أنفسهم، بعضهم أيّد الأمين وبعضهم وقف مـع المـأمون حتى دخل الشقاق كل بيت من بيوت المسلمين، هذا مع الأمين وهذا مع المأمون.

لقـد تسبب الرشيد بفتنة عمّت أرجاء المملكة الإسلامية بسبب تلك الولايـة المشؤومة، وأرسل المأمون من خراسان جيشاً بقيادة طاهر بن الحسين فحاصر بغداد ثم دخلها وقَتَل الأمين.

شـعر المـأمون، بأنه لا خير في العصبية، فهذا أخوه خلعه ببساطة ولم يلتفت إلى الوثيقة المغلّظة، وقبل ذلك ظلمه أبوه نـزولاً عند رغبة زبيدة وشعر

المأمون بمقدار الظلم الذي ألحقه أباؤه وأجداده بآل البيت العلوي، فقرر أن يُصلح ذلك كله، فجعل الإمام علياً الرضا، ولي عهده، فثار البيت العباسي عليه وخلعه قبل وصوله من فارس إلى بغداد، وجعل عمّه إبراهيم بن المهدي خليفة بدلاً منه.

وتوفي علي الرضا في ظروف غامضة، وسار المأمون إلى بغداد، فهرب عمه إبراهيم واختفى، ثم ألقى عليه القبض وعفا عنه.

إن المؤرخين المعتبرين من أهل السنة، يحمّلون الرشيد مسؤولية الفتنة التي وقعت بعده.

يقول الدكتور حسن إبراهيم حسن في تاريخه المشهور: على أننا إذا دققنا في هذه الفتنة، رأينا أن الرشيد كان السبب في هذه النكبات كلها لأنه:

أولاً: ولّى الأمين دون المأمون مع أن المأمون أكبر سناً.

ثانياً: أعطى المأمون امتيازاً كبيراً فيما أقطعه إياه، فاستطاع أن يناوئ الأمين ويتغلب عليه.

ثالثاً: أن الأمين مال إلى تولية ابنه دون أخيه[٤٣٦] (وكان على الرشيد أن يأخذ في الحسبان احتمال وقوع ذلك).

أهم مآخذ الشيعة على الدولتين عموماً

١- ظلم الدولتين لآل البيت، واغتصابهما الملك ممن هو أحق به، فالخلافة في زمن الأمويين لم تكن من حق معاوية ولا من جاءوا من بعده، بل كانت من حق أمير المؤمنين وأبنائه من بعده وآخرهم محمد بن الحسن العسكري، المهدي المنتظر.

كانت حجة الأمويين أن العرب صفوة الأمم، وأن قريشاً صفوة العرب وبنو عبد مناف صفوة قريش، فالخليفة منهم خليفة بحق وبنو أمية هم أحد فرعي عبد مناف، لأن هاشماً وعبد شمس شقيقان، فهما ابناعبد مناف.

ويردُّ عليهم الشيعة بأنه ما دام القرب من رسول الله، مصدر الحق للخلافة فأبناء هاشم أحق وأولى من أبناء عبد شمس وأحق آل عبد المطلب بالخلافة عليّ وأبناؤه.

لقد عبر شعراء الشيعة في العصر الأموي عن هذا الموقف في أشعارهم ومنهم على سبيل المثال الكميت بن زيد الأسدي الذي عارض حجة بني أمية القائلة بأن الوراثة ليست في أبناء بنت رسول الله خصوصاً ولكنها في قريش عموماً ومن أشهر قصائده بائيته التي مطلعها:

طربت وماشوقاً إلى البيض أطرب ... ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب

يقول في موضوع الوراثة[437]:

بحقكم أمست قريش تقودنا ... وبالفذّ منها والرديفين نُركب[438]

وقالوا ورثناها أبانا وأمّنا ... وما ورثتهم ذاك أمّ ولا أب

فدىً لك موروثاً أبي وأبو أبي ... ونفسي، ونفسي بعد بالناس أطيب

وتُستخلف الأموات غيرك كلهم ... ونعتب لو كنا على الحقّ نُعتب

يقولون لم يورث ولولا تراثه ... لقد شُركت فيه بكيل وأرحُب[439]

وعكٌّ ولخم والسّكون وحِميَرُ ... وكندة والحيانِ بكر وتغلب[440]

وما كانت الأنصار فيها أذلَّةً ... ولا غُيباً عنها إذ الناسُ غُيبُ

هم شهدوا بدراً وخيبرَ بعدها ... ويوم حُنَين والدماءُ تصبّبُ

وإن هي لم تصلح لحيّ سواهم ... فإن ذوي القربى أحق وأقربُ

أمـــا في زمن الدولة العباسية، فتطورت حجة العباسيين فادعوا أنهم هم ورثــة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فهم أبناء العباس بن عبد المطلب، عمّ النبي، وحق الميراث كان للأعمام لا لأبناء البنات ورد عليهم الشيعة بأن الميراث إنمـــا هو لأبناء البنات، فللبنت نصف ميراث أبيها، وليس للعم ميراث. وعبّروا عن مواقفهم بالشّعر، فقال مروان بن أبي حفصة يمدح المهدي ويؤيد وجهة نظر العباسيين:

يـــا ابن الذي ورث النبيّ محمداً ... دون الأقارب من ذوي الأرحام

الوحيُ يبين بني البنات وبينكم ... قَطَع الخصامَ فلاتَ حين خِصام

مـــا للنساء مع الرجالِ فريضةُ ... نـــزلت بذلك ســـورةُ الأنـــعام

أنى يكون ولـــيس ذاكَ بكائنٍ ... لِـــبنَي البناتِ وراثـــة الأعـــمام

فرد عليه دعبل الخزاعي مدافعاً عن موقف آل البيت العلوي:

لِـــمَ لا يكونُ وإن ذاك لكائنٌ ... لـــبني البنات وراثةُ الأعـــــمام

للبنـــت نصفٌ كاملٌ من ماله ... والعم متروك بغير ســـــــهام

مـــا للطلـــيق وللتراث وإنـــما ... صلى الطليقٌ مخافة الصمصام[٤٤١]

أما الجور الذي اتصف به حكام الدولتين ضد آل البيت وشيعتهم فهو شيء لا يكاد يوصف، من تقتيل وسجن وتشريد.

قَـــتَل الأمويـــون الحسين وآل بيته وزيد بن علي بن الحسين وشيعته وأنصاره ويحيى بن زيد وغيره كثيرين من أبناء علي ابن أبي طالب وأبناء جعفر ابن أبي طالب.

أما الدولة العباسية فعلى يدها قُتل الكثيرون من أبناء علي وأبناء جعفر وخاصة أبناء عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهم أربعة محمد وإبراهيم وقُتلا زمن المنصور ويحيى دخل حبس الرشيد وإدريس هرب إلى المغرب وأسس دولة الأدارسة[٤٤٢].

فاتسمت حياة الشيعة بالخوف والترقُب دائماً، وفاضت بذلك أشعارهم التي غلب عليها طابع الحزن الشديد.

وكانت الدولة العباسية بالنسبة للشيعة شراً من الأموية وأعظم بطشاً وإرهاباً حتى قال الشاعر:

يا ليت جور بني مروان دام لنا ... وليت عدل بني العباس في النار

وظل أبناء علي بن أبي طالب، هاجساً في ذهن الخلفاء العباسيين لأنهم مصدر الخطر الأكبر لما يتمتعون به من كثرة الأنصار فكان العباسيون يلاحقونهم ويحبسونهم ويقتلونهم على الوشايات.

إلا أنه على الرغم من بطش الدولة العباسية فإن العلاقة بين الشيعة والدولة العباسية ظلت في عهد الخلفاء الأقوياء، علاقة الرعية بالراعي بشكل عام وكان الشيعة يؤمنون بالتقية ويشترطونها على أتباعهم كي لا يحل بهم ما حل بالخوارج من تقتيل وتشريد ومع أن أئمة الشيعة كانوا مصدر خوف الخليفة العباسي إلاّ أنهم كانوا موضع احترامه واحترام المسلمين بشكل عام، إذ كانوا أئمة تقىً وهدى وصلاح لم يدعوا إلى ثورة ولم يشقوا عصا الطاعة وكانت التقية عندهم تقضي بألاّ يخرج الشيعي عن الطاعة للخليفة على ألا يركن في محبته وولائه وأخذ العلم والفتوى، إلاّ إلى الأمام القائم في عصره، من أبناء الحسين بن علي بن أبي طالب.

لم يكن بين الشيعة والسنة في فترة ازدهار الدولة العباسية إلاّ ما يكون بين الأحزاب السياسية التي تختلف فيما بينها في الآراء، وتلتقي على طاعة الحاكم، وتُحرِّم أن يَسُلّ المسلم سيفاً على المسلم.

حالة الدولة والشعب بعد ضعف الخلفاء

كان مقتل الخليفة العاشر المتوكل على الله، حداً فاصلاً بين عصر قوة الخليفة وهيمنته التامة على شؤون الدولة، وعصر ضعف الخلفاء العباسيين واستيلاء القادة الأتراك على مقاليد الحكم ومنذ ذلك التاريخ ساءت أوضاع الخلفاء، وصار قتل الخليفة أو عزله من أسهل الأمور على القادة.

كان الخلفاء في فترة الضعف، وبالرغم من هوانهم ومذلتهم أمام قادتهم الأتراك-كانوا شديدي البغض لعليّ وأهل بيته وشيعتهم، وخاصة المتوكل الذي أسرف في عداوته لأبناء عمومته العلويين، وأمر في عام ٢٣٧هـ بهدم قبر الحسين بكربلاء[٤٤٣].

وتأصلت العداوة بين السنة والشيعة في ذلك العصر بتأثير عوامل عدة أهمها أن روح ذلك العصر ألقت بظلالها على طبيعة العلاقات بين الأحزاب والفئات المختلفة، فعندما صار الخليفة العباسي ألعوبة بأيدي الأتراك، ولم يعد رمزاً لوحد المسلمين واستقرارهم، وأصبحت طبيعة العلاقة بين القوى السياسية العداء والاقتتال ومن انتصر حاز على السلطة، وأصبح أمير الأمراء ببغداد، وقلده الخليفة كل المناصب والألقاب.

وكثُرَت في هذه الفترة الفرق، وظهرت فيها فِرقة أهل السنة والجماعة وهم الأشاعرة.

لم يكن بين الفرق الإسلامية قتال بالسيوف، بل كان قتالاً بالألسن أما القتال بالسيوف، فكان شأن القادة الأتراك الذين لم يكونوا يعرفون إلاّ لغةَ البطش الذي لا يرحم، قاتلوا الفرس ليأخذوا ما كان بأيديهم من مال وسلطة فعدّه البعض قتالاً بين السنة والشيعة، لكنه كان في الحقيقة قتالاً قومياً ومصلحياً، ولقد أخضع الأتراكُ العربَ والفُرسَ، فاثنوا يتفننون في اذلال الخلفاء

وتعذيبهم وقتلهم ونهب التجار وسلبهم والاعتداء على الحرمات، ولقد وصف ابن المعتز عهدهم أبلغ وصف في أرجوزته عن تاريخ المعتضد فقال:

في كـل يـوم ملك مـقتولُ ... أو خـائفُ مـرَوّعٌ ذليـل

أو خـالع للعقد كـما يغنى ... وذاك أدعـى للـردى وأدنى

وكـم أمـير كان رأس جيش ... فنغّصـوا علـيه كل عيـش

وكـل يـوم شَغَبٌ وغَصـبُ ... وأنفُـس "مقـتولة وحـربُ

وكـم فـتىً قد راح نهباً راكباً ... إمـا جلـيسَ ملـكٍ أوكاتـبا

فوضـعوا في رأسـه السـياطا ... وجعلـوا يـردونه شـطاطا[٤٤٤]

وكم فتاةٍ خرجت من منـزل ... فغصـبوها نفسـها في المحفـل

فخصـل الـزوج لضعف حيلته ... عـلى نواحـه ونـتفِ لحيـته

كـذاك حـتى افقروا الخلافة ... وعوّدوهـا الرّعـب والمخافـة

حـتى إذا مـا ارتفـع الـنهار ... ضَـجّت هـا الأصـوات والأوتار

ودارت الـسـقاةُ بـالمدام ... وارتُكبـت عظـائم الآثـام

ثم انقضـى ذاك كـأن لم يُفعَل ... والدهـر بالإنسـان ذو تحـوّل

فمـا بكـت علـيهم السماء ... لمـا أتـيحَ لهـم القضـاءُ

فـتلك أطـلال لهـم قِفـارا ... تـرى الشـياطين بهـا نهـارا

هـؤلاء هم أول من حَمَل لواء السّنة بأسلوب سياسي وعسكري، فلا يُشـرَف السّنة أنهم منهم، لقد كانوا جرحاً دامياً في جسد الإسلام وهم الذين

حطمّوا أعظم دولة في عصرها ومهدوا الطريق لأعداء الإسلام لكي ينهشوا من لحمها.

والاقتتال بين السلاجقة الأتراك وبين البويهيين الفرس، كان قتالاً بين فئتين سياسيتين وقوميتين ولم يكن على الحقيقة قتالاً بين السنة والشيعة.

أما ما كان بين الفرق الإسلامية، فهو في الغالب السّباب والشتائم.

السنة يُلصقون بالشيعة كلّ عيب خطر ببالهم.

والشيعة ينسبون إلى السنة كل مخزية.

وأصحاب المذاهب الفقهية يسب بعضهم بعضاً.

وأصحاب المذاهب الكلامية يلعن بعضهم بعضاً.

ولقد حاول الاعتزال أن يفرض نفسه على عقول العلماء ففشل وانتهى الأمر بسقوطه.

ولقد لعب وسطاء السوء من رواة كذّابين، ونسّاخين ضعيفي الأمانة أسوأ الأدوار، وساعدوا على أذكاء نار الخلاف بين الأحزاب والمذاهب والفِرق.

إنه عصر نَكِد تعيس، وذلك العصر الذي ضعفت فيه السلطة المركزية فانحلّت عرى الدولة، وصار كل والٍ ملكاً، وكانوا ملوكاً لا خير فيهم للدين ولا لمصلحة المسلمين، وإنّما هَمُّ كل واحد منهم أي يدعم أركان ملكه ويورثه لابنه من بعده، ويقاتل جيرانه من الملوك، ويعتبر التعصب الشديد لمذهبه من لوازم ملكه، ومن مثبتات أركانه، لأنه يجمّع بذلك من حوله كل متعصب مثله فيكونون جنده المخلصين.

وصف الدكتور محمد فياض، أستاذ تاريخ الإسلام بكلية أصول الدين في الأزهر الشريف حالة المذاهب والفِرق في العصر العباسي بقوله:

(إن عصر التأليف الحقيقي كان العصر العباسي، في ظِل خلفاء آثروا ملكهم على دينهم، ولقد بلغ الخلاف بين العباسيين وإخوتهم العلويين مداه وتفنن كل فريق منهم بتجريح الفريق الآخر، وإلصاق المثالب والعيوب فيه

ووجـــدوا بين العلماء من فَسَد دينه وضميره، فروى كذباً لكل فريق ما يشتهي حـــتى أن ابــن تيمــية في الجزء الثاني من مناهج السنة، ليقول عن يوسف بن قزاوغـــلي المعروف بسبط بن الجوزي صاحب (مرآة الزمان): إنه كان يروي لكل من الشيعة والسنة ما يناسب مذهبه، حسب الحاجة ووفرة الأجر.

ويضـــيف الدكـــتور الفياض: وتحت يدي قائمة تحوي أكثر من ألفي رجل من الطرفين حدّثوا وكذبوا وفجروا لوجه الشيطان، زجاء المال والتقرب من السلطان.

وإلى جانــب هــؤلاء الكذابــين كان جماعة النُسَاخ، الذي ينسخون الكتب بالأجر لمن يرومها، وكان جُل هذه الطائفة من غير ذوي الدين، وكثيراً ما دسوا في الكتب ما ليس منها، حسب حاجة من يدفع الأجر[٤٤٥].

ولم يكــن الوضّاعون والكذابون هم المسئولين وحدهم عما وقع بين الفِرق من خلاف بل إن طبيعة العصر العباسي، خاصة بعد المائة الأولى من عهد الدولــة العباســية تتسم بالخلاف، وسادت فيها روح البغضاء، ولقد لفق كل منهم عن خصمه الحكايات والروايات والمُلَح، بل ووضعت أحاديث نُسبت إلى رسول الله، تمدح هذا وتذم ذاك.

كتب العالم السني الشيخ محمد عرفة مقالاً لدار التقريب في القاهرة جاء فيه أن الفرق المختلفة في عصور الفساد والانحلال لجأت إلى الشتائم، وصارت يلعــن بعضــها بعضاً، المعتزلة يعادون الأشاعرة، وكلا الفريقين يلعن المرجئة والســنة يبغضون الشيعة ويسموهم الروافض والشيعة يبغضون السنة ويسموهم الناصبة.

وامتد الخلاف الشديد والبغضاء المتبادلة إلى المذاهب الفقهية، فالمالكية يقولون: الشافعي غلام مالك.

والشافعية يقولون: أحمد بن حنبل غلام الشافعي.

والشافعية يطعنون في أبي حنيفة لأنه من أئمة الحديث، والحنفية يطعنون في نَسَب الشافعي وأنه ليس قرشياً ولا إماماً في الحديث، بدليل أن البخاري ومسلم أدركاه ولم يرويا عنه، مع أنهما لم يدركا إماماً إلا رويا عنه[٤٤٦].

وقد روى الحنفية هذا الحديث: يكون في أمتي رجل يقال له النعمان، هو سراج أمتي ويكون فيهم رجل يقال له محمد بن إدريس، هو أضَرّ على أمتي من إبليس.

هذا الحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات، وقد وضعه أحد أصحاب أبي حنيفة واسمه مأمون، وقيل: هو الحويباري[٤٤٧].

إلى هذا الحد بلغت العداوة والكراهية، بين أصحاب المذاهب الفقهية والكلامية ومع ذلك فهي هينة في جانب العداوة التي نشأت بين العباسيين والعلويين، ثم بين السنة والشيعة.

كان خلفاء بني العباس كلهم ما عدا المأمون والمعتضد والمكتفي يظهرون العداوة والبغضاء لآل علي بن أبي طالب وبلغ من بغضهم وبغض أهل السّنة للشيعة أن اعتبروهم جميعاً من الروافض المارقين الذين ينسبون الألوهية إلى علي بن أبي طالب ويعتقدون أن جبريل أخطأ في الرسالة فأعطاها لمحمد مع أنه جاء بها لعلي.

سقوط بغداد وخيانة ابن العلقمي:

مما أثار عداوة أهل السنة للشيعة ما تروي كتب التاريخ من علاقة الوزير الشيعي ابن العلقمي بهولاكو قائد التتار، وتشجيعه له على المنسير إلى بغداد سنة ٦٥٦ هـ.

موجز القصة أن الخليفة العباسي المستنصر بالله كان متسامحاً مع الشيعة فاتخذ لنفسه وزيراً منهم هو ابن العلقمي.

وكـان ولي عهده متعصباً ضد الشيعة، قليل الطاعة لأبيه، فهاجم هو وعدد من أتباعه دورهم في الكرخ وأوقع بهم، فغضب ابن العلقمي، ويقال إنه كتب كتاباً إلى هولاكو، يزيّن لـه القدوم إلى بغداد.

وزاد اتهام السـنة للشيعة بالتواطؤ ما روي أن هولاكو عندما احتل إيـران، وهمّ بالتوجه إلى العراق نهاه بعض أئمة الشيعة وقالوا لـه: إنه لم يعتد عـلى بغداد معتد إلاّ أصابته المصائب ونـزلت به النوازل، لكن العالم الشيعي نصير الدين الطوسي قال لـه: لقد غزاها كثيرون ولم تحل بهم المصائب فتشجع هولاكو، وسار إلى بغداد ومعه الطوسي الذي كان يكتب الرسائل إلى الولاة في جميع الانحاء يدعوهم إلى الطاعة للتتار ويحذرّهم من مغبة العصيان.

هـذه الروايات مشكوك فيها ومردود عليها ليس عند الشيعة وحدهم ولكن في كتب المحققين من أهل السنة، أسوق حول هذا الأمر الرُّدود التالية من كتب أهل السنة

١- إن الخـليفة العباسـي استشار معاونيه ورجال دولته، فأشار عليه ابن العلقمي-كما تذهب روايات لمؤرخين ثقات- أن يتألف هولاكو ببذل الأمـوال والـنفائس، وقال لـه إن الذخائر والنفائس تدخرَ لمثل هذا الـيوم، وإنه لا طاقة للدولة العباسية بمواجهة جيوش هولاكو، وليس أمـامهم إلاّ مصـانعته بدفع شره، إلاّ أن مستشاراً آخر للخليفة كان يلقـب بالدويدار الصغير، - كان يكره ابن العلقمي- أقنعَ الخليفة بأن ابن العلقمي غشه في النصح، وأن الأولى مواجهة هولاكو بالقوة، فقام الدويـدار وأعوانـه بالقبض على رسل هولاكو، وعذّبوهم وصادروا أموالهـم ثم إن الخليفة العباسي بعث بكتاب تهديد ووعيد إلى هولاكو فعزم هولاكو على المسير إلى بغداد[٤٤٨].

٢- من المؤكد أن هولاكو كان عاقداً العزم على المسير إلى بغداد ومنها إلى الشام ومصر وليس كتاب ابن العلقمي ولا نصيحة الطوسي - إن صحَّ أيٌّ منهما- هي التي حسمت الأمر.

٣- إذا كان الطوسي قد زيّن له المسير، فعلماء الشيعة الآخرون، الذين استشارهم هولاكو قد ثبطوا عزيمته واخترعوا له حكاية الزلازل والنوائب التي تحل بمن يدخل بغداد عنوة، فليس من المعقول أن يُحسَب على الشيعة موقف فرد واحد ويُتَجاهل موقف الأكثرية الساحقة.

٤- إذا كان الغضب قد دعا ابن العلقمي إلى دعوة هولاكو، فابن العلقمي خائن من بين آلاف مؤلفة من الخون وأعداء الأمة من محسوبين على السنة والشيعة وغيرهم كثيرين على مر العصور فليس ابن العلقمي حجة على الشيعة، ولا يمكن أن يوصمَ بفعلته كل شيعي في عصره ومن قبله ومن بعده.

٥- من الأمور التي يعرفها الجميع، أن الشيعة في الكرخ لم يتواطأوا مع المحتل، بل واجهوه بنفس الطريقة التي واجهه بها اخوانهم السنة وحل بهم من الذبح ما حل بالسنة سواءً بسواء وإن ابن العلقمي من جملة من لاقوا حتفهم على يد التتار في حين لم يتعرض الدويدار الصغير للأذى.

٦- لقد مدح ابن العلقمي كثيرون من أهل السنّة: وصفه الصاحب الفخري بأنه (من أعيان الناس وعقلاء للرجال)، وعرف ابن العلقمي بشغفه بالكتب وتقريب العلماء والأدباء، حتى لقد اشتملت مكتبته على عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب، وأهداه كثير من الشعراء دواوينهم. وكان كما وصفه ابن طباطبا (عفيفاً عن أموال الديوان وأموال الرعية، متنزهاً مترفعاً). (تاريخ الإسلام السياسي ج ٤ ص ١٥٤)

صورة مجملة

إن نظـرة أهـل السنة إلى خلفاء الدولتين الأموية والعباسية تقوم على أساس النظر إلى سلبياتهم وإيجابياتهم، إذ أن لهم مع سيئاتهم حسنات.

ومن الإنصاف أن نذكر حسناتهم وسيئاتهم ولا ينفعنا في شيء أن نذكر الحسـنات وننكر السيئات وندافع عنها، لأن تاريخ الماضيين عبرة للحاضرين والأجـيال المسـتقبل، فإقرار الظالم على ظلمه، وتزيين سيئاته يعني أننا نعطي الحكام في الحاضر والمستقبل إذناً ليغتصبوا الحكم ويبطشوا وينهبوا.

وأود في نهايـة هذا الفصل أو أورد حكاية طريفة، ذكرها ابن عبد ربه في الجـزء السـابع من العقد الفريد، وفيها من الحكمة الشيء الكثير، كما أنها تعكـس بشكل واضح وصادق شعور جمهور أهل السنة تجاه الخلفاء الراشدين وحكام الدولتين الأموية والعباسية:

قال ابن عبد ربه: قال العتبي: سمعت أبا عبد الرحمن بشراً يقول:

كـان في زمن المهدي رجل صوفي، وكان عاقلاً عالماً، ورِعاً، فتحمّق لـيجد السبيل إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان يركب قصبةً في كل جمعة يومين: الاثنين والخميس.

فإذا ركب في هذين اليومين، فليس لمعلم على صبيانه حكم ولا طاعة فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان، فيصعد تلاً وينادي بأعلى صوته: ما فعل النبيون والمرسلون، أليسوا في أعلى عليين؟

فيقولون: نعم.

فيقول: هاتوا أبا بكر الصديق.

فـيؤخَذ غلام فيُجلَس بين يديه فيقول: جزاك الله خيراً يا أبا بكر عن الرعـية فقـد عدلـت وقمـت بالقِسط وخَلَفتَ محمداً عليه الصلاة والسلام

فأحسنت الخلافة ووصلت حبل الدين بعد حَل وتنازع، وفرغت منه إلى أوثق عروة وأحسنِ ثقة، اذهبوا به إلى أعلى عليين.

ثم ينادي: هاتوا عمر.

فيُجلس بين يديه غلام فيقول: جزاك الله خيراً يا أبا حفص عن الإسلام، فقد فتحت الفتوح، ووسعت الفيء، وسلكت سبيل الصالحين وعدلت في الرعية، اذهبوا به إلى أعلى عليين بحذاء أبي بكر.

ثم يقول: هاتوا عثمان.

فأُتي بغلام فأُجلس بين يديه.

فيقول له: خلطتِ في تلك السنين، ولكن الله تعالى يقول: خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم. ثم يقول: اذهبوا به إلى صاحبيه في أعلى عليين.

ثم يقول: هاتوا عليّ بن أبي طالب.

فأجلس غلام بين يديه.

فيقول: جزاك الله خيراً عن الأمة يا أبا الحسن، فأنت الوصي وولي النبي، بسطت العدل، وزهدت في الدنيا، واعتزلت الفيء، فلم تخمش فيه بنابِ ولا ظفُر، وأنت ابو الذرية المباركة، وزوج الزكية الطاهرة، اذهبوا به إلى أعلى عليين، الفردوس.

ثم يقول: هاتوا معاوية.

فأجلس بين يديه صبي.

فقال له: أنت القاتل عمار بن ياسر، وخزيمة بن ثابت ذا الشهادتين[٤٤٩]، وحُجرَ بن الأدبر الكندي الذي أخلقت العبادة وجهه، وأنت الذي جعل الخلافة ملكاً واستأثر بالفيء، وحكم بالهوى، واستنصر بالظلمة.

وأنت أول من غير سنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم ونقض أحكامه وقام بالبغي.

اذهبوا به فأوقفوه مع الظَلَمَةَ.

ثم قال: هاتوا يزيد.

فأجلس بين يديه غلام فقال له: يا قوّاد، أنت الذي قتلت أهل الحرّة وأبحت المدينة ثلاثة أيام، وانتهكت حُرَم رسول الله، صلى الله عليه وسلم وأويت الملحدين، وبؤتَ باللعنة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمثلت بشِعر الجاهلية:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا جزع الخزرج مِن وقع الأسل

وقتلتَ حُسَينا، وحملت بنات رسول الله سبايا على حقائب الإبل.

اذهبوا به إلى الدرك الأسفل من النار.

ولا يزال يذكر والياً والياً حتى بلغَ عمر بن عبد العزيز فقال: هاتوا عمر. فأُتي بغُلام فأُجلس بين يديه فقال: جزاك الله خيراً عن الإسلام، فقد أحييت العدل بعد موته، وألنْتَ القلوب القاسية، وقام بك عمود الدين على ساق بعد شقاق ونِفاق.

اذهبوا به فألحقوه بالصدّيقين.

ثم ذكر من كان من الخلفاء إلى أن بلغ دولة بني العباس فسكت، فقيل له: هذا أبو العباس (السفاح) أمير المؤمنين.

فقال: فبلغ أمرنا إلى بني هاشم؟ ارفعوا حساب هؤلاء جملةً فاقذفوا بهم في النار جميعاً[٤٥٠] ثم يتفرق المجلس.

وإذا كان بعض الشيعة المتعصبين، لا يرون في حكام الدولتين إلاّ الجانب السيء، فكثير من الشيعة المعتدلين ينظرون إليهم بمنظار أهل السنة فيرون أنهم كانوا حكاماً مسلمين، لا نُخرجهم من الإسلام اللهم إلاّ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان إذا صح عنه روايات الزندقة، وقد روي عنه في الخبر المشهور أنه نظر ذات يوم في المصحف الشريف فوقعت عينه على قوله تعالى:(واستفتحوا وخاب كل جبّار عنيد، من ورائه جهنم ويُسقى من ماء صديد، يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان)[451].

فنصب المصحف ورماه بالسهام وهو يردد:

أتوعد كلّ جبارٍ عنيدٍ — وهَأنا ذاك جبّار عنيد

إذا ما جئت ربَك يوم حشر — فقُل يا ربّ مزّقني الوليدِ[452]

وروي عنه قوله:

حياةٌ ثم موت ثم بَعثٌ — حديثُ خرُافةٍ يا أمّ عمروِ

ويزيد بن معاوية إذا صحت عنه الزندقة أيضاً.

يقول العالم الشيعي آل كاشف الغطاء في حديثه عن خلفاء الدولتين الأموية والعباسية: ثم لا يذهبنّ عنك أننا نريد أن ننكر ما لأولئك الخلفاء من الحسنات وبعض الخدمات للإسلام التي لا يجحدها إلاّ مكابر تلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، وحسابهم على الله، إن عفا فبفضله، وإن عاقَبَ فبعدله[453].

الدولتان الصفوية والعثمانية

أسس الدولة الصفوية الشيعية الشاه اسماعيل الصفوي المولود سنة ٨٩٢ هـ، وكان جلوسه على عرش السلطة في إيران سنة ٩٠٦هـ[454].

وهـــو الذي وحدّ ايران ثم أخذ يتطلع إلى ضم العراق لتكون للشيعة دولـــة مترامـــية الأطراف، واستطاع الشاه اسماعيل أن يحتل العراق وعمل على نشر المذهب الشيعي فيها وكانت مملكته محاذية للمملكة العثمانية السنية، فكثر الصدام بين المملكتين، مثلما كثر الصدام بين الدولة الصفوية ودولة المماليك في مصـــر، حتى أن الصفويين عقدوا في بعض الأحوال معاهدات مع الفرنجة نكاية بالمماليك.

والحقـــيقة أن الصـــراع بين هذه الدول كان سياسياً أكثر منه مذهبياً بدلـــيل أن الدولـــة العثمانـــية، زحفت على سوريا ومصر، وقضت على دولة المماليك، مع أن الدولتين تنتميان إلى المذهب السني.

أمـــا الصـــراع بـــين الصفويين والعثمانيين، فهو وإن كان لا يخلو من الدوافـــع المذهبية، إلا أن دوافعه الحقيقة كانت سياسية، كما أسلفت، ذلك أن حـــدود الدولتين كانت متداخلة، وكانت بين الدولتين إمارات تشكلها عناصر مخـــتلفة من الأكراد والتركمان والعرب والترك، وتأرجحَ هؤلاء في ولائهم بين الدولتين، وكان هذا سبباً في قيام الحرب بين الصفويين والعثمانيين.

والسبب الثاني فرار بعض الأمراء العثمانيين مثل مراد بن أحمد، منافس سليم على العرش، إلى إيران، واحتضان الدولة الصفوية لهؤلاء، وتشجيعهم على الـــتمرد، فقام السلطان سليم بالزحف على العراق وانتزاعه من الدولة الصفوية وفرّ اسماعيل الصفوي إلى الداخل واستقرت دولته في ايران[٤٥٥].

وســـقط الحكم الإسلامي في تركيا عند سقوطها بيد الانجليز في نهاية الحـــرب العالمـــية الأولى وألغيت الخلافة الإسلامية على يد مصطفى كمال عام ١٩٢٤م وســـقط آخر ملوك ايران عند نجاح الثورة الإسلامية التي قادها الامام آية الله الخميني، رضي الله عنه، فقامت الجمهورية الاسلامية في شباط ١٩٧٩.

الفصل الثامن

السنة والشيعة ومسائل الفقه

المذاهب الفقهية عند الفريقين:

للسنة مذاهب في الفقه عديدة، أما الشيعة فأخذوا فقههم أغلبه، عن الإمام جعفر الصادق، رضي الله عنه، فنسب الفقه الشيعي إليه وسمي مذهبه بالمذهب الجعفري.

أما المذاهب الفقهية عند السنة فاشتهر من بينها أربعة: مذهب الإمام مالك بن أنس، والإمام محمد بن إدريس الشافعي والإمام أبي حنيفة النعمان والإمام أحمد بن حنبل.

وهنالك مذاهب أخرى، كان لها أتباع في وقتها، ثم اضمحلت بالتدريج، ولم يعد لها أتباع وأشهرها مذهب الأوزاعي ومذهب سفيان الثوري، ولكل مذهب أسلوبه في استنباط الأحكام الفقهية وفي ترجيح بعض المسائل على بعض، في الأمور التي تعددت فيها الأقوال.

تتفق مذاهب الإسلام السنية والشيعية على أركان الإسلام، وعلى أسس العبادات كلها، وعلى معظم مسائل الحلال والحرام.

يتفق السنة والشيعة على الشهادتين، وعلى الصلاة والصوم والحج والزكاة في أركان هذه العبادات كلها وفي الغالبية العظمى من سننها وآدابها.

إلا أنها تختلف فيما بينها، في بعض الجزئيات، كمسح الرأس، كله أو بعضه، وغسل الرجلين أو مسحهما، ودعاء الاستفتاح في الصلاة، وبعض مبطلات الوضوء، وغير ذلك من الأمور الفرعية.

نجد حول هذه المسائل وأشباهها خلافات بين مالك والشافعي وبين الشافعي وأبي حنيفة وابن حنبل، وبين ابن حنبل وجعفر الصادق وسوف أعرض بإذن الله أشهر المسائل التي اختلفت حولها السنة والشيعة.

تعريف بالمذهب الجعفري:

عامة أهل السنة على معرفة بمذاهبهم وأئمتها على تفاوت بينهم في المعرفة، بتفاوتهم في العلم والثقافة.

فهم يعرفون أن الإمام مالك بن أنس في المدينة المنورة وكان يدرس ويُفْتي في مسجد رسول الله عليه السلام وهو صاحب الموطأ المشهور.

وأن الامام الشافعي اتصل به وتتلمذ عليه ثم فارقه وذهب إلى اليمن ثم العراق وعاد إليه واتصل به بعد ذلك.

وأن الإمام أبي حنيفة نشأ في العراق وعرض عليه المنصور القضاء فأبى، وكان يعمل تاجر قماش، فيكسب من عرق جبينه.

وأن الإمام أحمد بن حنبل تتلمذ على يد الشافعي، وعلى يد أبي يوسف يعقوب بن يوسف، تلميذ أبي حنيفة، وهو الإمام الصابر الذي رفض القول بخلق القرآن وجُلِد على ذلك.

لكن عامتهم لا يعرفون عن المذهب الجعفري إلا اسمه، فمن المفيد أن أعطى لمحة عنه:

الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بين أبي طالب، هو الإمام السادس عند الشيعة الاثني عشرية.

عاصر الإمام جعفر الدولتين الأموية والعباسية، ولقب بالصادق، لأنه كان لا يُخْبر عن شيءٍ من أمور المستقبل إلاّ ويكون. فقد ورث العلم الجم عن آبائه الكرام، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حذر الصادق عمّه زيد بن علي من الخروج على الدولة الأموية، وحذر بعـد ذلك ابن عمه يحيى بن زيد وأخبرهما أنهما يُقتَلان ويُصلبان، وخرج زيد وقُتل وصُلب وخرج يحيى وقُتِل وصُلب.

أما في زمن المنصور فقد حذّر ابني عمه؛ محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسـن بـن الحسن من الخروج على المنصور، وأخبرهما أنهما يُقتَلان، وصَدَق فيما أخبَرَ به.

أجْمـعَ كل من كَتَبَ عن الصادق من السنة والشيعة، على الإفاضة في مدحـه والثـناء عليه، بعمله الغزير، وفِكره العميق، ونظره الثاقب، فضلاً عما عُرف به من التقوى والورع.

روي عن أحد علماء المسلمين ويدعى أبا الحسن الوشّاء قال: أدركت في هـذا الجامع (يعني جامع الكوفة) أربعةَ آلاف شيخ من أهل الورع والدين كلّ يقول: حدثني جعفر الصادق[٤٥٦].

يـأخذ الشيعة على السنة إيثارهم مذاهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وابن حنبل، على المذهب الجعفري، وهو أغزرهم علماً وأرفعهم نسباً وأسبقهم زمناً.

فـيكف يُفَضّلون على الإمام جعفر من لا يبلغ مبلغه في باب من أبوب الفضل؟

وَيَرُدَعلماء من أهل السنة، قائلين: غير صحيح أننا نفضل أحداً من أئمة الفقه على الإمام جعفر، وكُتب أهل السنة تشيد بفضله، لكن إمامة الفقه شيء غير المنـزلة والمكانة والتقوى والورع.

الإمامـة في الفقه تعنى أن للفقيه منهجاً خاصاً وأسلوباً مميزاً في استنباط الأحكـام الشـرعية واختيار الأرجح في المسائل التي تعددت فيها الآراء، وقد

وجدنـــا مـــثل ذلك عند الشافعي والأئمة الآخرين ووجدنا الإمام جعفر، إمام هدى وتُقى ولكننا لم نجد لــه منهجاً خاصاً في الفقه.

ويـــرى آخرون من أهل السنة أن مذهب الإمام جعفر، مذهب خاص مميز، شأنه في ذلك شأن مالك والشافعي وأصحابهم.

يقـــول فيه الدكتور مصطفى الشكعة: فلقد كان (الإمام جعفر) إماماً لجمـــيع المسلمين بالمعنى العام، كأبي حنيفة والشافعي والأوزاعي ومالك و ابن حنـــبل وكان من ذوي الرأي الصائب والفتوى الصالحة في أمور الدين، فضلاً عن أنه كان إماماً لدى الإمامية، لـــه ما لبقية أئمتهم من الولاية والوصاية.

لقـــد كان جعفر الذي تنسب إليه الجعفرية غزير العلم في الدين، وافر الحكمـــة، كامل الأدب، زاهداً ورعاً متسامحاً، بعيداً عن الغلو، و لم يكن يؤمن بالغيبة أو الرجعة أو التناسخ، كما أنه كان بعيداً عن الاعتزال.

وكـــان السيد الإمام ينسب من ناحية الأب إلى العترة النبوية المباركة ومن ناحية الأم إلى أبي بكر الصديق[٤٥٧].

هـــذا الـــتقريظ للإمام جعفر، ما هو إلاّ صورة من صور إكبار السنة لـــه، واعترافهم بفضله.

أمـــا قضية أخذ الفقه، فهي شيء آخر، كما أسلفت، أنها مسألة تتعلق بالتخصـــص والموسوعية، فكثير من علماء السنة يرون في الإمام جعفر موسوعة عِـــلم وفقه وإمام وهدى وتقىً، ويرون في الشافعي وأصحابه فقهاء متخصصين وتخصصـــهم هو الذي جعلهم أصحاب مذاهب فأخذ السنة عنهم دون سواهم من فقهاء كثيرين، إنما هو اتباع لمناهج محددة، وبعض المسلمين أعجبه الشافعي فصار شافعياً وبعضهم أعجبه منهج ابن حنبل فصار حنبلياً.

تـــناول العالم السني شاه عبد العزيز الدهلوي هذه المسألة، مسألة عدم أخـــذ معظم أهل السنة بمذهب الإمام جعفر الصادق، فأكدّ أن أخذ الفقه عن

الشـافعي ومـالك، وأبي حنيفة وابن حنبل وغيرهم، رضي الله عنهم، لا يعني تفضـيلهم على الصادق وأبيه محمد الباقر، لأن المترلة شيء، وأخذ الفقه شيء آخر، فالفقهاء من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أعظم مكانة عند أهل السنة من الأئمة الأربعة، ومع ذلك، لا يعدوهم أصحاب مذاهب وكذلك الحـال بالنسبة لفقهاء البيت الكريم فقد شُغِلوا عن أن يكونوا أصحاب مذاهب فقهـية بتهذيـب الأخـلاق وتعليم الناس دقائق علم الطريق وغوامض أسرار الحقـيقة، وإرشـادهم إلى المعـارف الإنسانية، فأحالوا الأحكام الشرعية إلى تلاميذهم وأصحابهم وتوجهوا هم إلى إقامة تلك الأحكام[٤٥٨].

وإذا أردنـا أن ننظر إلى المذاهب الفقهية نظرة شاملة وخالية من قيود التعصب، وجدنا أن فقهاء السنة وفقهاء الشيعة أخذ بعضهم عن بعض، بل إن عـدداً من فقهاء السنة تتلمذ على أيدي أئمة البيت العلوي الكريم، فالإمام أبو حنيفة كان تلميذاً للإمام زيد بن علي الذي ينسب إليه المذهب الزيدي.

ولقـد تتـلمذ الإمام مالك بن أنس، أول الأئمة الأربعة، على الإمام جعفر الصادق[٤٥٩].

وكما يجوز للسني أن يأخذ عن الشافعي أو مالك أو أبي حنيفة أو أحمد كـل المسائل أو بعضها، إذا يجوز له أن يأخذ من هذا المذهب مسألة ومن ذاك المذهب مسألة أخرى وهكذا، فله أن يأخذ عن الإمام جعفر فهو من أئمة الفقه.

فتوى الأزهر في جواز اتباع المذهب الجعفري:

أصـدر إمام الجامع الأزهر، المرحوم الشيخ محمود شلتوت فتوى بجواز اتباع المذهب الجعفري من قِبَل أهل السنة وهذا نصها: (إن الإسلام لا يوجب عـلى أحـد من أتباعه مذهباً معيناً، بل نقول: إن لكل مسلم الحق في أن يقلد بـادئ ذي بـدء رأي مذهـب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً، والمدوَّنة

أحكامها في كتبها الخاصة، ولِمَن قَلْدَ مذهباً من المذاهب أن ينتقل إلى غيره، أيّ مذهب كان، ولا حرج عليه في شيء من ذلك.

إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية يجوز التعبّد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة، وينبغي على المسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة، فما كان دين الله، وما كانت شريعته بتابعة لمذهب أو مقصورة على مذهب، فالكل مجتهدون، مقبولون عند الله تعالى، ويجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه في فقههم، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات، صدرت الفتوى بتاريخ ١٧ ربيع أول ١٣٧٨هـ من القاهرة). (١٩٦٢م)

وقد أرسل الشيخ محمود شلتوت نسخة من الفتوى إلى دار التقريب بين المذاهب في القاهرة، ومعها الرسالة التالية للشيخ محمد تقي القُمّي، سكرتير دار التقريب في القاهرة، هذا نصّها:

(السيد صاحب السماحة، والعلامة الجليل الاستاذ محمد تقي القُمّي السكرتير العام لجماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية: سلام الله عليكم ورحمته- أما بعد، فيسرّني أن أبعث إلى سماحتكم بصورة موقع عليها بامضائي من الفتوى التي أصدرتها بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية، راجياً أن تحفظوها في سجلات دار التقريب بين المذاهب الإسلامية التي أسهمنا معكم في تأسيسها.

وفقنا الله لتحقيق رسالتها والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

شيخ الجامع الأزهر

محمود شلتوت

عرض لأهم مسائل الخلاف في الفقه *

بين السنة والشيعة

هنالك مسائل خلاف فقهية عديدة بين السنة والشيعة حول أمور تتعلق بالعبادات أو بمحرّمات ومحلّلات، وقبل أن أعرض لبعضها أود تنبيه القارئ إلى ملحوظتين:

الأولى: أن كل مسألة من مسائل الخلاف، لها حجج وبراهين عند الفريقين فهو خلاف اجتهادي، لا عنادي.

الثانية: أنه ما من مسألة خالف فيها السنة الشيعة إلاّ ونجد في السنة فقهاء قالوا بمقالة الشيعة فيها، وعند الشيعة فقهاء قالوا بمقالة السنة إلاّ ما قل، فطابع الخلافات طابع أكثرية وقليلة هي المسائل التي استقطبت إجماعاً للفريقين.

أما أهم ما يخالف فيه السنة الشيعة في أمور العبادات والعادات فهو:

١- احتفالات الشيعة بيوم عاشوراء وما يفعلون فيها بأنفسهم من ضرب مبرح تسيل فيه الدماء وربما تزهق فيه أرواح.

٢- التيمم عند الشيعة بضربة واحدة وهو عند معظم السنة بضربتين.

٣- ترك الجمعة والجماعة في زمن الغيبة.

٤- جمع الصلوات من غير عذر.

٥- مسح الأرجل عند الوضوء عند الشيعة بينما يرى السنة غسلها.

٦- السجود على قطعة من طين يابس من أرض كربلاء.

٧- زواج المتعة يعده الشيعة مباحاً ويعده السنة محرماً.

٨- صيامهم في ذكرى يوم غدير خم في الثامن عشر من ذي الحجة من كل عام ويعدها السنة بدعة.

٩- عدّهم التقية واجبة بينما يعدها السنة رخصة.

عرض مفصل لهذه المسائل:

لابد من عرض مفصل لأهم هذه المسائل أطرح فيه موقف كل من الفريقين وحججه.

زواج المتعة:

المتعة من التمتع، أي التلذذ بالشيء.

والمقصود بزواج المتعة: هو الزواج الذي يهدف إلى التمتع دون النسل.

وهو زواج محدد بمدة إذا انقضت بطل الزواج ووجب الفراق.

وعرفه الفقهاء بقولهم: هو النكاح المؤقت بمدة معلومة أم مجهولة كقوله: أزوجك فلانة شهراً، أو أزوجك إياها من اليوم وحتى يحضر فلان بصداق قدره كذا، فيجيبه على هذا فإذا انتهى الشهر أو جاء فلان وقعت الفرقة[٤٦٠].

هل يجوز الإسلام نكاحاً مربوطاً بأجل محدد، أم يشترط النكاح المؤبد؟

هل كان زواج المتعة حلالاً في أي وقت من الأوقات؟

الشيعة يقولون: أنه كان مباحاً ولا يزال.

والسنة يقولون: إنه كان مباحاً أول عهد الإسلام، ثم منعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أباحه ثم حرّمه تحريماً نهائياً.

يتفق السنة والشيعة إذن على أن زواج المتعة كان محللاً أول عهد الإسلام.

ويختلفون حول ما إذا كان قد حُرِّم بعد ذلك، ويسوق كل من الفريقين حججه.

أما الشيعة فيستدلون على مشروعيته بالقرآن والسنة.

في القرآن قال تعالى ((فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن))[٤٦١].

أمّا من السنة النبوية: ورد في الصحيحين عن جابر وسَلَمة، رضي الله عنهما قالا: كُنا في جيشٍ فأتانا رسول الله، صلى الله عليه وسلم فقال: إنه أذِنَ لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا[٤٦٢].

وأخرج البخاري أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال: أيما رجل وامرأة توافقا، فعشرة ما بينهما ثلاث ليال، فان أحبا أن يتزايدا أو يتتاركا[٤٦٣].

ورد في مصادر السنة عن علي عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه منسوخ[٤٦٤].

ويرى أهل السنة أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، منعه بعد أن كان أباحه ثم أباحه بعد المنع، ثم منعه نهائياً.

عن علي، رضي الله عنه، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، نهى عن المتعة وعن لحوم الحُمُر الأهلية يوم خيبير، رواه الخمسة[٤٦٥].

ثم رخّص رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عام أوطاس في المتعة ثالثاً. (رواه مسلم[٤٦٦]) ثم نهى عنه نهياً مؤبداً في حجة الوداع.

روى مسلم وأبو داود والنسائي، عن سبرة، رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قائماً بين الركن والباب وهو يقول: إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، إن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما اتيتموهن شيئاً[٤٦٧].

هذه حجة أهل السنة في التحريم.

أمـــا الشـــيعة فيرون أن التحليل ثابت عن رسول الله، صلى الله عليه وســـلم، ثبوتاً قطعياً، وأخباره مشهورة، متفق عليها أما التحريم، فيعتمد على حديث خبر آحاد، ليس بالمشهور، فلماذا سمعه سبرة وحده، ولم يعممه رسول الله كي يتناقله الجميع؟

لماذا لم يتطرق رسول الله إلى هذا الموضوع في خطبة حجة الوداع، تلك الخطبة التي اجتمع لها المسلمون في عرفات واشرأبت لها أعناقهم إصغاءً، فأمرهم رســـول الله ونهاهم وحذرهم، وكان يردد بعد كل أمر أو نهي: ألا هل بلّغت الـــلهم اشـــهد، ويقول لهم: إلا فليُبَلِّغ الحاضر منكم الغائب. وتناقل المسلمون الخطبة، فلماذا لم يتطرق إلى نكاح المتعة فيها؟

ولم يـــتطرق رسول الله إلى نكاح المتعة في خطبة غدير خم، في الثامن عشر من ذي الحجة، عندما كان رسول الله والمسلمون منصرفين من مكة، كل مـــنهم يـــريد بـــلاده، فجمعهم قبل أن يتفرقوا ورد أولهم إلى آخرهم حتى لا يـــتخلف أحـــد، وخاطبهم بكلام سمعه الجميع، وذكرهم فيها بحق آل البيت، وحق علي بن أبي طالب.

فتحلـــيل زواج المتعة وارد بحكم قطعي، والحكم القطعي لا ينسخه إلا دليل قطعي[٤٦٨].

فالحديث الوارد في شأن التحريم غير صحيح عند الشيعة.

يقـــول الشـــيعة: إن عمـــر هو الذي نهى عن زواج المتعة بدليل قوله: متعتان كانتا على عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم وأنا أنهى عنهما: متعة الحج ومتعة النساء[٤٦٩].

ذكـــر العالم الشيعي عبد الحسين الأميني النجفي في كتابه "الغدير"، ما يربو على أربعين حديثاً بين صحيح وحَسَن، تدل على أن متعتي الحج والنساء،

كانتا على عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ونــزل فيهما القرآن، وثبتت إباحتهما بالسنة وأول من نهى عنهما عمر.

يقول الأميني النجفي: وعده العسكري "عد عمر" في (كتابه الأوليات) والسيوطي في (تاريخ الخلفاء صفحة ٩٣)، والقرماني في تاريخه (هامش الكامل ج١ ص٢٠٣) أول من حرّم المتعة[٤٧٠].

وقـــال العـــالم الشيعي بهاء الدين العاملي في كتابه: الكشكول: حدّثنا مُســدّد، حدثـــنا يحيى عن عمران بن أبي بكر، حدّثنا أبو رجاء عن عمران بن حُصــين، رضي الله تعالى عنه، قال: نــزلت آية المتعة في كتاب الله عزوجل، ففعلناها مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولم ينــزل قرآن يحرّمه، ولم ينهَ عنه حتى مات، ثم قال رجل برأيه ما شاء "يعني عمر بن الخطاب"[٤٧١].

ويدعمون موقفهم هذا بما جاء في صحيح مسلم: روى جابر عن عبد الله، رضـــي الله عنهما قال: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيامَ، على عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر حتى نهى عنه عمر[٤٧٢].

ويــردّ علماء من جانب أهل السنة على هذه الحجج بقولهم: إن عمر جــدّد نهياً كان من رسول الله ولم يكن نهيه من تلقاء نفسه، وما كان لـــه أن يحرّم أو يحلل من عنده، وإنما كان يوضح للناس ما خفي عليهم من سنّة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

يقـــول العـــالم السني الدهلوي: الصحيح أن النهي ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ورد في الصحيحين أن رسول الله حرّم المتعة بعد أن أباحهـــا، وقد حرّمها تحريماً أبدياً ولكن كثيراً من المسلمين لم يسمعوا بالتحريم واستمروا يتمتعون وهؤلاء هم الذين نبههم عمر إلى حرمة زواج المتعة[٤٧٣].

إلاّ أن الشيعة يحتجون بقول عمر: وأنا أنهى عنهما، فنصُّ عبارة عمر هذه، والتي تقرُّ بها كتب أهل السنّة، يدل على أن النهي من عمر لا من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والحقيقة أننا نجد في الصحاح أحاديث تنبئ بالإباحة، وأخرى تنبئ بالمنع، والشيعة يأخذون بأحاديث الاباحة إذ لم يثبت عندهم حديث المنع.

من قال بالإباحة من أهل السنة؟

تروي مصادر أهل السنة أن عبد الله بن عباس ظل يبيح زواج المتعة إباحة مطلقة، وقيل كان يبيحها للمضطر، واشتهرت فتواه بهذا الشأن.

قال له التابعي الجليل سعيد بن جبير: أتدري ما صنعتَ وقد سارت بفتياك الركبان وقال فيها الشعراء؟

قال: وما قالوا؟ قال: انهم يقولون:

قد قُلتُ للشيخ لمّا طال مجلسه ... يا صاح هل لك في فتيا ابن عباس

هل لك في رخصةِ الأطراف آنسةٍ ... تكون مثواك حتى مصدر الناس؟

فقال ابن عباس: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله ما بهذا أفتيت، ولا أحللتُ إلا ما أحلّ الله للمضطر من الميتةِ والدم ولحم الخنزير[٤٧٤].

ويخالف بعض العلماء ابن عباس في اعتباره النكاح ضرورة كضرورة الطعام والشراب ويقولون إن فقدان الطعام أو الشراب يؤدي إلى الموت وهذا معنى الضرورة إما فقدان اشباع هذه الغريزة فلا يؤدي إلى شيء.

إلاّ أن رأي ابن عباس أقرب إلى الصواب، فالحاجة الملحة إلى اشباع الغريزة قد تُكره الإنسان على الرذيلة بدليل قوله تعالى: (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصّناً)[٤٧٥].

فمـــنع الفتاة من الزواج قد يكرهها على الرذيلة وكذلك الفتى، خاصة إذا وجـــد نفســـه في بـــلاد إباحية ووجد من حوله كل المغريات ولا يستطيع الـــزواج، كـــأن يكون طالباً أو مغترباً انقطعت به السبل، ويتفاوت الناس في القدرة على الإمساك بزمام العفة.

لكـــن مصـــادر أهل السنة تذكر لابن عباس مواقف متناقضة من هذه المسألة فرواية تقول إنه كان يحلل زواج المتعة تحليلاً مطلقاً.

وأخرى تقول: إنه كان يبيحه للضرورة.

وثالثة تقول: إنه كان يرى أن زواج المتعةِ حُرّم بعد التحليل.

روى الترمذي باسناده عن ابن عباس: انما كانت المتعة في أول الإسلام: كـــان الرجل يَقْدَم البلدة ليس لـــه فيها معرفة، فيتزوّج المرأة بقدر ما يرى أنه مقـــيم، تحفظ له متاعه، وتصلح له شيئه، حتى نـــزل قوله تعالى: (الاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) فكل نكاح خرج عن هذين النوعين حرام[٤٧٦].

ولو احتججنا على الشيعة بالآية الكريمة السابقة لقالوا: إنها ليست دليلاً على حرمة زواج المتعة.

قـــال الله تعـــالى: (إلاّ على أزواجهم)، وهذه زوجته، تماماً كزوجته بالـــزواج المؤبـــد، هي زوجته بايجاب وقبول ومهر وشهود وعِدّة سابقة وعدة لاحقة، وسوف أورد ذلك في نهاية هذا الباب بإذن الله.

وممـــا يدل على أن ابن عباس كان يحلل زواج المتعة ما ورد في مصادر أهـــل السنة أن عبد الله بن الزبير عابَ عليه تحليله لزواج المتعة، فقال لـــه ابن عباس: سَل أمك كيف سطعت المجامر[٤٧٧] بينها وبين أبيك؟

فسألها فقال: والله ما ولدتك إلاّ بالمتعة[٤٧٨].

المتفق عليه أن نكاح المتعة كان محللاً أول عهد الإسلام وأن حرمته عند أهل السنة لم تكن إلاّ في السنة العاشرة للهجرة، في حجة الوداع، أي في آخر عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

وليس ابن عباس وحده ـ في روايات الشيعة- هو الذي ظل يحلل زواج المتعة من بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل إن جماعة من الصحابة عملوا بالمتعة في حياة رسول الله وبعد مماته.

يقول العالم الشيعي آل كاشف الغطاء: لا يختلف اثنان أن زواج المتعة أحَلّه رسول الله، صلى الله عليه وسلم في حياته، وعملت به جماعة في حياته وبعد وفاته كعبد الله بن عباس، وجابر ابن عبد الله الأنصاري وعمران بن الحصين وابن مسعود وأبيّ بن كعب، وكانوا يفتون بإباحتها[٤٧٩].

أما الإمام القرطبي (السنّي) في تفسيره الشهير، فقد استعرض أقوال المحرّمين من أهل السنّة، ثم أورد راياً لابن أبي ليلى مفاده أن النكاح جائز والشرط باطل، بمعنى أن الزواج صحيح لأنه يستوفي شروط الزواج التي أقرها الإسلام، ولكن لا يقع الفراِق بمجرد انتهاء المدة المتفق عليها، وانما يقع الفراق بالطلاق.

شروط زواج المتعة عند الشيعة:

حرص عدد من الكتاب من الجانب السني، من أمثال إحسان الهي ظهير ومحب الدين الخطيب على القول إن زواج المتعة عند الشيعة ما هو إلا محضُ زنا ولم يكلف هؤلاء أنفسهم التفكير في خطورة ما يقولون، فهل أباح رسول الله الزنا حين أباح زواج المتعة؟ أم أنه، عليه السلام اكتشف أنه كان يحلل الزنا للمسلمين سنوات طويلة، ثم تدارك الأمر بعد ذلك فحرّمه أم أن زواج المتعة لم يكن زنا عندما كان مباحاً ثم أصبح زناً بعد تحريمه؟ وهل يجدون

في كتب فقه أهل السنّة نصاً على إقامة حد الزنا على المتمتع؟ وهل يعتبر الصحابة الذين مارسوا المتعة قبل نهي أمير المؤمنين عمر عنها زناةً؟ وهل في القرآن الكريم أو في الحديث النبوي ما ينص صراحة أو ما حتى ما يوحي تلميحاً بأن الزواج يجب أن يكون مؤبداً؟

وهذه شروط زواج المتعة كما ذكرها الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه: مع الشيعة الإمامية:[480].

١- الايجاب والقبول، وهو قول المرأة أو وكيلها: زوّجت أو أنكحت أو متّعت، ولا يكون بغير أحد هذه الألفاظ الثلاثة أبداً، وإلى قبول من الرجل وهو: قبلت أو رضيت.

٢- لابد من ذكر المهر، كالزوجة الدائمة، ومهر الزواج متعةً أو تأبيداً ليس له حدّ أدنى أو أعلى، بل ما يتراضى به الزوجان.

٣- أن تكون من المحللات له في النكاح الدائم، فلا يجوز أن يتمتع بُمحَرّمةٍ عليه.

٤- يجب على المرأة أن تعتد بعد انتهاء الأجل لكن المطلّقة تعتد بثلاث حيضات أو ثلاثة أشهر، أمّا ذات المتعة فتعتد بحيضتين أو بخمسة وأربعين يوماً، أما العِدّة من الوفاة، فهما فيها سواء ومدتها أربعة أشهر وعشرة أيام، سواءً حصل الدخول أم لم يحصل.

٥- الولد من المُتعة كالولد من الزواج الدائم، سواء بسواء في الميراث والنفقة وسائر الحقوق.

٦- لابد من أجل معيّن في المتعة، يُذكر في متن العقد، وبهذا تختلف المتعة عن الزواج الدائم، ولكن الطلاق يفصم عرى الزواج، كما يفصمه انتهاء الأجل في المتعة.

٧- لا ميراث للمتّمع بها ولا نفقة، وللزوجة الدائمة ميراث ونفقة، ولكن للمتّمع بها أن تشترط عند العقد الانفاق والميراث، وإذا تمّ هذا الشرط كانت المتمع بها كالزوجة الدائمة مِن هذه الجهة أيضاً.

ويكره التمتع بالبكر والزانية.

ومع قناعة الشيعة بصحة موقفهم إلاّ أنهم يقولون: إن هذا النوع من النكاح غير شائع عندهم بل هو قليل جداً، يمارسه بعض الشيعة في جبل لبنان، وبعض النساء المسنات في غرب إيران.

يقول الشيخ محمد جواد مغنية: والدليل على ندرته أنك لا تجد له أثراً في محاكمهم الشرعية، ولكن الشائع المألوف هو الزواج الدائم عند جميع طوائف الأمم[٤٨١]..

الأذان عند الفريقين

الأذان: إعلام بدخول وقت الصلاة:

وله نصٌ معينٌ ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالتواتر، إذ كان الأذان يرفع بهذا النص ست مرات في اليوم والليلة، مرتين لصلاة الصبح، وأربع مرات لبقية الصلوات، لكل صلاة مرة.

كان ابن أم مكتوم يؤذن لصلاة الصبح، وكان ضريراً، فربما أذن بَغَلَس أي قبل دخول الفجر، فيقوم بلال ويؤذن إذا رآى أول تباشير الفجر.

الآذان ليس ركناً من أركان الصلاة، لكنه سُنّةٌ متبعة، منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد جعله أبو بكر في حروب الردة، دليلاً على إسلام أهل الحيّ أو رِدّتهم، فكان يأمر الجيوش التي بعثها لقتال المرتدين أن يعسكروا

قريـبـاً من أهل الموقع مدةً فإذا سمعوا أذانهم فهم مسلمون ويبقى أن يُسألوا عن الزكاة، وإذا لم يسمعوا أذانهم فهم مرتدون وليُسألوا عن الإسلام.

الشـيـعة والسنة يرفعون الأذان بالنص الذي وردنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إلاّ أن الشـيـعة يزيدون في النص عبارة: أشهد أن علياً وليّ الله، وذلك بعد عبارة: أشهد أن محمداً رسول الله.

ويـرفض السّنة هذه الإضافة رفضاً باتاً ويعدونها أخلالاً بالنص المتواتر الذي وصلنا عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

ويفـرّق السنة بين أمرين، أولهما: كون عبارة: أشهد أن علياً وليّ الله شهادة حق لا يشك في صحتها من في قلبه ذرة إيمان، سنياً كان أم شيعياً.

وثانيهما: أن الأذان نُسُك، ورد فيه نص شرعي لا يجوز أن نـزيد فيه أو ننقص منه شيئاً حتى دعاء: اللهم صلى على محمد وعلى آله وأصحابه الذي يختم به كثير من أهل السنة أذانهم في أكثر البلدان الإسلامية، هو عند الكثيرين يجـب الاّ يقال في أعقاب الأذان، وعلى المؤذن أن يخافت به إذا أصر على قوله فلا يُسمع إلا نفسه، كي لا يظن أحد أنه جزء من النص الشرعي للأذان.

وفي بلـدان إسلامية عديدة، لا يقوله المؤذن عقب الأذان، وإنما يُنهي أذانه بعبارة لا إله إلا الله.

ذلـك أن نصوص العبادة كلها، يجب أن نحافظ عليها حفاظاً تاماً فلا نُدخل فيها كلمة واحدة ليست منها.

فالزيادة تجر الزيادة، مما يؤدي إلى ضياع النص الأصلي بتعاقب العصور واختلاف الأمم، وهذا إضاعة للدين.

وإذا كـان موقـف السنة موحداً تجاه هذا الموضوع، ففي الشيعة مَن يقف موقف أهل السنة، فمنهم من حرّم الشهادة الثالثة (أشهد أن علياً وليّ الله) كالسـيد المرتضـى، وهو من سادة آل البيت وأكابر علماء الشيعة في القرن الخامس الهجري.

يقـول السيد المرتضى: من قال في أذان الصلوات: أشهد أن علياً ولي الله، فقد أتى بَعَمَل محرّم[٤٨٢].

يتضـح من فتوى السيد المرتضى، أن مؤذني الشيعة كانوا يضعون هذه العبارة قبل الدولة الصفوية، ولكن ربما على نطاق ضيق.

ويفـترض الأسـتاذ الشـيعي الدكتور موسى الموسوي أن السلطان إسماعـيل الصـفوي ربما كان هو الذي أمر مؤذني الشيعة بإضافتها إلى الأذان بشكل رسمي ودائم.

ويُقِر علماء الشيعة إقراراً لاشك فيه، أن هذه الشهادة دخلت الأذان في وقت متأخر، ويلتمسون لدخولها الأعذار.

يقولـون: إن الخليفة عمر بن الخطاب رفع من الأذان عبارة: حيّ على خير العمل، وجعل مكانها عبارة: الصلاة خير من النوم.

فإذا جاز لعمر أن يضيف إلى الأذان عبارة وجدها مفيدة، فلم لا يجوز لـنا إضـافة شهادة أن علياً ولي الله، وهي شهادة حق نعبّر بها عن ولائنا لأمير المؤمنين عليه السلام، طاعةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي أمر المسلمين أن يوالوا علياً ويعادوا من عاداه.

وهي عبارة لا تُخلّ بالصلاة لأن الأذان ليس ركناً من أركان الصلاة.

ويـردّ عليهم أهل السنة، بأن عبارة حيّ على خير العمل، لم تكن في الأذان أبداً.

أما عبارة: الصلاة خير من النوم، فليس عمر هو الذي أضافها إلى الأذان لكنها أضيفت إلى الأذان الصبح في زمن رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

روي عن سعيد بن المسيّب: أذن بلال ذات ليلةٍ ثم جاء يُؤْذِن النبي، صلى الله عليه وسلم، فقيل: إنه نائم، فنادى بلال: الصلاة خير من النوم، فأقِرّت في صلاة الصبح[483].

ومثله ما روي عن أبي محذورة، رضي الله عنه، قال: كنت أؤذّن لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، في صلاة الفجر فأقول إذا قلت في الآذان الأول: حيّ على الفلاح: الصلاة خير من النوم[484].

الخاتمة: إن عبارة (أشهد أن علياً ولي الله) شهادة حق، فنحن أهل السنة نشهد أن علياً ولي الله، ولكن ينبغي أن تقال في غير الأذان.

الوضوء

تعددت أقوال فقهاء المذاهب السنية حول أمور تتعلق بالوضوء: كمسح الرأس مثلاً، أيشمل المسحُ الرأس كله أم جزءاً منه، ومسح العنق من مجيز لها ومانع، ومسح الأذنين، ما الذي يجزئ منهما عند المسح، وتحديد مساحة الوجه وحدوده.

أما بالنسبة للرّجلين فيتفق أصحاب المذاهب الأربعة على ضرورة غسلهما، في حين يرى الجعفرية مسحهما.

وهذه مسألة احتلت في كتب السنة والشيعة مساحة غير قليلة، ودار حولها جدل كثير.

ويعود الخلاف بين الفريقين إلى سببين:

أولهما: ما الذي صحَ عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أغسل أم مسح.

والثاني: كـيف يفهمون الآية الكريمة: (يا أيها الذي آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسِلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وامسحوا برؤوسكم وارجلَكم إلى الكعبين)[٤٨٥]..

وأبدأ بالآية الكريمة والأقوال فيها:

قوله تعالى: (وامسحوا برؤوسِكم وارجلَكم).

القــراءة المعتمدة في القرآن الكريم: (وامسحوا برؤوسِكم وارجُلَكم)، بفتح اللام، لا بجرها.

وهــذا يعني أن الرؤوس والأرجل غير مشتركتين بالمسح، ولو جاءت وأرجِلكــم بكســر اللام، لكانت الواو للعطف، ولكان من الواضح أن حكم الأرجل المسح، وقضي الأمر الذي فيه تختلفون.

لكن نصب اللام في الأرجلَ يعني ما يلي:

الواو حرف عطف ولكن ما بعدها غير مشارك لما قبلها في العامل وهو (وامســحوا) لاخــتلاف الإعراب، لكن المعطوف فعل مقدر قريب من الفعل الوارد قبل الواو كقول الشاعر:

علفتها تبناً وماءً بارداً حتى غدت همّالةً عيناها

والتقدير: علفتها تبناً وسقيتها ماءً.

والتقدير: وامسحوا برؤوسكم واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين.

هــذه هي الحجة النحوية في قول أهل السنة: إن الآية تأمر بالغسل لا بالمسح.

أمـا الشـيعة، فيقولون إن نصب اللام في أرجلكم، لا يدل على أنها مفعــول بــه لفعل محذوف تقديره اغسلوا، أو أنها معطوفة على أيديكم، إذا لا يجوز تخطي المتبوع الأول "برؤوسكم" إلى متبوع قبله "أيديكم".

لكـــنها معطوفة على "برؤوسكم" والباء فيها: حرف جر زائد للتوكيد ورؤوســـكم: اسم مجرور لفظاً منصوب محلا على أنه مفعول به للفعل امسحوا فهي منصوبة عطفاً على المحل، لا على اللفظ.

والتقدير: امسحوا رؤوسكم وامسحوا أرجلكم إلى الكعبين.

ويجيــب نحاةٌ من السنة: إنه لا يمكن اعتبار الباء زائدة، لأنها لا تزاد في الايجــاب ولا في الجملة الفعلية وإنما تزاد في النفي في الجملة الاسية، كقولنا: ما أنت بتارك عملك.

فــيقول نحــاة الشيعة: لقد ورد في القرآن حرف جر زائد للتوكيد في الإيجــاب وذلك في قوله تعالى حكاية عن نوح: (قال يا قوم إني لكم نذير مبين ان اعــبدوا الله واتقــوه وأطيعونِ، يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى)"[٤٨٦] صدق الله العظيم.

فحرف الجر (مِن) زائد للتوكيد عند الأخفش.

ومثلها زيدت الباء في آية الوضوء.

ويرى علماء من السنة أن الباء هنا للتبعيض أو التعدية، وأن الجر أصلي فالنصب في (أرجلكم) ليس معطوفاً على ما قبله.

وللشــيعة حجة ثانية في اعتبار المسح، هي أن الآية الكريمة قرئت على وجــه آخر، أي بكسر اللام (وأرجِلكم) وهذه القراءة صحيحة عند أهل السنة لأنها قراءة عدد من ثقات المقرئين، ومنهم ابن كثير وعمر وحمزة[٤٨٧]، وهذا يعني أن المسح ثابت في القرآن الكريم.

كيف كان وضوء رسول الله؟

إن الــذي دعــا أهل السنة إلى القول بغسل الأرجل مع صحة قراءة الكسر عندهم هو ما روي عن وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم. أنه كان يغسل رجليه، ومارئي ماسحاً أبداً.

وهـذا مـا دعا الإمام مالك إلى القول: نـزل القرآن بالمسح والسنّة بالغسل[488].

أمـا الشيعة فيقولن: إن القرآن والسنة متفقان على مسح الرجلين وإن المسـح وارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك كان وضوء الإمام علي، كرم الله وجهه.

أورد الصـدوق في كتابه: ما لا يحضره الفقيه، صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم على النحو التالي:

قـال أبو جعفر الباقر، عليه السلام: ألا أحكي لكم وضوء رسول الله صـلى الله علـيه وسلم وآله؟ فقيل لـه: بلى. فدعا بقعب فيه شيء من ماء فوضـعه بين يديه، ثم حَسَرَ عن ذراعيه... إلى أن قال: ومسَحَ على مَقدم رأسه وظهر قدميه ببلة يساره وبقية بلة يمناه[489].

أما صفة وضوء أمير المؤمنين عليّ فقد بينها الإمام جعفر الصادق. قال: بيـنما أمـير المؤمنين عليه السلام، ذات يوم جالس مع محمد بن الحنفية إذ قال لـه: يا محمد ائتني بإناء من ماء أتوضأ للصلاة، فأتاه محمد بالماء-إلى أن قال: ثم مَسَح رجليه فقال: اللهم ثبتني على الصراط يومَ تزل فيه الأقدام، واجعل سعيي فيما يرضيك عني[490].

من قال من علماء السنة بالمسح

إذا كان أصحاب المذاهب الأربعة قد قالوا بالغسل لأنه لم تثبت لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمسح قدميه عند الوضوء، فكثير من علماء السنة من غير أصحاب المذاهب، من السابقين لظهور المذاهب، قالوا بالمسح.

وأسوق فيما يلي طائفة من الأخبار والآثار كلها من مصادر أهل السنة الذين قالوا بمسح الرجلين: عن عبد الرزاق بن معمر، عن عكرمة والحسن قالا: تُمْسَحُ الرِّجْلان[491].

وقيل لمطر الورّاق: من كان يقول بالمسح على الرجلين؟ فقال: فقهاء كثير[492].

عن عبد الرزاق، عن ابن عيينه قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال: أما جبريل فقد نزل بالمسح على القدمين[493].روي عن ابن عباس أنه قال: الوضوء غسلتان ومسحتان[494]. فالمسحتان للرأس والرجلين.

روي أن الحجاج خطب بالأهواز، فذكر الوضوء فقال: اغسلوا وجوهكم، وامسحوا برؤوسكم وأرجَلكم، فإنه ليس شيء من ابن آدم أقرب من خبثه من قدميه، فاغسلوا بطونها وظهورها وعراقيبها.

فبلغ ذلك أنس بن مالك فقال: صدق الله، وكذب الحجاج، قال الله تعالى: (وامسحوا برؤوسكم وأرجُلِكم) (بكسر اللام)[495].

وكان عكرمة يمسح رجليه وقال: ليس في الرجلين غسل، إنما فيهما المسح.

وقال قتادة: افترض الله غسلتين ومسحتين[496].

بعض أقوال علماء السنة في الغسل

قال عطاء: إن أناساً ليقولون بالمسح على القدمين، وأما أنا فأغسلهما[497].

روي عن الإمام عليّ أنه قال: لولا أني رأيت رسول الله يغسل ظاهر قدميه، لرأيت غسل باطن القدمين أحق من ظاهرهما[498].

عـن عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة أن ابن مسعود قال: رُجعَ إلى غسل القدمين في قوله تعالى: (وأرجلكم إلى الكعبين)[499].

كـان أبو هريرة يقول بغسل القدمين ويستشهد بقوله صلى الله عليه وسلم: ويلٌ للأعقاب من النار[500].

بالنظر إلى الأقوال السابقة والحجج التي يسوقها كلّ من الفريقين حول غسـل الرجلين ومسحهما، يتبين للقارئ أن الأقوال متوازنة، وأن كلا الطرفين مجتهد، فليس صحيحاً قول من قال: إن المسح على القدمين يبطل الوضوء.

الصلاة واختلاف الفريقين حول بعض ما يتصل بها

يأخذ السّنة على الشيعة، تعطيلهم صلاة الجمعة والجماعة في زمن الغيبة وجمعهم لصلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

وسجودهم على قطعة طين من أرض كربلاء.

أ- تعطيل الجمعة والجماعة

كـان ذلـك قبل قيام الجمهورية الإسلامية، ولم يكن تعطيل الجمعة موقفهـم كلهم، فقلّة من علمائهم أفتت بوجوب إقامة الجمعة في عصر الغيبة ومنهم الشيخ العاملي، صاحب كتاب: وسائل الشيعة[501].

وعادوا إلى الجمعة والجماعة عند نجاح الثورة الإسلامية، فانتهى الجَدَل حولها.

ب- جمع الصلوات

يجمـع الشيعة بين صلاتي الظهر والعصر، والمغرب والعشاء في الحَضَر ومن غير عذر، مخالفين رأي فقهاء السنة، الذين يتشدد بعضهم، فيشترط للجمع أسباباً قاهرة.

يقول الشيعة: لقد جمع رسول الله من غير مطر ولا سفر، ولاعذر.

والأخبار في هذا المجال واردة عند أهل السنّة أيضاً، عن عبد الرزاق.

عن داود بن قيس، عن صالح مولى التوأمة، أنه سمع ابن عباس يقول: جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء بالمدينة من غير سفر ولا مطر.

قال: قلت لابن عباس: لم تراه فعل ذلك؟ قال: أراه للتوسعة على أمته[502].

وعن عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن عمر بن شعيب قال: قال عبد الله: جمع لنا رسول الله،صلى الله عليه وسلم، مقيماً غير مسافر بين الظهر والعصر والمغرب.

قال: رجل لابن عمر: لم ترى النبي، صلى الله عليه وسلم، فعل ذلك.

فقال: لأن لا يحرج أمته إن جمع رجل[503].

لكن أهل السنة يرون أن جمع رسول الله لبعض الصلوات لم يحدث إلا قليلاً فلم يداوم عليه رسول الله حتى نداوم عليه، إن الصواب هو في المداومة على ما داوم عليه رسول الله والإتيان لماماً بما فعله رسول الله لماماً.

ولا يستسيغون أن يلزم المسلمون لزوماً دائماً سنةً عملها رسول الله مرةً أو مرتين، ليرفع الحرج عمن قد تفرض عليه الظروف أن يعمل مثلها، ومن منطلق أن الدين يُسر.

وكثيرة هي الآثار الواردة عنه عليه السلام ومفادها أن أحب الأعمال إلى الله تعالى الصلاة في وقتها.

فمُداومة الجمع، تخرج الصلاة عن وقتها، وهي عند السنّة بخلاف الأولى.

ج- السجود على قطعة طين

أركان الصلاة عند الشيعة كما ذكرها الإمام الصدوق سبعة: الوقوف والطهور، والتوجه إلى القبلة والركوع والسجود والدعاء[٥٠٤].

وهذا مطابق لما عند أهل السنة.

ولم يذكر الإمام الصدوق، أن من أركان الصلاة السجود على قطعة الطين.

لكن الواقع أن الشيعي يقف للصلاة ومعه قطعة طين يضعها تحت جبهته عند السجود.

وهذا أمرلا يستسيغه أهل السنة ولا يعدونه مقبولاً أبداً خاصة وأنه عند الشيعة من أرض كربلاء، فهذا عند السنة بدعة على بدعة.

بدعة هي قطعة الطين، وبدعة أن تؤخذ من أرض معينة.

أما الشيعة فيقولون: إن السجود على التراب هو الأساس، وكانت المساجد في عهد رسول الله وأصحابه مفروشة بالرمل أو الحصباء، فيضع رسول الله وأصحابه جباههم على خشن الحصى أو التراب، حتى إن أثر السجود ليكون واضحاً في جبهة المؤمن فكأنَّ فيها ركبةٌ معزى يابسة.

ثم ابتدع الناس أنيق الفرش للمساجد، فلم يعد المسلم يشعر بذلك الخشوع الذي كان الأوائل يشعرون به وهم يمرغون جباههم بين يدي ربهم، شكراً له أن خلق الإنسان في أحسن تقويم، وعلى أن أكرم هذه الجباه، فجعلها مسلمة مؤمنة، صالحة[٥٠٥].

والشيعة لا يجيزون السجود على الملبوس والمخيط والمأكول، لذا يضعون تحت جباههم قطعة من يابس الطين.

أمـــا أنها من أرض كربلاء، فهم لا يسجدون لقطعة الطين، مهما كان مصدرها ويقولن: ثمة فرق بين ما يُسْجَدُ عليه وبين من يُسْجَدُ له، فالسجود هو لله وحده، لا شريك له.

أما قطعة الطين فمسجود عليه[٥٠٦]، فإذا كان السجود على الطين له ما يـــبرره فما المانع أن تكون من كربلاء أيضيرها أن كربلاء ويشرفها أن تكون من غير كربلاء، وهم يروون أحاديث عن الأئمة في فضل تراب كربلاء.

أمـــا الســـنة فـــلا يجدون ما يمنع من السجود على الملبوس والمخيط والمنسوج، ولا يجدون أي مبرر لقطعة الطين تلك.

ومهما يكن فإن السجود على قطعة الطين، مثل إضافة شهادة أن علياً ولي الله، كلاهما لا يمكن اعتباره مبطلاً للصلاة.

موقف السنة مما يعدونه بدعاً عند الشيعة

أ- زيادة مراقد الأئمة

يقـــوم عشـــرات الآلاف من الشيعة على مدى الأشهر والأيام، بزيارة مـــراقد الأئمة في إيران والعراق والمدينة المنورة، يقرأ الواحد منهم دعاءً مطوّلاً أمـــام القبر، يدعى الزيارة، ورويت الأحاديث عن أئمة البيت الكريم تحث على مـــثل هذه الزيارات ومنها: "لكل خطوة يخطوها الزائر في سبيل زيارة الحسين له قصر في الجنة".

وروايات أخرى تقول: إن من بكى على الحسين أو تباكى، غفر الله له ما تقدمَ من ذنبه وما تأخر"[٥٠٧].

يتكلف الشيعة مشقة السفر وتكاليفه في سبيل هذه الزيارات، وبخاصة زيـــاراتهم للـــنجف الشريف حيث قبر الإمام عليّ، كرّم الله وجهه، ولكربلاء حيث قبر الحسين رضي الله عنه.

وقـد أراد زعمـاء الشيعة من هذه الزيارات أن يجمعوا الشيعة في أيام معلومـة من السنة، في شهري محرم وصفر، وعلى الأخص في العاشر من محرّم وهو اليوم الذي استُشهد فيه الحسين عليه السلام.

وفـائدة هـذا الجمع كانت توحيد قلوبهم وضمائرهم، والوصول إلى تضامن الشيعة ليواجهوا اضطهاد الدولتين الأموية والعباسية.

وتأصلت هـذه العـادات عندهم حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من شعائرهم الدينية.

أمـا أهل السنة، فكثير منهم، وخاصة الحنابلة، يحرّمون شد الرحال إلى القـبور بما فيها قبر رسول الله، صلى الله عليه وسلم "عند الحنابلة"، لقوله عليه السـلام، لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى.

يقـول الحنابلة ينبغي أن تكون النية لمن يريد التوجه إلى المدينة المنورة هـي زيـارة المسجد النبوي الشريف فهو أحد الأماكن الثلاثة التي تشد إليها الرحال، ثمّ يُزور قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويـرى غيرهم استثناء قبر رسول الله، وجواز شد الرحال إليه ويروون حديثاً نبوياً: من حَجّ ولم يَزُرني فقد جفاني.

ويـرى الحـنابلة أن هذا الحديث موضوع، وأن زيارة قبر رسول الله مشمولة بالتحريم إذا احتاجت إلى شد رحال.

أما سائر القبور فتجوز زيارتها من غير شَدّ رحال، للرجال دون النساء وإنما منعت النساء لحديث يروى: لعن الله زائرات القبور.

ولكـن هذا ليس رأي جميع أهل السنّة، لأن أحاديث نبوية عديدة في صحاح أهل السنة تنص على نسخ حديث المنع والسماح بزيارة القبور من غير شروط.

في صحيح مسلم، الحديث رقم ١٦٥٣؛ قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها).

وفي سنن الترمذي: كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أُذن لمحمد في زيارة قبر أمه، فزوروها فإنها تذكرة الآخرة.

والحديث وارد في سنن النسائي بأربعة نصوص مختلفة ووارد في سنن أبي داود وابن ماجة ومسند أحمد. وكلها أحاديث مطلقة من أية قيود وهذا يعني عند غير الحنابلة شد الرحال إليها، في حين يرى الحنابلة أن حديث (لا تشد الرحال) مقيّد لحديث إباحة زيارة القبور، فالزيارة عندهم مباحة إذا كانت من غير شد رحال.

إلا أن التقييد غير ثابت ثبوتاً قطعياً كما أن قوله عليه السلام: لا تُشَدُّ الرحال، إنما هو نفي لا نهي لأن (لا) الواردة فيه هي لا النافية وليست لا الناهية بدليل أنها لم تجزم الفعل المضارع بعدها، فالتحريم هنا غير مؤكد لأن النفي يفيد النصيحة، ولو قال عليه السلام: لا تَشُدّوا الرحال لكان القول تحريماً واضحاً لا خلاف عليه.

ويحاول دعاة الفتنة أن يعمقوا مسألة الخلاف هذه ؛ فيسمون زيارات الشيعة للعتبات المقدسة حجاً، ويرددون عبارة (حجاج النجف)، وهم يوحون بذلك أن الشيعة يحجون إلى غير مكة المكرمة مما يحمل الجاهلين على الإعتقاد بأن للشيعة حجاً غير حج اهل السنّة، وهذا كفيل بإخراجهم من الملة، والأمر ليس كذلك بطبيعة الحال، إذ أن الشيعة يقومون بزيارة أضرحة الأئمة لا بالحج إليها، ويعلم الجميع أنهم يحجون إلى مكة المكرمة ويؤدون المناسك ذاتها التي يؤديها أهل السنّة، ولا جدال عندهم في أن الحج إلى البيت العتيق ركن من أركان الإسلام، ولم يقل شيعي إن زيارة مراقد الأئمة تجزئ عن الحج،أو أنها من أركان الإسلام.

ب- يوم عاشوراء

في العاشر من محرّم، ومنذ أن استُشهد الحسين بن عليّ، وإلى أيامنا هذه، يقيم الشيعة المآتم، يلبسون السواد وينوحون على الحسين.

وكانوا في البداية يقرأون الأدعية المعروفة (بالزيارات)، وينشد شعراؤهم المراثي أمام القبر.

يروى أن الشريف الرضي أنشد قصيدة عصماء أمام قبر الحسين، فلما وصل إلى هذا البيت:

كم على تربكِ لما صُرعوا   من دم سال ومِن قَتْل جرى

بكى وبكى حتى أغمي عليه.

وليت الأمر وقف عند البكاء، إذنْ لهان الأمر، لكن إحياء هذه الذكرى عند الشيعة يرافقه عمليات بشعة تقشعِرّ لها الأبدان، من ضرب السلاسل على الأكتاف وشجّ الرؤوس، فتسيل الدماء من الجروح مصحوبة بأصوات البكاءِ والنحيب.

هذه مناظر تعطي أسوأ صورة عن الإسلام والمسلمين.

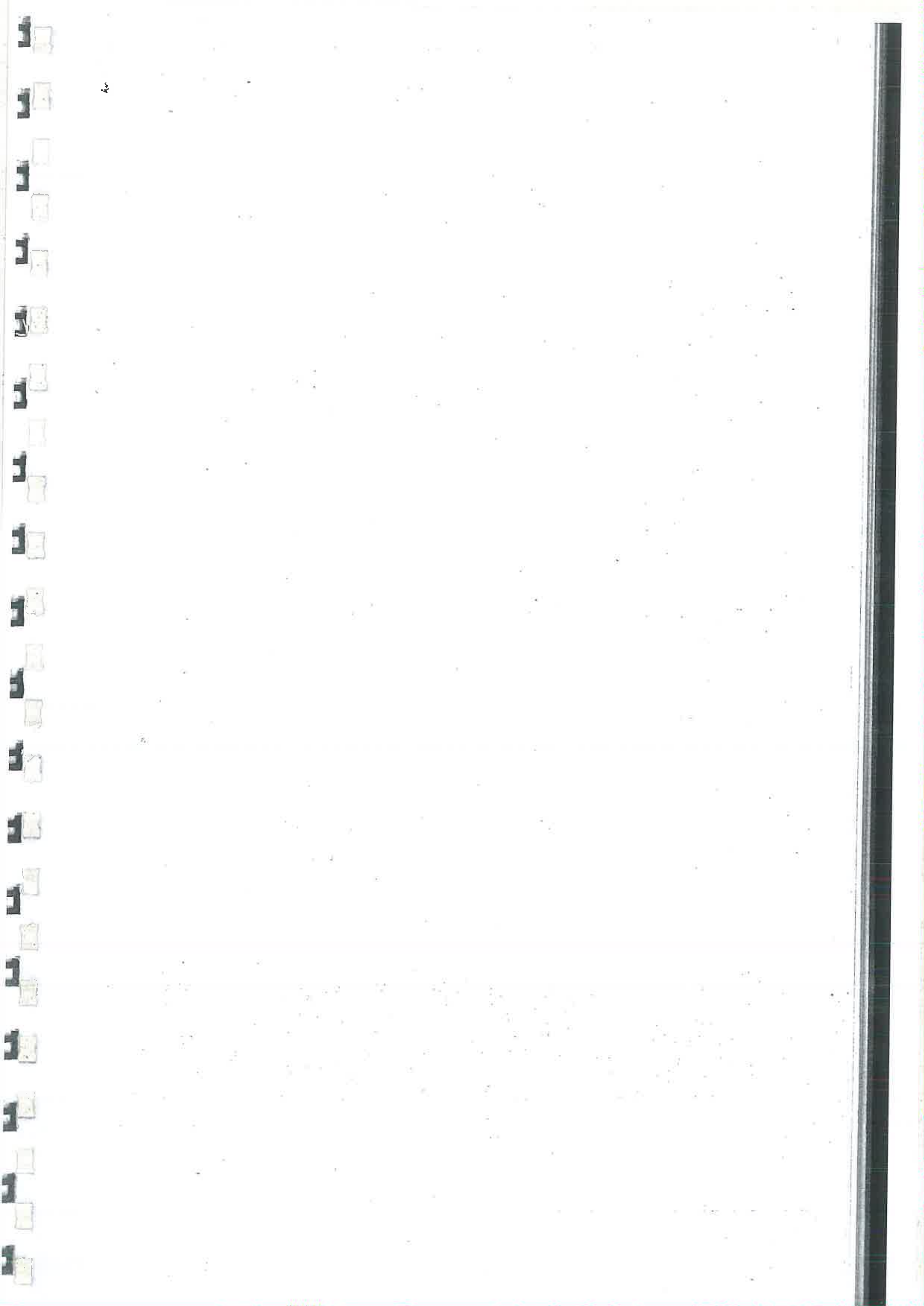
ويؤكد الدكتور موسى الموسوي أن السفارات البريطانية في طهران وبغداد كانت تمول المواكب الحسينية، وتلتقط لها الصور لتعرضها على الشعب البريطاني، وتثبت له أن هذه الشعوب غير مؤهّلة للاستقلال[٥٠٨]، وذلك إبان الاستعمار البريطاني لايران والعراق.

ويؤكد العلامة الموسوي أن السلطان المتعصب الشاه إسماعيل الصفوي هو المسؤول عن هذا المنحى عند الشيعة، وأنّ أعلاماً من الشيعة ينظرون إلى هذه المواكب ويتألمون.

وقـــد حرّمها كبير علماء الشيعة في سوريا، محسن الأمين العاملي سنة ١٣٥٢ هـ[٥٠٩].

كمـــا أن الإمام الخميني، حرّم مظاهر العنف التي ترافقها فأخذت تخف بالتدريج.

إن كـــل مسلم غيور على دينه يتمنى أن يرى هذه البدعة، وكل بدعة عند السنة والشيعة، وقد زالت إلى غير رجعة، ليعود المسلمون إلى صفاء دينهم وعظمته فيصدروا عن تعاليمه السمحة ومناهله العذبه.



خاتمة:

إذا أراد المسلمون العزة، فالعزة في طاعة الله وفي الوحدة بين أقطار الإسلام المختلفة، والوحدة بين السنة والشيعة تحت راية لا إله إلا الله، محمد رسول الله، إذ لا يزال الفريقان متباعدين، ولا زالت خطوات التقريب بينهما تواجه كيد الكائدين وعقبات المتعصبين.

وكيد أعداء الإسلام أيسر بكثير من أفكار المتعصبين وما يزرعونه في نفوس الفريقين من شك تجاه بعضهما بعضاً وما يشيعونه من روح الكراهية بينهما.

وفي المتعصبين من الطرفين مخلصون لدينهم، يظنون أنهم بكراهيتهم للفريق الآخر، يطيعون الله ورسوله وأنهم مأجورون على ما يقومون به من التعريف بسلبيات الفريق الآخر دون إيجابياته ومثل هؤلاء ينبغي تنبيههم إلى خطأ تصوراتهم، فهم إنما يعملون على تكريس الفرقة والخلاف والتدابر داخل الأمة الإسلامية مما يجعلها ضعيفة مكشوفة للأعداء وهذا هو واقعها المرير الآن.

إن العلاج الشافي لداء الفُرقة والكراهية بين الفريقين، هو محاربة الجهل الذي يطغى على عقول السواد الأعظم من السنة والشيعة، إذ يجهل معظم السنة مقالات الشيعة وحججهم ويعرفون عنهم أنهم يسبون أبا بكر وعمر وانهم يقولون إن جبريل غلط في الرسالة، فأعطاها لمحمد مع أنه جاء بها لعلي.

ولو عرف عامة أهل السنة أن الشيعة يكفّرون من قال بذلك ويَحرمون طعامه وشرابه، وأن حلماءهم وعقلاءهم لا يسبون أبا بكر وعمر، وأن في كتبهم قديمها وحديثها تعظيم للشيخين، وأن الطابع الغالب على مقالاتهم في الصحابة هو مجرد انتقادات تكفلها حرية الرأي التي أجازها الإسلام وليس فيها

كفـر ولا إثم، وأن المـناهج المدرسـية في إيران لا تتحدث عن الشيخين إلا بالإجلال، لو علموا ذلك كله لتغيرت نظرتهم إلى الشيعة.

ويظـن السواد الأعظم من الشيعة أن السنة لا يحبون أمير المؤمنين و لم يأسـفوا عـلى مقتل الحسين بدليل أنهم لا ينوحون عليه، وليس للأئمة عندهم اعتبار.

ولو دروا مقدار حب السنة لعلي وآله واحترامهم للأئمة الكرام لتغيرت نظرة الشيعة إلى السنة.

إن مـن أعظـم العقبات التي تواجه دعاة التقريب، ما تمتلئ به كتب الفريقين من اتهامات وتجريحات للفريق الآخر.

وكـثيراً ما أسمع من جانب أهل السنة من يطالب الشيعة بالكف عن تدريـس الكتـب التي فيها مالا يرضي أهل السنة، إذا أرادوا أن يتوصلوا إلى التفاهم مع السنة.

وأظـن المطلب عسيراً وغير معقول، ففي كتب الشيعة، بالإضافة إلى بعـض المواقف السلبية من أهل السنة ومن بعض الصحابة مواقف ايجابية منهم وفـيها علمهم وأدبهم وفقههم وثقافتهم، فمطالبتهم بترك كتبهم، أظنها مطلباً تعجـيزياً غير منطقي، وكما نجد في كتب الشيعة سلبيات، نجد في كتب السنة سـلبيات وأخبار ملفقة واسرائيليات لا يقبلها العقل، فهل نحرق هذه الكتب أم الأفضل أن نغربل ما فيها فنميز الغث من السمين والأصيل من المدسوس؟

إن المعقـول والممكـن هو أن يطالب كل فريق الآخر، بأن يكف عن تدريس المواد المثيرة للخلاف والشقاق ويكف عن الترويج لها في وسائل الإعلام وفي المجالس والمنتديات.

وأن يحـترم كل فريق الفريق الآخر فيَذكُره بأحسن ما عنده، ويُعرض عن المهاترات والشتائم والاتهامات المثيرة الأحقاد.

وبعـــد ذلك، فلا نتوقع ولا نطلب بأن تُلغى الأحزاب والفرق كشرط لقـــيام الدولة الواحدة فالأحزاب والفرق دليل حيوية الأمة وفاعليتها واحترامها لحـــرية التعبير وحرية التفكير لرعاياها، وهذا أمر كانت الدولة الإسلامية سباقة إليه قبل نشوء الدول الديمقراطية بقرون كثيرة.

بـــل الواجـــب أن يتفق المسلمون على المبادئ العامة التي تجمع شتات الأمة وعلى القيم والمثل التي ترضي كافة أبناء الدولة الإسلامية الواحدة، ضمن ما أحل الله تعالى وما أمر به، على أن من تقيد بهذه الروابط المشتركة يحق له أن يقود الأمة، سنياً كان أم شيعياً.

ولا شك أن احترام ذكرى الصحابة وتحكيم كتاب الله في كل الأمور، والأخذ بالأحاديث الصحيحة أياً كان مصدرها وترك البدع والضلالات كلها أمور من السهل على الأمة أن تتفق عليها، لتعود إلى رابطتها الواحدة: الإسلام، فننهل من نبعه الصافي الذي نهلنا منه أول مرة يوم لم يكن ثمة سنة ولا شيعة.

فيكون الإسلام، كما كان أول عهده، هو الهوية الوحيدة لمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقام أركان الدين.

ومـــا أعظـــم أن يعود المسلمون إلى دينهم ضمن دولة مسلمة واحدة يجمعهـــا دســـتور إسلامي يحترمه الجميع ويدينون له بالولاء فيكون الخيمة التي يســـتظل بها المسلم وغير المسلم من رعايا هذه الدولة فينال كل مواطن حقوقه كاملـــة غير منقوصة، ويتمتع بالعزة والكرامة التي كفلها الإسلام لجميع رعاياه من مسلمين وغيرهم.

والله أسأل أن يوفق أُمتنا لما فيه خيرها وسعادتها في الدارين.

والحمـــد لله رب العـــالمين والصلاة والسلام على محمد الطاهر الأمين وعلى آله وصحبه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

الهــوامش:

---

١ تفسير القرطبي ج ١٧ ص ٢٧٠

٢ قال لها: أنت علي كظهر أمي.

٣ المجادلة ١،٢

٤ التوبة ٨٤

٥ الاحزاب ٧١

٦ تاريخ الإسلام السياسي، د. حسن إبراهيم حسن ج١، ص ٢٠٦

٧ تفسير القرطبي ج١٧، ص ٢٧٠

٨ المصدر السابق، ج٥، ص ٩٩

٩ البداية والنهاية لابن كثير، ج٥، ص ٢٨٧

١٠ البداية النهاية ج٥ ص٣٢٤ وما بعدها

١١ المصدر السابق ص٣٥١ وما بعدها .

١٢ المصدر السابق

١٣ المصدر السابق ص ٤٠٠

١٤ الصافات ٨٢

١٥ القصص ١٥

١٦ أصل الشيعة وأصولها ص ٢١٠

١٧ المصدر السابق ص ١١٩

١٨ المرجع السابق ١١٣

١٩ الملل والنحل للشهرستاني

٢٠ مختصر التحفة الاثني عشرية ص ١٤

٢١ الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٤٣

٢٢ تاريخ الإسلام السياسي د. حسن إبراهيم حسن ج٢ ص ١٦٢

٢٣ آل عمران ٧

٢٤ الإسلام بين العلماء والحكام، عبد العزيز البدري ص ١٦٧

٢٥ الفرق الإسلامية لمحمود البشيشي ص ١٠- ١١ وإسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة ص ٥٥٦

٢٦ الفرق الإسلامية للبشيشي ص ١٠

٢٧ المصدر السابق والصفحة نفسها

٢٨ الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص ١٢٩

٢٩ أصل الشيعة وأصولها ص١٠٣

٣٠ المصدر ذاته ص٤٣

٣١ الملل والنحل ج١ ص ١٧٩

٣٢ العقد الفريد ج٢ ص ٢٢٢

٣٣ مختصر التحفة الاثني عشرية ص ١٢

٣٤ الأصول من الكافي ج٢ ص ٨٢٨

٣٥ الملل والنحل ج١ ص ١٧٥

٣٦ المصدر السابق ج١ ص ١٨٠

٣٧ مختصر التحفة الاثني عشرية ص ١٤

٣٨ الملل والنحل ج١ ص ١٨٩

٣٩ المصدر السابق ج١ ص ١٦٨

٤٠ تاريخ الإسلام السياسي ج٣ ص ٢٠٣

٤١ المصدر السابق ج٤ ص ١٩٥

٤٢ المصدر السابق ص ١٩٧

٤٣ المصدر السابق ج١ ص ٢٦٢

٤٤ المصدر السابق ج١ ص ٣٦٨

٤٥ المصدر السابق ج٤ ص ٣٥٨

٤٦ المصدر السابق ج٤ ص ٢٦٣

٤٧ المصدر السابق والصفحة ذاتها

٤٨ الملل والنحل ج٢ ص ١٩٢

٤٩ المصدر السابق ج١ ص ١٥٠

٥٠ المصدر السابق والصفحة ذاتها

٥١ المصدر السابق ج١ ص ١٧

٥٢ تاريخ الإسلام د. ابراهيم حسن، ج٢ ص١٠

٥٣ المصدر السابق ج١ ص١٨٩

٥٤ المصدر السابق ص ١٥٥

٥٥ مروج الذهب للمسعودي ج٢ ص ١٨١ وكذلك: مَقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني ص ١٤٤

٥٦ مقاتل الطالبيين ص ١٥٨

٥٧ الغدير لعبد المحسن الأميني ج١ ص ٦٩

٥٨ الاحزاب آية ٩٣

١الدهر من ٩-١٣.

٢تعددت الاقوال في سبب نزول هذه الاية. راجع تفسير القرطبي ج ١٩ ص١٣٠وما بعدها.

٣تفسير القرطبي ج٢ ص ٧٨.

٤الأئمة الاثنا عشر لشمس الدين بن طولون ص٥٧.

٥الائمة الاثنا عشر للعالم السني محمد بن احمد بن طولون ص٧٥.

٦الملل والنحل ج١ ص ١٥٦

٧المصدر ذاته ج١، ص١٥٦.

٨ تاريخ الإسلام السياسي والثقافي د. حسن إبراهيم حسن ج٢ ص ١٢٤، ١٢٥

٩الإسلام بين العلماء والحكام للعالم السني الشهيد عبد العزيز البدري ص١٤٨.

١٠مختصر تاريخ البشر لأبي الفداء ج٢ ص١٦،١٥.

١١تاريخ الإسلام السياسي د. حسن إبراهيم حسن ج٢ ص ١٨٣ وما بعدها.

١٢الأئمة الاثنا عشر للعالم السني شمس الدين محمد بن طولون ص٧٥ وما بعدها.

١٣المصدر السابق ص١١٨.

١٤ديوان الفرزدق ص١٧٨.

١٥تستوكفان: تستمطران، العدم: الفقر.

١٦افتدحوا:اثقلتهم المغارم.

١٧أروع: ذكي، العرنين: الجبهة.

١٨ركن الحطيم: الركن اليماني في الكعبة المشرفة وفيه الحجر الاسود.

١٩النبعة: شجرة من أجود الشجر تصنع منها القسي، الخيم: السجية والطبع.

٢٠يسترب: يطلب.

٢١كتاب الأئمة الاثنا عشر لمحمد بن أحمد بن طولون ص٤٣،٤٢.

مراجع الفصل الـــــثاني

٢٢الملل والنحل ج١ ص١٥٥.

٢٣الفصل في الملل والاهواء والنحل ج٣، ص٢٩٢.

٢٤ الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ص ٢٩٢.

٢٥ نصح الأمة في فهم أحاديث افتراق هذه الأمة، سليم بن عيد الهلالي ص٣٥.

٢٦المصدر السابق ص١٠.

٢٧نصح الأمة ص ١٠ وما بعدها.

٢٨انظر ص ٢٣.

٢٩انظر ص٣٦.

٣٠كتاب الوحدة الإسلامية، من مقال الشيخ عبد المتعال الصعيدي بعنوان: التقريب بين المذاهب ص٨٦-٨٩.

٣١مختصر التحفة الاثني عشرية لشاه عبد العزيز الدهلوي ص٢٠٨.

٣٢صحيح مسلم ج٣ ص ١٤٦٨.

٣٣فيض القدير ج١ ص ٥١٣ نقلاً عن أصحاب الصحاح الستة.

٣٤حاشية مسند أحمد ج٢ ص ١٤٢.

٣٥المصدر السابق والصفحة ذاتها.

٣٦عبقرية الصديق لعباس محمود العقاد ص ٢٤.

٣٧فيض القدير ج١،ص٥١٣.

٣٨تفسير القرطبي ج١ ص ٢٧.

٣٩تفسير القرطبي ج١ ص ٢٧٠.

٤٠مع الشيعة الإمامية لمحمد جواد مغنية ص٩.

٤١مع الشيعة الإمامية لمحمد جواد مغنية ص٩.

٤٢أصل الشيعة وأصولها لمحمد الحسين ال كاشف الغطاء ص ١٢٩.

٤٣النساء آية ٥٩.

٤٤الكامل للمبرد ج١ ص٨.

٤٥تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ١٦٠ وحاشية مسند أحمد ص ١٨٩/١٨٨ وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٢٨.

٤٦ابن الأثير ج٣ ص٦٧ والطبري ج٤ ص ٢٢٩ طبقة دار المعارف.

٤٧عبقرية عمر لعباس العقاد ص ١٦٥ نقلاً عن الجاحظ وابن أبي حديد عن ابن عباس.

٤٨تاريخ ابن الأثير ج٣ ص ٦٥ والطبري ج٤ ص ٢٢٧ طبقة دار المعارف.

٤٩صحيح مسلم ج٣ ص ١٤٥٤.

٥٠تاريخ الطبري ج٣ ص ٢٢٨.

٥١ابن الأثير ج ٣ ص ٧١،والطبري ج٤ ص ٢٣٩.

٥٢تاريخ الطبري ج٤، ص٢٣٩.

٥٣مسند أحمد ج١ ص١٣٠ رقم ١٠٧٨

٥٤ أصل الشيعة وأصولها لمحمد الحسين ال كاشف الغطاء ص ١٣٦.

٥٥تاريخ الإسلام د. حسن إبراهيم حسن ج ص ٢٠٥.

٥٦تاريخ الطبري ج٣ ص ٣٠٢.

٥٧ابن الأثير ج٢ ص٣٢٦ والطبري ج٣ ص ٢٠٩ طبعة دار المغارف.

٥٨التوبة آية ١٠٣.

٥٩تاريخ الطبري ج٢ ص٢١٣.

٦٠سورة التوبة آية ٤٠.

٦١أسيف: شديد الحزن، يبكي اذا قرأ القرآن.

٦٢صواحب يوسف أحببنه ولُمْنَ امرأة العزيز على حبه، فهن يظهرن عكس ما يخفين.

٦٣ابن الأثير ج٢ ص٣٢٢ والطبري ج٣ ص ١٩٧.

٦٤عمدة القاري في صحيح البخاري ج١٦، ص١٧٧.

٦٥المصدر السابق ج١٦، ص١٧٨.

٦٦تفسير القرطبي ج١، ص٢٧٠ وكذلك مختصر التحفة الاثني عشرية ص١٢٢.

٦٧سورة الأحزاب اية ٣٣.

٦٨الأصول من الكافي ج٢، ص٢٨٧.

المراجعات لعبد الحسين الموسوي ص ٢٢٢

٦٩الأئمة الاثنا عشر لشمس الدين بن طولون ص٦٦.

٧٠الملل والنحل للشهر ستاني ج١ ص ١٦٣.

٧١تفسير القرطبي ج١، ص ٢٦٧.

٧٢سورة المائدة آية ٥٥

٧٣تفسير القرطبي ج٦ ص ٢٢١.

٧٤المصدر السابق.

٧٥خم بفتح الخاء وروي ضمها.

٧٦المائدة آية ٦٧.

٧٧الملل والنحل للشهرستاني السني ج١ ص ١٦٣والمراجعات لعبد الحسين الموسوي ص ٢١٩،٢٢٠.

٧٨موسوعة الغدير لعبد الحسين الأميني النجفي المجلد الأول من أوله حتى ص ٢٣٨.

٧٩مسند أحمد ج٢ ص ١٩٥ تحقيق أحمد شاكر.

٨٠تفسير القرطبي ج١ ص ٢٦٧.

٨١الأحزاب آية ٦.

٨٢المراجعات ٢٢١.

٨٣سورة فصلت اية ٣٤.

٨٤تفسير القرطبي ج١ ص ٢٦٧.

٨٥الملل والنحل ج١ ص ١٦٣.

٨٦حاشية العواصم ص١٨٦.

٨٧سورة طه آية ١١٥.

٨٨سورة الكهف آية ٧٣.

٨٩صحيح البخاري ج٢ ص٨٥.

٩٠التوبة آية ٤٣.

٩١سورة عبس، الآيتان ١-١٠.

٩٢الأحزاب، الآية ٣٣.

٩٣أصل الشيعة، وأصولها لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء ص١٢٨.

٩٤مع الشيعة الإمامية لمحمد جواد مغنية ص ١٠١.

٩٥الحكومة الإسلامية للإمام الخميني ص ٩١.

٩٦مع الشيعة الإمامية لمحمد جواد مغنية ص١٥.

٩٧العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي ص ١٩٩.

٩٨حاشية العواصم ص٢١٢.

٩٩سورة يونس آية ٣٥.

١٠٠تفسير القرطبي ج١ ص٢٧٠.

١٠١الحكومة الإسلامية للإمام الخميني ص ١٠٣،١٠٢.

١٠٢الحكومة الإسلامية ص٤٩.

١٠٣المصدر السابق ص٥٢.

١٠٤الرسول لسعيد حوى ج٢ ص ٨٦.

١٠٥المصدر السابق ص ٩٤.

١٠٦سورة الكهف آية ٦٥.

١٠٧الكشكول لبهاء الدين العاملي ج٢ ص٣٠٩.

١٠٨الحشر آية ٧.

١٠٩سورة النجم آية ٤،٥.

١١٠الزمر آية ٩.

١١١الأصول من الكافي للكليني ج١ ص٢٥٨.

١١٢المصدر السابق ج١ ص١٩٦.

١١٣الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير ص ٥٩ نقلا عن الأصول من الكافي.

١١٤مختصر التحفة الأثني عشرية ص ١٠٢.

١١٥الحكومة الإسلامية للإمام الخميني ص ٥٢.

١١٦الحكومة الإسلامية ١٠٢ نقلا عن كتاب جامع الأخبار

١١٧طه آية ١٢١.

١١٨المائدة آية ٥٥.

١١٩البقرة ٢٦٠.

١٢٠ص آية ٣٥.

١٢١القصص آية ٢١

١٢٢المائدة آية ١١٦.

١٢٣مختصر التحفة ص٣٩-٤٠.

١٢٤مختصر التحفة ص١٠٣.

١٢٥مختصر التحفة الاثني عشرية ص١٠٣.

١٢٦المصدر السابق ص٤١.

١٢٧المصدر ذاته ص١٠٤.

١٢٨المصدر ذاته ص١٠٠.

١٢٩مع الشيعة الإمامية لمحمد جواد مغنية ص٤١.

١٣٠المصدر السابق ص٦٠.

١٣١أصل الشيعة وأصولها لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء ١٢٩.

١٣٢عقد الدرر في أخبار المنتظر للشيخ يوسف المقدسي ص٦٩-٨٥.

١٣٣سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ج١،ص١٠٣.

١٣٤المصدر السابق ج١،ص١٠٨.

١٣٥المصدر السابق ج١ص١٠٣.

١٣٦العقائد الإسلامية للسيد سابق ص ٢٥١

١٣٧عقد الدور في أخبار المنتظر ص ٢٠٦

١٣٨المصدر السابق ص ١٥٢

١٣٩عقد الدرر ص١٥٨-١٦٤.

١٤٠ الملل والنحل للشهر ستاني ج١، ص١٧٥.

١٤١ مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٣١٧.

١٤٢ الملل والنحل للشهر ستاني ج١، ص١٥٠.

١٤٣ حديث الأربعاء لطه حسين ٢٨٧.

١٤٤ الملل والنحل ج١ ص١٧٢.

١٤٥ الغدير ج٢ ص٣٦١.

١٤٦ أصل الشيعة وأصولها لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ١٠٠.

١٤٧ العُشر: الناقصة.

١٤٨ بأجدارها: من تلقاء نفسها.

١٤٩ الكشكول لبهاء الدين العاملي ج١ ص١٩٠

مراجع الفصل الثالث

١٥٠ التاج الجامع للأصول للشيخ منصور علي ناصيف ج١ ص٢٤، ٢٥، رواية عن البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

١٥١ في مصادر الشيعة: كتاب أصل الشيعة وأصولها لآل كاشف الغطاء ص ١٢٩ وكذلك مع الشيعة الإمامية لمحمد جواد مغنية ص٧.

١٥٢ مع الشيعة الإمامية لمحمد جواد مغنية ص٩.

١٥٣ أصل الشيعة وأصولها لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ١٢٩.

١٥٤ المرجع ذاته والصفحة ذاتها.

١٥٥ مع الشيعة الإمامية ص٩.

١٥٦ الإسراء آية ١٥.

١٥٧ مع الشيعة الإمامية ص ٩٨-١٠٢.

١٥٨ مختصر شرح التحفة الاثني عشرية ص١١٦.

159 مع الشيعة الإمامية ص٩٩.

160 تفسير القرطبي ج١ ص ٢٧٢ نقلاً عن صحيح مسلم.

161 الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير ص ٥٦.

162 المصدر ذاته والصفحة ذاتها.

163 الكامل للمبرد ج٢ ص ١٩٥.

164 البقرة ٢٢٩.

165 المائدة آية ٩٠.

166 الملل والنحل ج١ ص ١٢٩.

167 الأصول من الكافي ج١ ص٢٣١.

168 أصل الشيعة وأصولها لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ٢٣١.

169 البقرة ١٨٥.

170 آل عمران ٢٨.

171 النحل ١٠٦.

172 تفسير القرطبي ج١ ص١٨٠.

173 شرح مختصر التحفة الاثني عشرية ص٢٨٨.

174 الآية ٩٥ من سورة البقرة وانظر تفسيرها عند القرطبي ج٢ ص ٣٦٢.

175 سورة الحجر آية ٩٤.

176 آل عمران ١٤٦.

177 المائدة آية ٥٤.

178 الأحزاب آية ٧٠.

179 إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ج٣ ص ١٣٤.

180 الوحدة الإسلامية ص ٢٥١.

181 المصدر السابق والصفحة ذاتها.

١٨٢ صفية بنت حُيي بن أخطب.

١٨٣ السنة والشيعة لإحسان الهي ظهير ص ١٨٥ نقلاً عن كتاب الاعتقادات الصدوق.

١٨٤ تعريف بمذهب الشيعة الإمامية للدكتور محمد أحمد التركماني ص٩٤.

١٨٥ الأصول من الكافي ج٢ ص ٢١٧.

١٨٦ المصدر السابق والصفحة ذاتها.

١٨٧ مع المحب في خطوطه العريضة ص١٥٨.

١٨٨ السنة والشيعة ص ١٥٩ نقلاً عن كتاب مصباح الظلام.

١٨٩ السنة والشيعة ص١٤٢.

١٩٠ السنة والشيعة ص١٤٣ نقلاً عن الكافي في الفروع ج٣ ص ١٨٨ طبعة إيران.

١٩١ المصدر السابق ص١٤٤.

١٩٢ المصدر السابق والصفحة ذاتها.

١٩٣ الوحدة الإسلامية ص ٣٢٩.

١٩٤ تعريف بمذهب الشيعة الإمامية للتركماني نقلاً عن كتاب ثقاة الرواة ج١ ص ٢١٧.

١٩٥ أصل الشيعة وأصولها لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء.

مراجع الفصل الرابع

١٩٦ المائدة آية ٤٤.

١٩٧ المائدة آية ٤٥.

١٩٨ المائدة آية ٤٧.

١٩٩ الإسراء ٨٨.

٢٠٠ فصلت آية ٥٣.

٢٠١ الإتقان في علوم القرآن ج١ ص٥٩.

٢٠٢ السنة والشيعة لإحسان إلهي ظهير ص ١٢٣-١٢٨.

٢٠٣ مع الشيعة الإمامية لمحمد جواد مغنية ص ٧٣.

٢٠٤ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص٥٧.

٢٠٥ المصدر السابق ص ٥٨.

٢٠٦ الإتقان في علوم القرآن ج١ ص ٧٩.

٢٠٧ نقل عن هذه العبارة الدكتور محمد أحمد التركماني في كتابه تعريف بمذهب الشيعة الإمامية ص٨٥.

٢٠٨ الأصول من الكافي ج١ ص ٢٣٨-٢٤٠.

٢٠٩ راجع دائرة المعارف للأعلمي ج١٥ ص ٤٢ وما بعدها.

٢١٠ الكشكول لبهاء الدين العاملي، ج٢ ص ١٩٨، ١٩٩.

٢١١ الأصول من الكافي ج٢ ص رقم ٢٣.

٢١٢ حاشية مختصر التحفة ٣٢ و الخطوط العريضة التي قام عليها دين الإمامية ص ١٥٠.

٢١٣ مع الشيعة الإمامة لمحمد جواد مغنية ص ٥١.

٢١٤ عن كتاب السنة والشيعة لإحسان إلهي ظهير ص ١٢١.

٢١٥ البقرة ٢١٩.

مراجع الفصل الخامس

٢١٦ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج٢ ص ٢٢ وكذلك صحيح مسلم ج ٢ ص ١٠٧٥.

٢١٧ تفسير القرطبي ج ٨ ص ٦٢.

٢١٨ الإتقان في علوم القرآن ج ١ ص ٥٨.

٢١٩ التوبة ١٢٨.

٢٢٠ السجدة ١٧.

٢٢١ الإتقان ج ١ ص ٧٧.

٢٢٢ الرحمن ٧٦.

٢٢٣ الواقعة ٨٩.

٢٢٤ الإتقان ج ١ ص ٧٧.

٢٢٥ الإتقان ج١ ص٧٧.

٢٢٦ الإتقان في علوم القرآن للعالم السني جلال الدين السيوطي، ج١ ص ٧٧.

٢٢٧ الإتقان في علوم القرآن ج ١ ص ٨٩.

٢٢٨ الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب ص ح ٨، ٩.

٢٢٩ الكافي للكليني ج ٢ ص ٦٣٤.

٢٣٠ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ١ ص ٦٧.

٢٣١ الأصول من الكافي ج ١ ص ٤١٧ رقم ٢٥.

٢٣٢ الكافي ج ١ ص ٤١٧، رقم ٢٦.

٢٣٣ المصدر السابق رقم ٢٧.

٢٣٤ المصدر السابق رقم ٢٨.

٢٣٥ سورة الحجر آية ٩.

٢٣٦ أصل الشيعة وأصولها لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ١٣٣.

٢٣٧ مع الشيعة الإمامية للشيخ محمد جواد مغنية ص ٧٢.

٢٣٨ كتاب الوحدة الإسلامية- مجموعة مقالات لعلماء من السنة والشيعة، ص٢٤٣.

٢٣٩ مع الشيعة الإمامية لمحمد جواد مغنية ص ٧٣.

٢٤٠ الحشر آية ٧.

٢٤١ الأصول من الكافي لأبي جعفر الكليني ج ١ ص ٥٩.

٢٤٢ الحكومة الإسلامية للإمام الخميني ص ٢٨.

٢٤٣ علوم الحديث ومصطلحه -صبحي الصالح، ط بيروت ١٩٧٧ ص ١٢٧ وما بعدها.

٢٤٤ الملل والنّحل للشهرستاني ج ١ ص ١٧٩.

٢٤٥ الوحدة الإسلامية، مجموعة مقالات لعلماء من السنة والشيعة، صادر عن دار التقريب بين المذاهب في القاهرة ص ٣٣٠.

٢٤٦ الوحدة الإسلامية، كتاب صادر عن دار التقريب في القاهرة، ص ٣٣٠.

٢٤٧ المصدر السابق ص ٣٦٣، ٣٦٤ من مقالة للعالم السني المصري الشيخ محمد محمد المدني بعنوان: أسباب الاختلاف بين أئمة المذاهب.

٢٤٨ علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح ص ١٦٦ وما بعدها.

٢٤٩ مع الشيعة الإمامية لمحمد جواد مغنية ص ٧٨ وما بعدها.

٢٥٠ مع الشيعة الإمامية لمحمد جواد مغنية ص ٧٨.

٢٥١ شرح مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٤٩.

٢٥٢ مع الشيعة الإمامية ص ٨٧.

٢٥٣ السنة والشيعة للكاتب السني إحسان إلهي ظهير ص ١٥٤.

٢٥٤ من مقال الشيخ محمد جواد مغنية في كتاب الوحدة الإسلامية ص ٣٢٩.

٢٥٥ الوحدة الإسلامية ص ٣٢٩.

٢٥٦ مع الشيعة الإمامية لمحمد جواد مغنية ص ١٢، ١٣.

٢٥٧ المعلق: هو الذي سقط من إسناده رجل أو أكثر في أول سلسلة السند والمرفوع هو الذي اتصلت سلسلة سنده برسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢٥٨ كتاب الوحدة الإسلامية ص٢٣١، ٢٣٢، بتصرف عن مقالة للعالم الشيعي الزيدي محمد بن صلاح الحائري بعنوان: منهاج عملي للتقريب.

٢٥٩ هو عالم ثقة مدحه من علماء السنة الدار قطني وابن كثير والذهبي واليافعي "الوحدة الإسلامية ص٢٣٥".

٢٦٠ مقالة للعالم الشيعي محمد صالح الحائري في كتاب الوحدة الإسلامية ص ٣٢٩.

٢٦١ المصدر السابق ص ٢٣٥.

٢٦٢ العالم السني الحافظ شمس الدين الذهبي كتابُه: ميزان الاعتدال في نقد الرجال طبع سنة ١٣٢٥.

٢٦٣ المراجعات ص ٧٧.

٢٦٤ ص ٨٣.

٢٦٥ ص ٨٧.

٢٦٦ ص ٨٩.

٢٦٧ ص ٩٢.

٢٦٨ ص ٩٦.

٢٦٩ ص ٩٦.

٢٧٠ المراجعات ص ١٠٥.

٢٧١ ص ١٠٦.

٢٧٢ ص ١٣٨.

٢٧٣ الوحدة الإسلامية ص٢٣٥.

٢٧٤ ما الفوارق بين السنة والشيعة، لمحمد أحمد مهذي ص ٢٤٧.

٢٧٥ الحكومة الإسلامية للإمام آية الله الخميني ص ٦٠.

٢٧٦ أصل الشيعة وأصولها لمحمد الحسين. آل كاشف الغطاء ص ١٤٩.

٢٧٧ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، قسم ٧ ص ٤٣٨.

٢٧٨ علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح ص ٣٦١.

٢٧٩ المصدر ذاته ص ٣٥٩.

٢٨٠ علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح ص ٣٥٩.

٢٨١ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني قسم ٧ ص ٤٤٤.

٢٨٢ سَمُرَة: بفتح السين والراء وضم الميم: نوع من الشجر طويل جميل شُبه به الرجال والنساء والجمع سَمُر وسَمُرات.

٢٨٣ الإصابة قسم ٣ ص ١٧٨.

٢٨٤ الإصابة قسم ٣ ص ١٧٩.

٢٨٥ الإصابة قسم ١ ص ٧.

٢٨٦ الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ٤٩٥.

٢٨٧ الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص ٤٩٥.

٢٨٨ المصدر ذاته.

٢٨٩ تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٣٢.

مــراجع الفصل السادس

٢٩٠ المصدر السابق والصفحة ذاتها "طبعة مكتبة الخياط".

٢٩١ سورة البقرة آية ٢٠٤-٢٠٦.

٢٩٢ البقرة ٢٠٧.

٢٩٣ راجع في سبب النزول تفسير القرطبي ج٣ ص ٢٠.

٢٩٤ الملل والنحل ج ١ ص ١٢٠.

٢٩٥ تاريخ الطبري ج ٧ ص ٨٣.

٢٩٦ الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص.

٢٩٧ الممل والنحل ج ١ ص ١٢٠.

٢٩٨ تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٩٠ وانظر كذلك أيام العرب في الإسلام ص ٣٧٨.

٢٩٩ العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي ص ١٧٧ وما بعدها.

٣٠٠ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، القسم الأول ص ٦.

٣٠١ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة لمحمد ناصر الألباني ج ١ ص ٧٨

٣٠٢ المصدر ذاته ص ٨١.

٣٠٣ المصدر السابق ج ٢ ص ١٦، ١٧.

٣٠٤ الفُرُط: السابق.

٣٠٥ صحيح البخاري ج ٩ ص ٥٨، ٥٩.

٣٠٦ اختُلِجوا: جُذِبوا، والخلج: الجذب.

٣٠٧ صحيح البخاري ج ٩ ص ٥٨.

٣٠٨ مع الشيعة الإمامية لمحمد جواد مغنية ص ٩١.

٣٠٩ الكشكول لبهاء الدين العاملي ج ١ ص ٣٨٩.

٣١٠ أصل الشيعة وأُولها لآل كاشف الغطاء ص ١٤٩.

٣١١ مع الشيعة الإمامية ص ٩١.

٣١٢ العقد الفريد ج ١ ص ٦٣.

٣١٣ مع الشيعة الإمامية ص ٩٢.

٣١٤ مع الشيعة الإمامية ص ٩٢.

٣١٥ أصل الشيعة وأصولها ص ١٠٧، ١٠٨.

٣١٦ التاج الجامع للأصول للشيخ منصور علي ناصف ج ٢ ص ٢٦٣.

٣١٧ الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٢٣٧.

٣١٨ جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير ج ١ ص ٣٨٦- ٣٨٧.

٣١٩ المصدر السابق ص ٣٨٧.

٣٢٠ مختصر التحفة الاثني عشرية لشاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي ص ٢٤٦.

٣٢١ النمل آية ١٦.

٣٢٢ سورة مريم آية ٦.

٣٢٣ مع الشيعة الإمامية لمحمد جواد مغنية ص ٧٩.

٣٢٤ مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٢٤٥.

٣٢٥ العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي ص ٦٧.

٣٢٦ الكشكول لبهاء الدين العاملي ج ٢ ص ١٤١.

٣٢٧ مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٢٣٨.

٣٢٨ عبقرية عمر لعباس محمود العقاد ص ١٨١.

٣٢٩ شرح مختصر التحفة ص ٢٣٩ نقلاً عن تاريخ الطبري والبداية والنهاية لابن كثير.

٣٣٠ عبقرية عمر لعباس محمود العقاد ص ١٨١.

٣٣١ شرح مختصر التحفة الاثني عشر ص ٢٤٠.

٣٣٢ شرح مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٢٤٠.

٣٣٣ عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، ج ١٦ ص ١٨١ و تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٧٥.

٣٣٤ مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٢٤٣.

٣٣٥ المصدر ذاته.

٣٣٦ تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٠.

٣٣٧ جواهر الأدب السيد أحمد الهاشمي ج ١ ص ١٩٢- ٢٦٠.

٣٣٨ مختصر شرح التحفة الاثني عشرية ص ٢٤٦.

٣٣٩ المصدر ذاته ص ٢٤٧.

٣٤٠ المصدر السابق ص ٢٤٧.

٣٤١ هذا القول سليمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (شرح التحفية ص ٢٤٨).

٣٤٢ شرح مختصر التحفة ص ٢٥٢.

٣٤٣شرخ مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٢٥٢.

٣٤٤ شرح مختصر التحفة الاثني عشرية من ٢٥٥.

٣٤٥ الأنفال آية ٤١.

٣٤٦ شرح مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٢٥٥.

٣٤٧ سورة البقرة آية ١٩٦.

٣٤٨ شرح مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٢٥٦ وما بعدها.

٣٤٩ النجم آية ٣٨.

٣٥٠ ما الفوارق بين السنة والشيعة لمحمد أحمد مهدي ص ١٨٢- ١٩٩

٣٥١مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٢٨٥

٣٥٢انظر سراب في إيران ص٧٧ وصورة الدعاء ص٧٨، ٧٩.

٣٥٣حاشية شرح مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٢٨٥.

٣٥٤بنو تيم بن مرة: عشيرة أبي بكر من قريش.

٣٥٥بنو عدي: رهط عمر بن الخطاب من قريش.

٣٥٦عتيق: لقب أبي بكر الصديق، وأبو تراب علي بن أبي طالب.

٣٥٧الكشكول لبهاء الدين ج١ ص ١٩٧.

٣٥٨ موسوعة مقتبس الأثر ومجدد ما اندثر للأعلمي ج١٧ ص٢٣٩.

٣٥٩ المعنى: في جباههم يبس شبيه باليبس الذي تراه في ركبة الماعز، وذلك من أثر السجود.

٣٦٠ السنة والشيعة لإحسان إلهي ظهير ص ٦٦ نقلاً عن كتاب نهج البلاغة.

٣٦١ أصل الشيعة وأصولها لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء ص: ١١٢.

٣٦٢ المصدر ذاته ص١١٥.

٣٦٣ السنة والشيعة لإحسان الهي ظهير ص ١٦٧ نقلاً عن كتاب الروضة للكليني ص ٢٩

٣٦٤ السنة والشيعة ص ١٦٧ نقلاً عن كتاب: كشف الغمة في معرفة الأئمة.

٣٦٥ نهج البلاغة ج٢ ص٢٠٤٩٠ طبعة القاهرة.

٣٦٦ السنة والشيعة ص ١٧ نقلاً عن كتاب تفسير القمي ج٢ ص ٣٧٦ طبعة النجف.

٣٦٧ مع الشيعة الإمامية لمحمد جواد مغنية ص ٤٣.

٣٦٨ الكشكول لبهاء الدين العاملي ج١ ص ٣٨٦.

٣٦٩ مع الشيعة الإمامية لمحمد جواد مغنية ص٤٢.

٣٧٠ ما الفوارق بين السنة والشيعة لمحمود أحمد مهدي ص ١٢٠، ١٢١.

٣٧١ في كتاب الوحدة الإسلامية مقال للأستاذ محمد صالح الحائري ص ٢٣٥.

٣٧٢ مختصر التحفة الاثني عشرية ص٣٠٩.

٣٧٣ تاريخ الطبري ج٥ ص ١٨.

٣٧٤ الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص ٢٤٢.

٣٧٥ الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص ٢٧.

٣٧٦ أيام العرب في الإسلام ص ٣٥.

٣٧٧ مروج الذهب للمسعودي ج٢ ص٣٧٩.

٣٧٨ الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص ٢٥٤.

٣٧٩ الكامل في التاريخ ج٣ ص ٢٥٤.

٣٨٠ الحيضة: قطعة القماش تستعملها الحائض.

٣٨١ الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص٤٨٧.

٣٨٢ حاشية العواصم من القواصم ص١٥٩.

٣٨٣ الأحزاب آية ٣٣.

٣٨٤ مروج الذهب للمسعودي ج٢ ص ٣٦٦، ٣٦٧.

٣٨٥ الشيعة والتصحيح للدكتور موسى الموسوي ص ٤٤.

٣٨٦ العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي ص١٦١.

٣٨٧ شرح مختصر التحفة الاثني عشرية ص٢٧٧.

٣٨٨ النساء آية ٥٩.

٣٨٩ أخلقته: أبلته.

٣٩٠ الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص ٤٨٣.

٣٩١ الغدير للأميني ج١ ص ٢٥٧.

٣٩٢ علي بن أبي طالب لعبد الكريم الخطيب ص ٥٨٩ طبعة المعرفة، بيروت ١٣٩٥.

٣٩٣ علي بني أبي طالب لعبد الكريم الخطيب ص ٥٨٩.

٣٩٤ المصدر ذاته والصفحة ذاتها.

٣٩٥ علي بن أبي طالب ص ٥٩٠.

٣٩٦ المصدر السابق والصفحة ذاتها.

٣٩٧ العقد الفريد للعالم السني محمد بن أحمد بن عبد ربه ج٤ ص ٩٩٨.

٣٩٨ العقد الفريد ج٤ ص ٩٩٨.

٣٩٩ الإشارة: تعني هنا التحريض

٤٠٠ العقد الفريد ج١ ص ٢٨٢.

٤٠١ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج٣ ص٤١٣.

٤٠٢ أنظر العواصم من القواصم لأبي بكر بن العزبي ص١٦٤، وكذلك ص١٩٩.

٤٠٣ العواصم من القواصم ص٢٠٥.

٤٠٤ صحيح البخاري ج٤ ص٢١٩.

٤٠٥ العواصم من القواصم، حاشية ص٢٢٧، تعليق محب الدين الخطيب، عن كتاب البداية والنهاية لابن كثير ج٨ ص ٢٣٣.

٤٠٦ البداية والنهاية لابن كثير ج٢ ص٢٢٨.

٤٠٧ الآية ٢٣ من سورة الأحزاب.

٤٠٨ فرطكم: أولكم.

٤٠٩ اختلجعوا: جذبوا.

٤١٠ صحيح البخاري ج٩ ص ٥٨.

٤١١ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن عماد الحنبلي ج١ ص٣٧.

٤١٢ تفسير القرطبي ج١ ص ١٨٠.

٤١٣ سورة النحل آية ١٠٦.

٤١٤ رسالة الغفران ص٣٤٩ تحقيق بنت الشاطئ، الطبعة الخامسة-القاهرة:

١٩٦٩، ١٣٨٩.

٤١٥ العقد الفريد لابن عبد ربه ج٥ ص١٢٨.

٤١٦ العقد الفريد لابن عبد ربه ج٥ ص١٢٨.

٤١٧ تاريخ الإسلام السياسي ج١ ص ٣٤٧.

٤١٨ ما الفوارق بين السنة والشيعة لمحمد أحمد مهدي ص٢٤٧.

٤١٩ العقد الفريد ج٥ ص ١٢٨.

مراجع الفصل السابع

٤٢٠ تاريخ الإسلام السياسي د. حسن إبراهيم حسن ج١ ص ٢٨٦.

٤٢١ المصدر ذاته ج١ ص٢٨٧.

٤٢٢ المصدر ذاته

٤٢٣ أخلقت وجه: أبلت محاسنه.

٤٢٤ تاريخ ابن الأثير ج٣ ص ٤٨٦.

٤٢٥ المصدر ذاته ج٣، ص٤٨٧.

٤٢٦ أي: ينسب الولد إلى أبيه الذي ولد على فراشه، ومن ادعى ابوّة غلام عن طريق الحرام فليس لـه شيء.

٤٢٧ الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص٤٨٧.

٤٢٨ أنظر العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي ص٢٣٥ نقلاً عن تاريخ دمشق للحافظ بن عساكر ج٥ ص٤٠٩.

٤٢٩ تاريخ ابن خلدون ج٣، ص ١٤ طبعة بيروت.

٤٣٠ تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٤٣١.

٤٣١ الكشكول لبهاء الدين العاملي ج٢ ص ١٥.

٤٣٢ تاريخ الإسلام السياسي والثقافي، د. حسن إبراهيم حسن ج٢ ص ١٥٤.

٤٣٣ ما الفوارق بين السنة والشيعة، لمحمود أحمد مهدي ص ٢٧٨.

٤٣٤ ابن المعتز للأستاذ عبد المنعم خفاجي ص١٥.

٤٣٥ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ج٢، ص٦٦.

٤٣٦ تاريخ الإسلام السياسي والثقافي د. حسن إبراهيم حسن ص١٨٣.

٤٣٧ أدب السياسة في العصر الأموي للدكتور أحمد محمد الحوفي ص ٥٢٠.

٤٣٨ الفذ: قصد به معاوية والرديفون: الخلفاء الذين جاءوا بعده.

٤٣٩ بكيل وأرحُب، هن من قبائل العرب النائية.

٤٤٠ كلها من قبائل العرب.

٤٤١ الطليق: العباس بن عبد المطلب. الصمصام: السيف، وكان العباس آخر المهاجرين ولم يكن من الطلقاء.

٤٤٢ مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني: ص١٧٩ وما بعدها.

٤٤٣ ابن المعتز وتراثه للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ص ١٥.

٤٤٤ يردونه شطاطا: يلقونه على طوله.

٤٤٥ كتاب الوحدة الإسلامية ص١٠٣.

٤٤٦ الوحدة الإسلامية ص١٦٠.

٤٤٧ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ج٢ ص٤٢.

٤٤٨ تاريخ الإسلام السياسي والثقافي د. حسن إبراهيم، ج٤ ص ١٥٧.

مراجع الفصل الثامن

٤٤٩ استشهد في صفين.

٤٥٠ العقد الفريد ج٧ ص ١٤٥.

٤٥١ سورة إبراهيم آية ١٧.

٤٥٢ رسالة الغفران ص٣٣.

٤٥٣ أصل الشيعة وأصولها لمحمد الحسين آل الكاشف الغطاء ص ١٢٥.

٤٥٤ مقتبس الأثر ومجدد ما اندثر للشيخ محمد حسين الأعلمي ج٥ ص ٣١٩.

٤٥٥ مذكرة في تاريخ العرب الحديث للدكتور حسن ريان والأستاذ محمد طوالبة ج١ ص٢٦.

٤٥٦ أصل الشيعة وأصولها لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء ص١٢٢.

٤٥٧ إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة ص١٩٤.

٤٥٨ شرح مختصر التحفة الاثني عشرية ص٣٨.

٤٥٩ إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة ص ٦١٩-٦٢٠.

٤٦٠ التاج الجامع للأصول للشيخ السني منصور علي ناصف ج٢ ص٣٣٤.

٤٦١ النساء آية ٢٤.

٤٦٢ التاج الجامع للأصول ج٢ ص ٣٤٤، ٣٣٥.

٤٦٣ جامع الأصول في أحاديث الرسول للفقيه ابن الأثير ج١٢ ص١٣٢.

٤٦٤ المصدر السابق.

٤٦٥ التاج الجامع للأصول للشيخ منصور علي ناصيف ج٢ ص ٣٣٥.

٤٦٦ جامع الأصول لابن الأثير ج١٢ ص١٣٠.

٤٦٧ التاج الجامع للأصول ج٢ ص ٣٣٥.

٤٦٨ أصل الشيعة وأصولها لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ١٦٨.

٤٦٩ تفسير القرطبي ج٢ ص ٣٧٠.

٤٧٠ الغدير لعبد الحسين الأميني النجفي ج٦ ص ٢١٣.

٤٧١ الكشكول لبهاء الدين العاملي ج١ ص٢٤٩-٢٥٠.

٤٧٢ جامع الأصول لابن الأثير ج١٢ ص١٣٦.

٤٧٣ شرح مختصر التحفة للدهلوي ص ٢٥٦.

٤٧٤ التاج الجامع للأصول للشيخ السني منصور علي ناصف ج٢ ص ٣٣٦.

٤٧٥ سورة النور آية ٣٣.

٤٧٦ التاج الجامع للأصول ٢ ص ٣٣٦.

٤٧٧ المجامر أوعية توقد فيها عيدان الطيب في الحفلات.

٤٧٨ إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة ص٢٠.

٤٧٩ أصل الشيعة وأصولها لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ١٦٨.

٤٨٠ مع الشيعة الإمامية لمحمد جواد مغنية ص١٢٨-١٣٠.

٤٨١ مع الشيعة الإمامية، لمحمد جواد مغنية ص١٣٠.

٤٨٢ الشيعة والتصحيح للعلامة الدكتور موسى الموسوي ص ١٠٤.

٤٨٣ المصنف للحافظ الصنعاني ج١ ص٤٧٢.

٤٨٤ المصنف للحافظ الصنعاني ج١ ص٤٧٢.

٤٨٥ المائدة آية ٦.

٤٨٦ سورة نوح آية ٢-٤.

٤٨٧ انظر تفسير القرطبي ج٦ ص ٩١.

٤٨٨ المصدر ذاته.

٤٨٩ ما لا يحضره الفقيه للإمام الصدوق ج١ ص٢٤.

٤٩٠ المصدر ذاته ج١ ص٢٦، ٢٧.

٤٩١ المصنف للحافظ الصنعائي ج١ ص ١٨.

٤٩٢ المصدر السابق ص١٩.

٤٩٣ المصدر ذاته والصفحة ذاتها.

٤٩٤ تفسير القرطبي ج٦ ص ٩١

٤٩٥ المصدر السابق ص ٩٢

٤٩٦ المصدر السابق والصفحة ذاتها.

٤٩٧ المصنف للحافظ الصنعاني ج١ ص٢٠.

٤٩٨ المصدر ذاته والصفحة ذاتها.

٤٩٩ المصدر ذاته والصفحة ذاتها.

٥٠٠ المصدر ذاته ص٢١.

٥٠١ الشيعة والتصحيح للدكتور موسى الموسوي ص ١٢٧.

٥٠٢ المصنف للصنعاني ج١ ص ٥٥٥.

٥٠٣ المصنف ص ٥٥٦.

٥٠٤ مالا يحضره الفقيه ج١ ص٢٣.

٥٠٥ هذا هو رد علماء الشيعة على من يسألهم عن هذا الأمر من أهل السنة.

٥٠٦ الشيعة والتصحيح للدكتور موسى الموسوي ص ١١٥.

٥٠٧ الشيعة والتصحيح للدكتور موسى الموسوي ص٩٣.

٥٠٨ الشيعة والتصحيح ص ٩٨. المصدر ذاته ص ١٠١-٥٠٩.

المراجع والمصادر

المراجع المشتركة

١- القرآن الكريم

٢- الوحدة الإسلامية "التقريب بين المذاهب السبعة". بحوث علمية لمجموعة من علماء المسلمين من السنة والشيعة، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م جمع وترتيب: عبد الكريم أبي أزار الشيرازي.

من كتب الشيعة:

١- أصل الشيعة وأصولها لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء القاهرة، ١٩٥٨.

٢- الأصول من الكافي تأليف أبي جعفر اسحق الكليني الرازي، الطبعة الرابعة، دار صعب، دار التعارف بيروت ١٤١٠هـ.

٣- الحكومة الإسلامية للإمام الخميني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٩.

٤- مع الشيعة الإمامية لمحمد جواد مغنية، منشورات مكتبة الأندلس بيروت، الطبعة الثانية ١٩٥٦م.

٥- كتاب المراجعات للإمام عبد الحسين شرف الدين الموسوي، الطبعة الخامسة، دار الأندلس للطباعة والنشر.

٦- مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاي، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر منشورات عيسى البابلي الحلبي.

٧- ما الفوارق بين السنة والشيعة تأليف محمود أحمد مهدي، الطبعة الأولى ١٩٦٣.

٨- الكشكول لبهاء الدين العاملي، مجهول مكان الطباعة وتاريخها.
٩- تـــاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، دار صادر، دار بيروت، بيروت ١٣٧٩هـــ-١٩٦٠م.
١٠- جـــامع الأصـــول مـــن أحاديث الرسول لابن الأثير. دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٠هـــ-١٩٨٠م.
١١- نهـــج الـــبلاغة، جمع الشريف الرضي، شرح الشيخ محمد عبده، طبعة القاهرة لا تاريخ عليها.
١٢- مـــن لا يحضره الفقه للإمام محمد بن علي بابويه القمي الملقب بالصدوق منشورات دار صعب، دار التعارف، بيروت ١٤٠١هـــ-١٩٨١م.
١٣- الغدير في الكتاب والسنة والأدب لعبد الحسين أحمد الأميني النجفي طبعة دار الكتاب العربي بيروت-لبنان ١٣٩٧هـــ-١٩٧٧م.
١٤- الشـــيعة والتصـــحيح (الصـــراع بين الشيعة والتشيع). الدكتور موسى الموسوي، طبعة عام ١٤٠٨هـــ-١٩٧١م. مجهول مكان الطباعة.
١٥- دائرة المعارف المسماة: مقتبس الأثر ومجدد ما اندثر، تأليف محمد حسين الأعلمي، الطبعة الأولى ١٣٧٧هـــ-١٩٥٧م-قُم-ايران.

من كتب السنة:

١- السنة والشيعة تأليف إحسان إلهي ظهير، القاهرة، دار الأنصار ١٩٧٩م.
٢- الخطوط المريضة للأسس التي قام عليها دين الإمامية الأثني عشرية، لمحب الدين الخطيب، مجهول مكان الطباعة وتاريخها.

٣- الأئمـــة الاثنا عشر لشمس الدين محمد بن طولون المتوفى سنة ٩٥٣هـــ تحقـيق الدكـــتور صلاح الدين المنجد. دار بيروت، دار صادر ١٣٧٧ هـــ-١٩٥٨م.

٤- الإصـــابة في تمييز الصحابة تأليف ابن حجر العسقلاني تحقيق :علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة-القاهرة.

٥- الطبقات الكبرى لابن سعد، دار صادر، بيروت ١٣٧٦هـــ١٩٥٧م.

٦- الملــل والنحّل تأليف أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهر ستاني المتوفى ســنة ٥٤٨هـــ. تحقيق: محمد سيد كيلاني، داز المعرفة-بيروت ١٤٠٢ هـــ-١٩٨٢م.

٧- الكامل في التاريخ لابن الأثير . بيزوت ١٣٨٥ه ، ١٩٦٥م

٨- الإسلام بين العلماء والحكام تأليف عبد العزيز البدري، منشورات المكتبة العلمية، المدينة المنورة سنة ١٤٠٠هـــ-١٩٨٠م.

٩- تـــاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، تأليف الدكتور حسن إبراهيم حسن. مكتبة النهضة المصرية-الطبعة السابعة ١٩٦٤م.

١٠- مـــروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسن المسعودي المـــتوفى عـــام ٣٤٦هـــــ. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى. القاهرة ١٣٧٧هـــ١٩٥٨م.

١١- تفســير القرطبي المسمى: كتاب الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه مـــن الســنَة وأي الفرقان. دار الكتاب العزبي للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٧هـــ، ١٩٦٧م.

١٢- تفسير الجلالين ومعه كتاب أسباب النزول للسيوطي-دارا لفكر بيروت، لبنان.

١٣- العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر بن العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب. المكتبة العلمية، بيروت، لبنان ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٤- العقد الفريد تأليف الفقيه أحمد بن عبد ربه الأندلسي المتوفى سنة ٣٢٨، مطبعة الاستقامة-القاهرة ١٣٧٢-١٩٥٣م.

١٥- فيض القدير للعلامة المناوي-دار المعرفة، بيروت، لبنان ١٣٩١هـ-١٩٧٢هـ.

١٦- إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي بمصر، القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.

١٧- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي القاهرة، ١٣٧٠ هـ - ١٩٣٩م.

١٨- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة تخريج محمد ناصر الألباني. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت.

١٩- ديوان الفرزدق. دار صادر، دار بيروت، بيروت ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م.

٢٠- أدب السياسة في العصر الأموي، أحمد محمد الحوفي. دار نهضة مصر للطبع والنشر.

٢١- مختصر تاريخ البشر لأبي الفداء مجهول مكان الطباعة وتاريخها.

٢٢- مختصر التحفة الاثني عشرية تأليف: شاه عبد العزيز الدهلوي، اختصره وهذبه: محمود شكري الآلوسي، طبعة استانبول ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م ترجمة غلام محمد الأسلمي.

٢٣- عبقرية الصديق، عباس محمود العقاد. دار المعارف مصر، القاهرة ١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥م.

٢٤- علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٧٧م.

٢٥- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٦- صحيح البخاري، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت ١٩٧٧م.

٢٧- تعريف بمذهب الإمامية للدكتور محمد أحمد التركماني، مطبعة جمعيةعمال المطابع الأردنية. عمان ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

٢٨- عبقرية عمر لعباس محمود العقاد. دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٩.

٢٩- التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول. تأليف الشيخ منصور علي ناصف. بيروت ١٩٦١م.

٣٠- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، اعداد د. محمد فؤاد عبد الباقي. مطابع الشعب ١٣٧٨.

٣١- حديث الأربعاء. د. طه حسين. القاهرة ١٩٢٥م.

٣٢- سراب في إيران للدكتور أحمد الأفغاني، طبع سنة ١٩٨٢، مجهول مكان الطباعة.

٣٣- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، تأليف المرحوم السيد أحمد الهاشمي.

٣٤- إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة، دار النهضة العربية بيروت، مجهول تاريخ الطباعة.

٣٥- العقائد الإسلامية للسيد سابق، طبعة المؤتمر الإسلامي مطابع دار الكتاب العربي بمصر. رمضان ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

٣٦- إيران من الداخل لفهمي هويدي ، دار الأهرام ، القاهرة ١٩٨٨

٣٧- الفــرق الإســلامية تألـيف محمـود البشيشي، الطبعة الرحمانية بمصر ١٣٥٠ هــ - ١٩٣٢م - القاهرة.

٣٨- ابــن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان، محمد عبد المنعم خفاجي دار العهد للطباعة. القاهرة ١٩٥٨.

٣٩- الكــامل في اللغة والأدب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد المتوفى ٢٨٥ هــ، مكتبة المعارف، بيروت، مجهول تاريخ النشر.

٤٠- شــذرات الذهــب في أخبار من ذهب لابن عماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩هــــ. منشــورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، مجهول تاريخ النشر.

٤١- تاريخ ابن خلدون مجهول مكان الطباعة وزمانها.

٤٢- الفقــه على المذاهب الأربعة، قسم العبادات، لعدد من العلماء المصريين طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٥٨-١٩٣٩م.

٤٣- الفِصَل في المِلل والأهواء والنّحل، لأبي محمد بن حزم الظاهري تحقيق د. محمد ابراهيم نصر، و د. عبد الرحمن عميرة، طبعة بيروت مجهول تاريخ الطباعة.

٤٤- شــرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الدمشقي. طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، مجهول تاريخ الطباعة.

٤٥- تاريخ الطبري، طبعة مكتبة خياط، بيروت، لبنان.

٤٦- نصح الأمة في فهم أحاديث افتراق هذه الأمة تأليف سليم بن عيد الهلالي طبعة دار الأضحى للنشر والتوزيع ١٤٠٩هــ، ١٩٨٨م.

٤٧- مســند الإمــام أحمد بن حنبل. مطبعة دار الفكر، بيروت مجهول تاريخ الطباعة.

٤٨- الرســول لسعيد حوى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م.

٤٩- عمــدة القاري في شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، دار الفكر، بيروت، مجهول تاريخ الطباعة.

٥٠- عقــد الــدرر في أخبار المنتظر للشيخ العلامة يوسف بن يحيى المقدسي تحقيق الشيخ مهيب البوريني، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء ١٤١٠ هـ ١٩٨٩م.

٥١- عمــدة القاري في شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، دار الفكر، بيروت، مجهول تاريخ الطباعة.

٥٢- القاموس الإسلامي، أحمد عطيه الله، مكتبة النهضة المصري ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠م.

٥٣- المسـيح الدجــال، سعيد أيوب، دار الاعتصام، القاهرة ١٤٠٩ هـ — ١٩٨٩م.

٥٤- رســالة الغفران لأبي العلاء المعري تحقيق بنت الشاطئ، الطبعة الخامسة، القاهرة ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م.

٥٥- المصـنف للحافظ الصنعاني . الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٣م — بيروت.

٥٦- التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية للدكتور أحمد شلبي.

٥٧- مذكرة في تاريخ العرب الحديث الدكتور حسن ريان ومحمود طوالبة — مقرر الصف الثالث الثانوي الأدبي الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧م.

فهرس الكتـــاب

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع

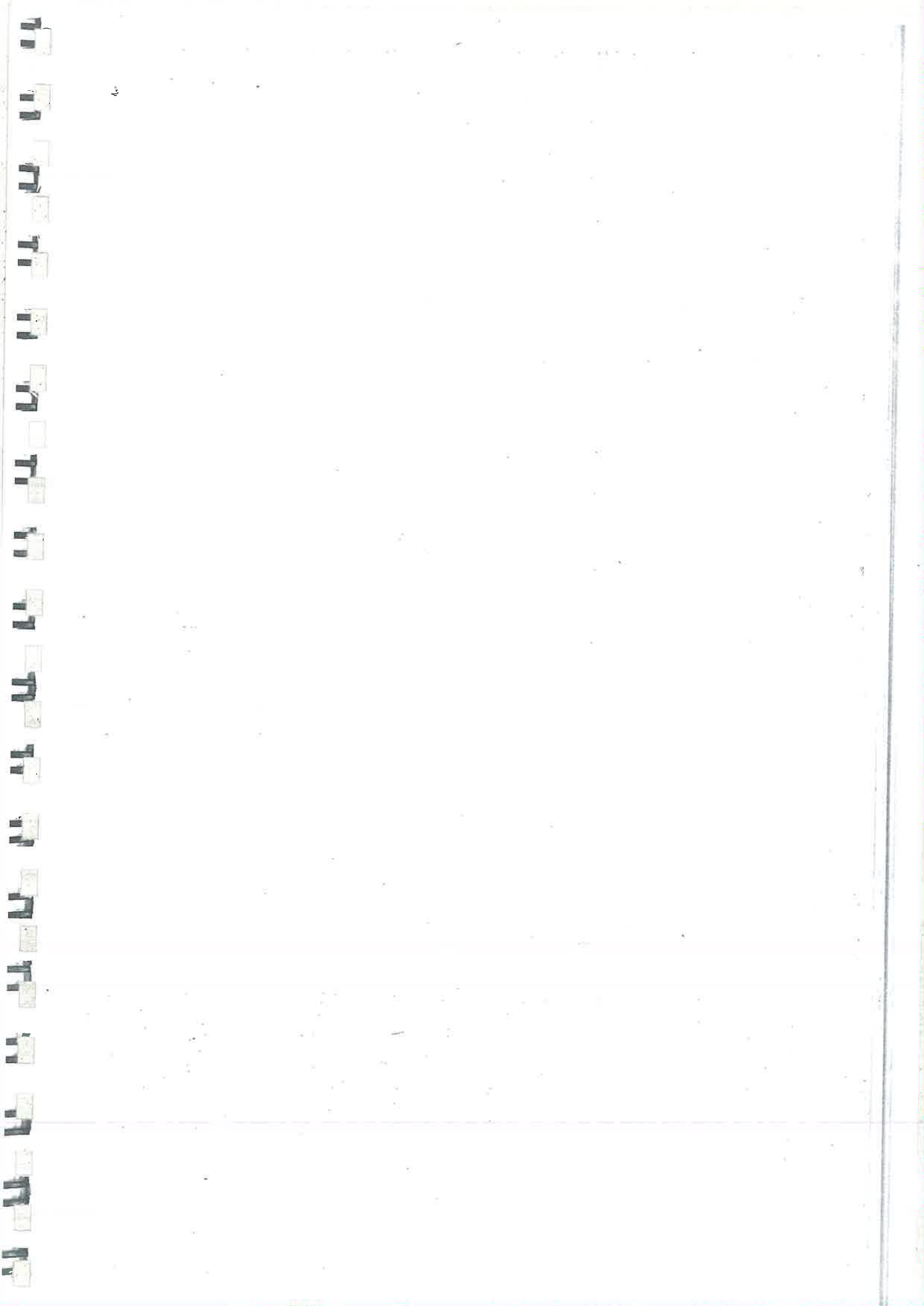
أ- زيارة مراقد الأئمة

ب - يوم عاشوراء

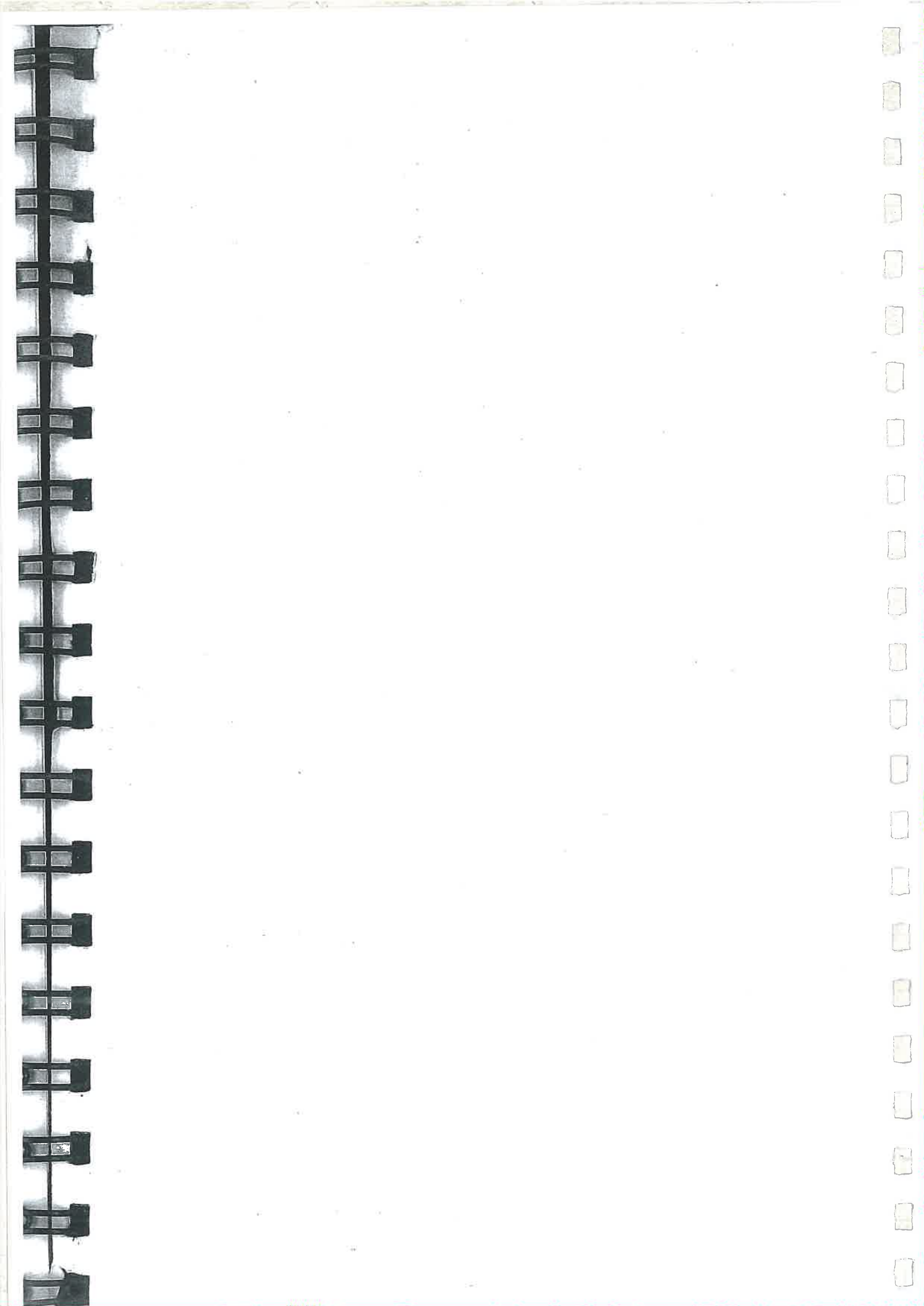
خاتـــمة

الهوامــش

المصادر والمراجع



الموضـــــوع	الصفحة





الميزان بين السنة والشيعة

هذا الكتاب

- بحث في مسائل الإتفاق ونقاط الخلاف بين السنة والشيعة بروح منهجية ايجابية
- فيه تعريف بفرق المسلمين المختلفة من سنة وشيعة وتمييز بين الغلاة والمعتدلين من الشيعة
- فيه بيان واف لمواقف السنة والشيعة من الإمامة، المهدي المنتظر، القرآن والسنة أبي بكر وعمر وعائشة، معاوية ويزيد، الدولتين الأموية والعباسية
- مسائل الفقه كالآذان والوضوء والصلاة وزواج المتعة
- من هم الرافضة ؟ من هم الأئمة الإثنا عشر ؟ ما صحاح السنة وصحاح الشيعة ؟
- بعض الأحاديث الموضوعة التي ساهمت في تعميق الخلاف بين الفريقين المسلمين
- محاولة جادة لتعريف أهل السنة بالشيعة وتعريف أهل الشيعة بالسنة على أساس الحقيقة بعيدا عن المهاترات والجدل العقيم

المؤلف

عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع
الأردن - إربد - شارع الجامعة - تلفون ٧٢٧٢٢٧٢
الرمز البريدي 21110 - ص.ب 3469